المقالات السنية
في تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية
ورد مفتريات الفرقة الحبشية

بقلم
عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

دمشقية ، عبدالرحمن بن محمد سعيد

المقالات السنية في تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية ورد مفتريات الفرقة الحبشية

.- الرياض.

٣١٢ ص ، ١٧×٢٤ سم

ردمك ١ - ٥٧ - ٦٣٢ - ٩٩٦٠

١- ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، ت ٧٢٨هـ أ- العنوان

ديوي ٩٢٢,١١٧ ١٨/٣٤٥٦

رقم الإيداع : ١٨/٣٤٥٦

ردمك : ١ - ٥٧ - ٦٣٢ - ٩٩٦٠

الطبعـــة الأولـــى

١٤١٩هـ ١٩٩٨م

الصف والإخراج

مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني



الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس : ٤٩٣١١٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فقد قدم إلى لبنان رجل أثيوبي اسمه عبد الله الحبشي الهرري من بلد يبغضه أهلها لدوره الخياني في فتنة (كُلُب) في بلاد هرار وتعاونه مع أعداء المسلمين هناك ضد الجمعيات الإسلامية التي أُغلِقت بسببه، مما جعلهم يلقبونه «بشيخ الفتنة».

جاء إلى لبنان وما أن خلا له الجو حتى بدأ يعاود الفتنة نفسها، وافقه في مجيئه مجموعة من الفتاوى الشاذة ومخلفات عقائد المعتزلة في حين يزعم المتعصبون له أن شغله الشاغل إصلاح عقائد الناس(١).

أثمرت عقيدته شرًا إذ تفرغ أتباعه لتتبع عثرات الدعاة المصلحين والترصد لكل كلمة وموعظة لهم وترهيبهم وملاحقتهم وضربهم وإحداث الشغب ورفع الأصوات في المساجد حتى لا يتمكن الخطباء من إعطاء الدروس.

لا يصلي أتباعه وراء الأئمة في المساجد وينتظرون فراغ الجماعة ليقيموا جماعة أخرى، فهؤلاء دعاة الفرقة والشقاق، يضربون أئمة المساجد ويتطاولون عليهم، ويرغمون إمام المسجد قسرًا أن يوافقهم على أن يعطوا الدروس في المسجد وإذا رفض طردوه منه.

---

(١) صريح البيان في الرد على من خالف القرآن ١٩٧.

يخاطب هو وأتباعه المسلمين بلغة فاجرة لم يخاطب بها رسول الله ﷺ أبا جهل ولا ابن أبي سلول، يعتمدون السباب والإهانة وقذف أعراض مخالفيهم.

وهم يكثرون من الافتراء والكذب، ويستقطعون من كلام الآخرين نصوصًا يكذبون معها مئة كذبة: فإما أن يبتروا النص أو ينقلوه بالمعنى، ولذلك لا يحل لأحد أن يأخذ كلامهم ونصوصهم حتى يتحقق منها ويتفحصها بدقة، ولذلك وصفهم الناس بـ «**لصوص النصوص**»

ومن الفتن التي أثارها هو وأتباعه مشكلة الاتجاه الصحيح للقبلة، وزعموا أن الناس في أمريكا وكندا يتوجهون إلى غير جهة الكعبة التي يتوجه إليها المسلمون هناك، حتى صارت للأحباش مساجدهم الخاصة بهم وقد انحرفت قبلتهم عن الاتجاه المعروف بتسعين درجة.

كانت فتنته مدبرة يراد بها ضرب كل مرجعية إسلامية وتوجيه الإهانات لكل طالب علم نشيط تتوجه إليه قلوب المسلمين ومن ثم قذفه بالزنا واللواط لإسقاط مصداقيته من أعين العامة.

ولا يخفاك أنّ ضرب المرجعية السنية مؤامرة خطيرة ولعبة قذرة يضمن بها عدو المسلمين بقاء العامة حيارى كالنعاج لا قيادة مخلصة تقودهم فيبقون تحت مرجعية دسيسة مشبوهة تتكلم بالدين كلامًا لا يؤدي إلا إلى مزيد من التبرير للحكم بغير ما أنزل الله.

دعواه أنه ينتمي إلى السلالة النبوية:

وقد بالغ اتباعه في إطرائه حتى صاروا يشترطون على الداخل عليه أن يصلي ركعتين صلاة التوبة، وزعم لهم أنه ينتمي إلى السلالة النبوية، بل صاروا يقولون «الشيخ عبد الله الهرري العربي القرشي»[١].

وهذا يذكّرني بقول السبكي «ولو أن أحدًا من الخلق غيره (أي الشافعي) ادّعى أنه قرشي وأراد منا هذه الرتبة لقلنا له: أولاً أثبت أنك قرشي، وهيهات! فكم من الأعراب في هذا الزمان من يدّعي أنه قرشي ولا نستطيع أن نحكم له به، لعدم تيقن ذلك أو غلبة الظن به»[٢].

وبقول الكوثري إمام الحبشي[٣] «ومن دأب أهل العلم أن لا يفتخروا بأنسابهم، ذاكرين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ وأن لا يناقشوا الناس في أنسابهم ائتمانًا لهم عليها ما لم يحاولوا جر مغنم بها فإذ ذاك يطالبونهم بحجة شرعية تثبت نسبهم، والنسب ليس بمكتسب، والمرء إنما يوجه إليه المدح أو القدح بما كسبت يمينه. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقال ﷺ: «**ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»[٤].

وبالطبع لن تنفع أبا جهل وأبا لهب قرابتهما للنبي ﷺ كما لن تنفع

---

(١) مجلة منار «الهدى» ١٢/٣٦.

(٢) طبقات السبكي ١/١٩٦ محققة.

(٣) إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق ص ٦.

(٤) رواه مسلم.

من يدافعون عن الاستغاثة بغير الله والبدعة وتأويل الصفات وترويج التكفير وموالاة أعداء الله. فإن محمدًا ﷺ جاء بالتوحيد، بينما يخالف المنتسبون إليه طريقه ويدعون إلى الشرك، والنبي ﷺ بريء من الشرك وأهله.

ثم صار مفتي الصومال!!

وقد ثبتت على أتباعه عدة أكاذيب يراد بها تعظيم شيخهم وترويج بضاعته الفاسدة في الدين:

فقد فوجىء الناس لدى صدور ترجمة للأحباش عن شيخهم يزعمون فيها أنه مفتي الصومال، فما لبث أبناء الجالية الصومالية في السويد أن أصدروا بيانًا بتاريخ (٢٩ ـ ٨ ـ ١٩٩٤) صادر برقم (٠٠١٣) يفند هذه الأكذوبة وأن الصومال لم تعرف لها مفتي بهذا الاسم.

وهذه صورة من البيان الذي أصدرته الجالية الصومالية في السويد:

لماذا قلت: شذوذه وأخطاؤه؟

هو شركة تنقيب عن الزلات والهفوات والأقوال المرجوحة والفتاوى الشاذة: يستقطب بها أناسًا «يريدون الحق» ولكن يريدونه تبعًا لأهوائهم ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ لا يطلبون ورعًا ولا تقوى بل رخصًا يوفقون بها بين الدين وأهوائهم.

فإنه يأتيك بالفتوى الشاذة يظللها لك بـ «قال محمد بن الحسن قال عطاء قال أحمد قال سفيان: يُسندها لك لتستسيغها، ويكمم بأسانيده المظلمة أفواه المعترضين والمنكرين: فهذه شيطنة ما بعدها شيطنة.

فإنه ينقل لك أمورًا عن بعض من يجوز عليه الخطأ ممن عهد عنهم الرجوع عن الخطأ حال تبينه:

فهو يأخذ من أبي حنيفة جواز أخذ الربا.

ويأخذ من الشافعية قصر الزكاة على الذهب والفضة دون العملة الورقية.

ويأخذ من الشيخ العدوي جواز صلاة الرجل المغموس بالنجاسة.

ويأخذ من الشيخ محمد عليش عقيدة جبرية مفادها أنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر.

ويأخذ من الخطيب الرازي أن العبد مجبور في صورة مختار.

ويأخذ من الكوثري والمعتزلة التأويل كاعتقاد استيلاء الله على العرش.

ويأخذ من الشيعة سب (بعض) الصحابة والقول بإمامة الاثني عشر وزاد عليهم واحدًا وهو أحمد الرفاعي فصاروا به ثلاثة عشر.

ويأخذ من بعض مشيخة الأحناف جواز الحيل «الشرعية».

ويأخذ من بعض الفقهاء جواز أن تتزين المرأة وتتمكيج وتستخدم العطور وتخرج مثقلة بكل ذلك إلى الطريق، ولكن عليها أن تحرص على «تحسين نيتها وقصدها» فلا تقصد بتلك الزينة الرجال، وإنما تنوي أن هذه الزينة لزوجها، وربما كان دليلها على الخروج متزينة قولُه تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾

ويأخذ من الصوفية جواز الاستغاثة بغير الله والتبرك عند القبور، والزيادة على ما شرعه الله في الدين.

ويأخذ من الرفاعية جواز بيع العقارات في الجنة وإطفاء الأنوار عند الخلوات وعند أخذ البيعة.

ويأخذ عن الأشاعرة جواز أن يكون القرآن كلام جبريل أو محمد على خلاف بينهما، وجواز أن يعذب الله الأنبياء والصالحين وأن يدخل الكفار الجنة ويثيبهم على كفرهم.

شبهات الشيطان

الشيطان لا يأمرك أن تقع في الشر والضلالة مباشرة، لكنه يستدرجك إليها خطوة خطوة عن طريق الشبهات، ويسخّر لها مجموعة من الأقوال المنسوبة بأسانيد مجهولة.

فيأتيك رجل كالحبشي بفتوى خاطئة أو رأي مرجوح زلت به قدم عالم فاضل، بل بمجموعة من الزلات بعد أن يكون أمضى عمره في جمعها وترتيبها يستجلب بها ذوي نفوس مريضة وهوى مستحكم. فمن كان يبحث عن فتوى ترخص له تعطيل الزكاة يجد «بغيته»[1] عند الحبشي، ومن كانت نفسه تميل إلى أخذ الربا من الكفار وسرقتهم ومقامرتهم يجد «بغيته» عند الحبشي. ومن كانت نفسها تريد فتوى ترخص لها الخروج متعطرة متزينة متكشفة تجد «بغيتها» عند الحبشي.

وهو لا يقول لك: الزكاة حرام، الربا حلال، اليانصيب حلال، إذ لو فعل لكان غبيًا لا يلبث أن ينكشف أمره، لكن طريق الشبهات طريق ماكرة تعود بالناس إلى الإباحة بعد التحريم.

يأتي بأحاديث وآثار لا يُعرف لها صحة ويبني عليها عقيدته الفاسدة، ويحتج لها بأسانيد فاسدة.

---

(١) كتاب بغية الطالب من مؤلفات الحبشي.

فتاوى الحبشي في سطور

يجوز عند الحبشي الاستعاذة بغير الله. فلا مانع أن يقول ﴿أعوذ برسول الله من الشيطان الرجيم﴾ (الدليل القويم ١٧٣ صريح البيان ٦٢ المقالات السنية ٤٦ط: ثانية ١٩٩٤ ص ١٥٦)[١]. فماذا يبقى من الدين إن جاز الاستعاذة بغير الله؟ أهذه عقيدة الشافعي؟ قال ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٠١) «فهل سمعتم عالمًا يجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر ما خلق؟ هذا لا يقوله مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه» وذكر البيهقي أنه لا يجوز أن يستعاذ بمخلوق واحتج بالآية ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ (الأسماء والصفات ٢٤١ أو ١/ ٣٠٥ ط: حيدر).

ويجوز عنده إذا مسك الضر أن تستغيث بغير الله بالأموات لأنهم يخرجون من قبورهم لتلبية حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إليها. فقد سئل عمن يستغيث بالأموات ويدعوهم قائلا: يا سيدي بدوي أغثني يا دسوقي المدد قال «يجوز ذلك» قيل له: لماذا يقول يا عبد القادر يا سيدي يا بدوي ولا يقول يا محمد؟ قال ومع ذلك فهو جائز. لكن تركُهُ أفضل.

---

(١) أصدر الأحباش طبعات جديدة لكتب شيخهم تختلف صفحاتها عن القديمة التي اعتمدنا عليها يبرزونها تمويهًا فلهذا راعينا هنا أرقام الصفحات حسب الطبعات الجديدة. فاحذر المحتالين.

قيل له: إن الأرواح تكون في برزخ فكيف يستغاث بهم وهم بعيدون؟ أجاب «الله يُكرمهم بأن يُسمعهم كلامًا بعيدًا وهم في قبورهم فيدعو لهذا الإنسان وينقذه، أحيانًا يخرجون من قبورهم فيقضون حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إلى قبورهم».

وبينما يحلف الأحباش بالله أن من يثبت الصفات لله من غير تأويل لها فهو أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان (منار الهدى ١٢/ ٢٦).

لا يرى شيخهم السجود للصنم كفراً وإنما معصية من الكبائر (شريط الحبشي ٣ عداد ٦٤٠) فتأمل كيف يحقدون على من يثبت لله ما أثبته الله لنفسه بينما لا يرون السجود للصنم وثنية!.

يدعو إلى سنن النصارى في التبرك بالأحجار (صريح البيان ٥٨) ويقول: قبر معروف الكرخي: الترياق (أي الشفاء المجرب) (المقالات السنية ١٦٢) ولكن: أليس دعاء الله وحده هو الترياق المجرب؟ كيف يكون ذلك من صميم عقيدة أهل السنة وقد أخبر غير واحد من العلماء منهم الغزالي أن مسح القبر باليد من عادة اليهود والنصارى (إحياء علوم الدين ١/ ٢٥٩ و ٤/ ٤٩١)..

يفتري على معاوية فيزعم أنه كان يرسل الأصنام في قوافل إلى الهند ليبيعها للوثنيين وأنه «ليس في قلبه خشية لله ولا تقوى وأنه رجل مخادع» صريح البيان ١٠٢ و ١٠٥).

زعم أن الله **اضطر الكافر على الكفر** ولولا الله ما استطاع الكافرُ أن

يكفر (النهج السليم ٦٧ صريح البيان ٤٣) وأثنى على قول الرازي أن الإنسان مجبور في صورة مختار (إظهار العقيدة السنية ١٩٦).

يستخدم ألفاظاً شنيعة في حق الله زعم أنه يريد تنزيهه بها فقال: **«ومن قال أخت ربك» «خلصني من ربك» «حِل عني أنت وربك» «وحياة شوارب الله» «دخيل رجلين ربك»** (النهج السليم ٥٧ و ٦٤ الدليل القويم ١٤٥ و ١٤٩) والتوحيد عنده تنزيه الله عن مشابهة الشجرة والثمرة والغصن وهو قادر من غير عضلات وليس له نصف أعلى ونصف أسفل. وليس له لون لا أزرق ولا أخضر ولا أحمر.

أفتى بجواز أخذ الربا من الكفار محتجًا بحديث «لا ربا بين مسلم وكافر حربي» قال الشافعي «وهذا ليس بثابت ولا حجة فيه» (نصب الراية للزيلعي ٤/ ٤٤ كتاب الأم ٨/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

قال الحبشي «ضع مالك في بنك ليس له مساهم مسلم بل يكون كل المؤسسين كفارا. ضعه هناك وخذ عليه فائدة، هذا إن أردت أن تستفيد، فإن تحقق الاستفادة فإنه يجوز» إنتهى (شريط (٣) ابتداء من الوجه الأول). فهم يرون جواز سلب الكافر ومراباته ومقامرته لأنه كافر حربي لا أمان له، ولكن لماذا هذه العلاقات الحميمة بينهم وبين الكفار؟!.

أفتى بأن **مجامعة الخنثى** في نهار رمضان لا يفطر (بغية الطالب ١٩٢ ط: جديدة ٢٤٣).

أفتى بأن العملة الورقية المستعملة في هذا العصر كالدولار وغيره

لا زكاة عليها (بغية الطالب ١٦٠ و ١٦٩ ط: جديدة ٢٠٧).

أفتى بجواز الاحتيال على الله: فالاسبيرتو عنده محرم، غير أن من أراد شراءه فليستعمل حيلة كأن يقول للبائع: بِعني هذه القنينة بكذا: ليس الاسبيرتو الذي فيها، فإني آخذه من غير مقابلة بهذا المبلغ، وإنما هو ثمن القنينة». قال «وهذه حيلة يُراد بها التخلص من الحرام» (بغية الطالب ٢٥٧ ط: جديدة ٣٣٠) فالاحتيال مذهب اليهود أصحاب السبت لا مذهب الشافعي.

أفتى **بجواز صلاة العبد متلبسًا بالنجاسة** ولو من بول الكلب أو عذرته، سواء كانت النجاسة على ثوب المصلي أو بدنه. قال: «**فمن صلى بالنجاسة صحت صلاته**: لا فرق بين النجاسة المغلظة والمخففة فيجوز للمصلي الصلاة بما مسه ريق الكلب من ثيابه وبدنه وبوله وعَذَرَتِه» (أي غائطه) (بغية الطالب ٩٩ ١٠٠ ط: جديدة ١٣١ ١٣٢). بينما يصرح بأنه إذا أصاب شيء من بول الطفل يدَ أمه أثناء وضع (الحفايض) تكون وقعت في واحدة من كبائر الذنوب (شريط خالد كنعان ٤٢٩ الوجه الأول) مما أدى بتلميذاته إلى لبس القفازات أثناء عملية التغيير.

وسئل عن حكم **شرب الخمر** فقال: «عند بعض الفقهاء لا يجوز التداوي بالخمر في حال من الأحوال. يجوز عند بعضهم إعطاء المريض جرعة من الخمر لاساغة اللقمة بالنسبة لمن أصيب بالغصة، يجوز أن يسيغ اللقمة بالخمر، وقال بعضهم ويجوز التداوي بالخمر إن

لم يوجد دواء غيره» (شريط ٧ عداد ٤٠٠).

وزعم أن **الماء الخارج من فم النائم نجس**، وأنه يجب غسل اللحم لإزالة الدم (بغية الطالب ١٢١ ـ ١٢٢ ط: جديدة) فصار حكم ماء الفم عنده كحكم البول أو الكحول..

ويجب **استقبال القبلة بكل البدن** فلا يجزىء ببعض بدنه (بغية الطالب ١٣٤ ط: جديدة) ويرى الاستنجاء بالماء أمرًا قبيحًا ويُسنّ الاستنجاء على الوضوء، فإن أخّر الاستنجاء إلى ما بعد الوضوء صح (بغية الطالب ٦٨ ط: جديدة ٩٦).

ويجوز دخول الحمام ولو كان فيه كشف للعورات ويحفظ بصره، ولا يلزم الإنكار إلا في ظهور السوأتين (بغية الطالب ١٣٩).

ولا يُنكر من يصلي بالكلسون فقط (بغية الطالب ١٣٨ ط: ثانية).

وأجاز للمسلم سلب أموال الكفار ولو بطريق القمار (صريح البيان ١٣٣) ومراهنته، وإن حرّمه في الابتداء. وأن جواز ذلك يكون من المسلم في حق الكافر لأنه لا يوجد اليوم كافر ذمي بل كلهم حربيون (صريح البيان ١٣٤). وهذه الفتاوى تتعارض مع علاقاتهم المميزة مع الكفار وتلزمهم بجواز استباحة أعراض ونساء من يجوز سرقتهم ومراهنتهم ومقامرتهم.

وبينما يحرّم اليانصيب على الغني غير أنه **يبيح للمحتاج أن يأخذ ما يربحه من أموال اليانصيب** فيأخذ منه حاجته ويوزع الباقي على المستحقين، وزعم أن هذا المال بمنزلة المال الضائع (صريح البيان

١٣٦). ولكن هل يجوز تعمد إضاعة المال في الإسلام؟!.

وأفتى من ذهب إلى بلاد الكفار أن يعلق صليبًا إذا خاف على نفسه منهم (الدليل القويم ١٥٥).

أباح الرقص للنساء بل وللرجال (صريح البيان ١٦١). ولذلك يغني أتباعه ويرقصون ولديهم أوركسترا تسمى (أهل السنة والجماعة) يقودها المايسترو «جَمّول». يقتبسون أغاني المطربين والمطربات، ويذكّرون بها من تاب من سماعها فتدخل قلبه ثانية ويتعلق بها، ولكن هذه المرة عن طريق الدين!

نشر التصوف المشتمل على تقديس المشايخ أحياءً وأمواتًا وذكرُ الله تعالى بالدفوف والطبول نساء ورجالاً متحجبات وسافرات بشكل مختلط. ونشر الطريقة الرفاعية. وما فيها من طقوس شيعية كاعتقاد إمامة المهدي الذي في السرداب وإضافة الرفاعي إلى الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد الشيعة بوجوب إمامتهم.

يرى جواز النظرة الأولى إلى المرأة مهما طالت ما دامت أول نظرة قال: لو استدام هذا النظر، لو ثبت عليه ليس حرامًا» (بغية الطالب ٢٢٤ ط: جديدة ٢٨٠ بغية الطالب ٢٨٧ ط: جديدة ٣٦٦) وخالفه العز ابن عبد السلام الملقب بـ «سلطان العلماء» فقال: «والنظر إلى الأجنبية محرم لكونه وسيلة إلى الزنا» القواعد الكبرى ١٠٧).

حرض المرأة على الخروج من منزلها متى شاءت بدون إذن زوجها أو رضاه إذا أرادت طلب العلم واستفتاء المشايخ (بغية الطالب ٢٦٨

ط: جديدة ٣٤٢).

وأفتى تلميذه نزار حلبي **بجواز لبس سروال الجينز** والفيزون وأن «فتياتنا يتعطرن ويرتدين الجينز لأننا نجمع بين السترة والموضة» (جريدة المسلمون عدد ٤٠٧ سنة ١٩٩٢) وزعم أن مقدار عورة المرأة مع محارمها ما بين السرة والركبة وما سوى ذلك فليس محرمًا (بغية الطالب ٢٩٠ ط جديدة ٣٦٨).

ويجوز عنده **كشف المرأة شيئًا من بدنها** بحضرة من يحرم نظره إليها. ويجوز أن ينظر الرجل إلى شيء من بدن المرأة الأجنبية التي لا تحل له بلا شهوة (بغية الطالب ٢٨٨ وتم حذفها من الطبعة الجديدة هروبًا). ويجوز له **النظر إلى محارمه من النساء مطلقًا ما عدا ما بين السرة والركبة** إذا كان بغير شهوة وأن من ذهب إلى أن العورة تزيد على ذلك بأن تكون فوق السرة وتحت الركبة فقوله ضعيف (بغية الطالب ٢٩٠ حذفت أيضًا من الطبعة الجديدة).

ويجوز **خروج المرأة متعطرة متزينة** مع ستر العورة (بغية ٢١٦ و٣٥١ ط: جديدة ٢٦٩ و ٤٤٦).

وأثار هو وأتباعه مشكلة في الغرب حول الاتجاة الصحيح للقبلة، وزعموا أن الناس في أمريكا وكندا يتجهون إلى غير جهة الكعبة التي يتوجه إليها المسلمون هناك، حتى صارت للأحباش مساجدهم الخاصة بهم وقد انحرفت قبلتهم عن الاتجاه المعروف بتسعين درجة.

وأصل هذا الفساد سببه قولهم بأن الأرض مسطحة وليست

كروية. مما أضحك الناس عليهم في مناظرة تلفزيونية مع أحد النصارى أدت إلى زيادة ثقة النصارى بدينهم وأضحكتهم على المسلمين.

كيف تعرف حبشيًا

ألسنتهم مع غير المسلمين أحلى من العسل، ومع المسلمين أخبث من البصل. يستدرجون الناس من التوحيد إلى الشرك، ومن السنة إلى البدعة، ومن إثبات نصوص الكتاب والسنة إلى تحريفها باسم تفسيرها وبيان معانيها، يدّعون سلوك طريق التصوف وحدّة ألسنتهم وسوء معاملتهم للمسلمين تدل على قسوة قلوبهم وتعجب حين تجد منهم هذه القسوة وهذا التكبر وتتساءل: أين صفاء التصوف أي الرقة التي زعموا أن التصوف يثمرها في القلب؟ أين آثار سلوك الطريقة الرفاعية؟

الحمد لله هذا دليل عملي على أن التصوف لا يثمر الصفاء المزعوم بل يورث الشقاق والتصلف وقسوة القلب.

لا يستطيعون استحضار النية بسهولة بل ربما قضوا ساعة في صلاة واحدة، يحفظون نصوصًا صغيرة يظنهم بها الناس حفظة الدين كله.

حتى لا ينتسبوا إلى الشافعي

تتخذ الفرق الباطلة من انتحال مذهب في الفروع كساءً لها وترويجًا لمذهبهم الفاسد. فما من إمام إلا وينتسب إليه أقوام وهو منهم بريء.

قال السبكي عن القاضي عبد الجبار المعتزلي «كان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع»[١].

والحبشي وأضرابه معطلون ينتحلون مذهب الشافعي في الفروع تمويهًا على الناس، ويتسترون بالإنتساب إلى الشافعي والأشعري بينما لا يتفقون مع الأشعري فيما انتهى إليه من إثبات الصفات وعدم التأويل.

قال أبو المظفر الاسفراييني «قد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبّس بشي من مقالات القدرية والروافض مقلدًا فيها وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة تسترًا به، فلا يغرنك ما ادعوا من نسبتها إليه فإن أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبوه إليه»[٢].

أما مذهبه في العقيدة فليس على مذهب الشافعي فإنه يعتمد تأويل صفات الله بينما منهج الشافعي إثباتها: فأين فسّر الشافعي قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ بمعنى استولى؟

وهو وأتباعه يكذبون على الشافعي، فإنهم يحتجون على الناس بكتاب اسمه الفقه الأكبر يزعمون أنه للشافعي[٣] وهو يجري على

---

(١) طبقات السبكي ٥/ ٩٧.
(٢) التبصير في الدين ١١٤ تحقيق الكوثري.
(٣) وهو غير الفقه الأكبر الذي لم يثبت أيضًا لأبي حنيفة والذي رجح البعض أن يكون لأبي الليث السمرقندي.

طريقة الأشاعرة في تأويل الصفات.

ولكن فرحتهم بالكذبة لم تطل كثيرًا فقد قال حاجي خليفة في كشف الظنون «في نسبته إلى الشافعي شك والظن الغالب أنه من تأليف أكابر العلماء»[١]. وقال فؤاد سيزكين في تاريخ التراث العربي «لم تتضح بعد نسبة المؤلفات التالية إلى الشافعي منها «الفقه الأكبر»[٢].

المعاملة بالمثل

قد أنكر الأحباش نسبة كتاب (الإبانة) إلى الأشعري وقالوا: هذا تلميذه أبو بكر بن فورك لم يذكر كتاب الإبانة من ضمن كتب الأشعري. ونحن نقول لكم بالمقابل: هذا السبكي صاحب أكبر طبقات في ترجمة الشافعي والشافعية لم يذكر للشافعي كتابًا اسمه الفقه الأكبر.

وكذبوا عليه أيضًا بأن نسبوه إلى علم الكلام بالرغم من ذمه لعلم الكلام الذي قال عنه الذهبي «لعل هذا متواتر عنه (أي الشافعي)[٣].

الحبشي أقرب إلى «حفص الفرد» معاصر الشافعي والذي حط عليه الشافعي ورماه بالزندقة وحذر منه لأنه كان يتعاطى علم الكلام، وتأويل الصفات، وهذا الرجل اليوم يتعاطى علم الكلام ويتأول

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ١٢٨٨ ط: دار الفكر.
(٢) تاريخ التراث العربي ٣/ ١٩٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩.

الصفات، مكملاً بذلك مسيرة حفص الفرد تحت مظلة الشافعي، بينما حكمهم عند الشافعي كحكم حفص الفرد عنده.

قال الشافعي للربيع: «لا تشتغل بالكلام فإني اطلعتُ من أهل الكلام على التعطيل» (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٨) وقال: «**حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام**» (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ صون المنطق ٦٥ الحلية ٩/ ١١٦ مناقب الشافعي ١/ ٤٦٢) وتواتر عنه ذمه لأهل الجدل والكلام. ووصفهم أبو حنيفة «قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة، وليس عندهم ورع ولا تقوى» (سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٩ مفتاح دار السعادة ٢/ ١٣٦).

اعترف الأحباش بأن الشافعي كان «يتحرى الدقة فيما يرويه الرواة منسوبًا إلى النبي ﷺ وكان يشترط فيمن يروي الحديث أن يكون صادقًا ورعًا»[1]. وأما الأحباش فأكثر اعتمادهم في مسائل التوسل والتبرك وعامة أصول الدين على الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة كما ستراه بالدليل من كتب شيخهم.

---

(١) مجلتهم منار «الهدى» ١٣/ ٢٨.

موقف الشافعي من الصوفية

الحبشي يدعو إلى التصوف بينما يقول الشافعي عن التصوف والصوفية «لو أن رجلا تصوف أول النهار، لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق، وما لزم أحد الصوفية أربعين يومًا فعاد إليه عقله أبدًا» (تلبيس إبليس لابن الجوزي ٣٧١).

موقف الشافعي من الرافضة

الحبشي لا يدعو للتشيع صراحة، ولكن ما عنده من عقائد تفتح الباب للتشيع، وقد قال في محاضرة له: لماذا ينكر هؤلاء أن يستغيث الرجل بعلي كأن يقول (يا علي).

وهو يطعن ويلعن في بعض أصحاب رسول الله ﷺ كمعاوية ومن كانوا في صفه معه من الصحابة ضد علي رضي الله عنه كعمرو بن العاص وآخرين. ويأتي بالمظلم من الروايات الطاعنة في معاوية. ويغازل الروافض بتركيزه على الفتن التي جرت بين الصحابة وتحذيره من تضليل القائلين بمسح الرجل في الوضوء[1]، بينما كان الشافعي ينهى عن الكلام عما جرى بينهم.

سئل الشافعي: أصلي خلف الرافضي؟ قال: لا تصل خلف الرافضي» (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣١) وقال «لم أر أحدًا أشهد بالزور من الرافضة» (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٩).

---

(١) إظهار العقيدة السنية للحبشي ١٨٥.

وقال السبكي «ورأيت في المحيط من كتب الحنفية عن محمد أنه لا تجوز الصلاة خلف الرافضة» (فتاوى السبكي ٢/ ٥٧٦) وذكر أن مذهب أبي حنيفة وأحد الوجهين عند الشافعي والظاهر من الطحاوي في عقيدته: كُفْر ساب أبي بكر (فتاوى السبكي ٢/ ٥٩٠).

وقال الحسن بن الحسن لأحد الرافضة: «إن قتلك قربة إلى الله، فقال: إنك تمزح، فقال: والله ما هو مني بمزاح» (سير الأعلام ٤/ ٤٨٦).

طريقة الأشاعرة البراءة من الروافض

ووصف الحافظ ابن عساكر طريقة الأشاعرة بأنها «الرد على المخالفين.. كالروافض..» قال «ويتبرأون إلى الله من الروافض» تبيين كذب المفتري ١١٣ و ٣٩٨) وأما المتأخرون والأحباش منهم فيتقوون بهم ليمكنوا من إيذاء الداعين والمخلصين للسنة.

فهذه كلها آفات ومصائب تخرج هذه الطائفة من العدالة والحكم على الآخرين لأن حكمها عليهم نابع من تعصب مذهبي ودوافع خارجية تتآمر على الصحوة الإسلامية ورموزها وأئمتها.

اتهامات الحبشي لابن تيمية

قد نسب الحبشي إلى ابن تيمية جملة من الافتراءات واتهمه باتهامات شتى لم يُحِلْ فيها إلى كتاب من كتب ابن تيمية وننتظر منه ذلك. وربما أحال إلى بعض النصوص التي يُحملها ما لا تحتمل، أو يوردها مقطوعة مبتورة على طريقة لصوص النصوص.

وشهادة الحبشي وأتباعه مردودة لقوله ﷺ: «**لا تُقبل شهادة خائن، ولا خائنة، ولا ذي غمرٍ على أخيه المسلم**»(١).

وذو الغمر: ذو الحقد، والحقد المذهبي أعمى تُردّ به شهادتهم في حق ابن تيمية. فاجتمعت فيهم الصفتان في الحديث: الخيانة المعروفة عنهم. والحقد المذهبي الذي امتازوا به.

وهذه الألسن التي تطعن هي نفس الألسن التي تمدح الظالمين وتدخلهم على حسابها إلى بيت الإسلام. فمن أثنى على هؤلاء فلا يؤخذ بشهادته في أولئك.

ولا يدري هؤلاء أنهم بطعنهم بابن تيمية إنما يطعنون بأنفسهم، وجرحهم له تجريح لأنفسهم ولكنهم لا يفقهون.

فيوم أن طعن ابن معين في الشافعي قائلا: «ليس بثقة» قال الذهبي «فقد آذى ابن معين نفسه بذلك، ولم يلتفت أحد إلى كلامه في

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجة بسند قوّاه الحافظ في التلخيص ٤/١٩٨.

الشافعي ولا إلى كلامه في جماعة من الأثبات، كما لم يلتفتوا إلى توثيقه بعض الناس».

وإليكم مجموعة من الافتراءات التي اختلقها:

زعم أن ابن تيمية يشبّه الله بخلقه. مع أنه نقل عن السبكي أن كلامه يقتضي تشبيه الله بخلقه[1]، ومعلوم أن طريقة غلاة التنزيه: (التأويل) وإثبات الصفات من غير تأويل لها يقتضي التشبيه عندهم، مع أن لازم المذهب ليس بمذهب. فهل صرح ابن تيمية بالتشبيه أم قال ما يقتضي ذلك عند الحبشي؟!.

هكذا تفتقد الأمانة العلمية عند أهل البدع.

وزعم أنه قال: أن النبي ﷺ ليس له جاه[2]. اكتفى بذلك من غير أن يحيل إلى شيء من كتب ابن تيمية. ويأبى الله إلا أن يكشف كذب الحبشي، فقد قال ابن تيمية «وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهًا عند الله، ولا شفاعة أعظم من شفاعته» (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٧).

وزعم أن ابن تيمية قال: «لا مانع أن يكون نوع العالم غير مخلوق لله[3] وأنه كذاب أفّاك لدعواه أن السلف قالوا: «إن الله ينزل ولا يخلو

---

(١) المقالات السنية ١٥.

(٢) المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية ١٦و ٧٦.

(٣) الدليل القويم ١٦٠.

منه العرش»[١] مع أن القاضي أبا يعلى ذكر لهم ثلاثة أقوال: أولها أن نزوله بحركة وانتقال وهو قول عبد الله بن حامد وحرب الكرماني والدارمي وابن راهويه وسعيد بن منصور، والثاني أنه بغير حركة وانتقال وهو قول أبي الحسن التميمي والثالث قول ابن بطة وغيره.

وزعم أن ابن تيمية قال «إن الله مركبٌ مفتقر إلى ذاته افتقار الكل إلى الجزء»[٢].

وأنه «بقدر العرش: لا أكبر منه ولا أصغر منه».

وأنه وأتباعه يُكَفِّرُون[٣] المتوسلين بالرسول ﷺ.

وأنه جعل زيارة الأنبياء والصالحين بدعة بل معصية بالإجماع[٤].

وأنه نقض إجماع المسلمين فقال إن نار جهنم تفنى[٥].

ولكن لماذا لم يُحل الحبشي إلى شيء من كتبه؟ الجواب ببساطة لأنه لا يوجد شيء مما يزعم.

وزعم تلميذه (نزار حلبي) أن «ابن تيمية رأس التطرف في القرن الثامن الهجري حيث كفّر كل المسلمين باختلاف مذاهبهم ومشاربهم»[٦].

---

(١) المقالات السنية ٢٤.
(٢) المقالات السنية ٧٦.
(٣) المقالات السنية ٢٦.
(٤) المقالات السنية ٧٣.
(٥) المقالات السنية ٥٧ و ٧٦.
(٦) مجلة منار « الهدى» ٥/٢٩.

عصبية ابن الهيتمي

وسبقه إلى هذه الإتهامات أحمد المكي عفا الله عنه حيث رمى ابن تيمية بالعظائم والمفتريات وزعم أنه عبد أضله الله.. إلخ.

وهذا ما دعا الآلوسي رحمه الله إلى أن يكتب كتابًا بعنوان (**جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**) قارن فيها بين إدعاءات الهيتمي وبين أقوال أهل العلم ورد على هذه الاتهامات التي نسبها إليه الهيتمي ظلمًا، وطالبه بالدليل عليها من كتب ابن تيمية، ثم ختم كتابه بقوله «قد ظهر لك من جميع ما تقدم أن الشيخ ابن حجر الهيتمي نسب إلى شيخ الإسلام كثيرًا من الأقوال التي لا أصل لها، ولا سند في نقلها»[(١)].

بل يظهر لك تعصبه رحمه الله حيث صب جام سخطه على شيخ الإسلام زاعمًا أنه ارتكب العظائم.

ولعلك تسأل ما هي هذه العظائم: يقول الهيتمي «فإنه وقع في حق الله تعالى ونسب إليه العظائم كقوله إن لله تعالى جهة ويدًا ورجلاً وعينًا وغير ذلك من القبائح الشنيعة»[(٢)].

ولا يخفاك أيها المنصف أن هذه التي يصفها الهيتمي بالعظائم

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الاحمدين ٥٢٦.

(٢) حاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الايضاح ص ٤٨٩ نقلا عن المقالات السنية للحبشي ص ٩٤.

والقبائح ليست من اختلاق ابن تيمية بل هي مما وصف الله به نفسه ورسوله ﷺ كقوله تعالى لإبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ . وقول النبي ﷺ أن الله «كتب التوارة بيده» وقوله عن الدجال: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور» . وأن جهنم«لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها رجله [قدمه] فتقول قط قط».

الهيتمي والباقلاني يرجحان إيمان فرعون:

وموقفه الشديد من ابن تيمية يقابله لينٌ ورِقّة تجاه أهل الكفر. فلقد عاتب الهيتميُ ابن عربي عتابًا رقيقًا لاعتقاد هذا الأخير بإيمان فرعون قائلا[١] : «فنحن وإن كنا نعتقد بجلالة ابن عربي فقوله بإيمان فرعون مردود» وكان حَريًّا به أن يُغلظ له القول.

ولكن وكما يقول الشاعر:

فـرَصـاصُ مـن أحبَبْتَـه ذهبًـا كمـا ذَهَبُ الذي لم تَرْضَ عنه رصاصُ

فإن هذا القول من مستشنعات الصوفية أخذوه عن أئمة الزنادقة كابن عربي، وزينه الشيطان لهم فبرأوا به ساحة فرعون.

بل قد نقل الزبيدي عن ابن حجر المكي الهيتمي أن ظاهر الآية يفيد وجود إيمان فرعون، ونقل عن الباقلاني قوة دليل من استدل بالآية على إيمان فرعون[٢] .

---

(١) الزواجر ١/ ٣٣.

(٢) إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٤٦.

الزبيدي والقاري يثبتان قول ابن عربي بإيمان فرعون:

قال المرتضى الزبيدي «وممن قال بإيمانه ـ أي فرعون ـ الشيخ محيي الدين بن عربي في مواضع من فتوحاته وفصوصه: لا يستريب مطالعهما أنه كلامه وأنه غير مدسوس عليه» وقد رد على الشيخ عبد الوهاب الشعراني زعمه أن هذا الكلام مدسوس على ابن عربي. قال: «وممن شنع على الشيخ محيي الدين ابن المقري صاحب الإرشاد والحافظ ابن حجر وتلميذه البقاعي ومن المتأخرين ملا علي القاري من الحنفية والذي يصف ابن عربي بأنه زنديق منافق إمام الإتحادية[1].

وكتب رسالة بعنوان «فر العون من القول بإيمان فرعون» وقال في شرح الفقة الأكبر «وفيه رد على ابن عربي ومن تبعه كالجلال الدواني، وقد ألّفت رسالة مستقلة في تحقيق هذه المسألة»[2]. وحكى عن العلامة ابن نور الدين أنه صنف مجلدًا كاملاً في الرد على ابن عربي[3].

واعترف السرهندي النقشبندي أن ابن عربي أول من صرح بالتوحيد الوجودي وبوّب مسألة وحدة الوجود وفصّلها وقال إن خاتم النبوة يأخذ بعض العلوم والمعارف عن خاتم الولاية وأراد بخاتم الولاية نفسه[4].

---

(١) الرد على القائلين بوحدة الوجود ٥٦ و ٦٠ وانظر ٦٤ تحقيق على رضا ط: دار المأمون للتراث . دمشق.

(٢) الفقه الأكبر ٢٥ وقال مثله في كتابه «الرد على القائلين بوحدة الوجود» ص ٣٢ و ٣٧.

(٣) الرد على القائلين بوحدة الوجود ٣٧.

(٤) مكتوبات الامام الرباني ٢٨٧.

أي أن محمد ﷺ يأخذ العلم من ابن عربي.

وممن ذهب إلى تأييد كلامه في وحدة الوجود شُرّاح الفصوص الجندي والكازروني والقيصري والجامي وعلي المهايمي والجلال الدواني وعبد الله الرومي وللكازروني كتاب بالفارسية سماه «الجانب الغربي» رد فيه على من اعترض على الشيخ ابن عربي منها هذه المسألة»(١).

وقد عرض بعض الصوفية على يهودي (بعد أن اسلم) أن يوافقهم باعتقاد إيمان فرعون فصرخ فيهم قائلا: قد كنت أقول بكفره حين كنتُ يهوديًا أفأقول بإيمانه بعد أن أسلمتُ!.

وقد جعله النبي ﷺ أنموذجاً للكفر وقدوة الجبابرة والطغاة، فلما مات أبو جهل جعل ﷺ يشير إلى جثته ويقول **«هذا فرعون هذه الأمة»** فكيف يشبّه النبيُ أبا جهل برجُل مؤمن؟!.

ولو كان ابن تيمية هو القائل بإيمان فرعون لتوقعنا حينئذ من الهيتمي أن يقول «وهذا من ابن تيمية كُفر، فإن القرآن والسنة يشهدان بكُفر فرعون، وكل من شك في كفره فهو كافر، لأن من لم يُكفِّر الكافر فقد كفر». لكنه لتحيزه لابن عربي وتعصبه له لا يقول بمثل ذلك لأنه من الأولياء عنده. نعوذ بالله من التعصب المقيت.

ولا ننسى أن الهيتمي من أهل الغلو الصوفية القائلين بأزلية نور

---

(١) اتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٤٦.

النبي ﷺ وزعموا أن الله أخذ قبضة من نوره قبل أن يخلق الخلق وقال لها كوني محمدًا. وقد حكى عنه الحبشي هذا الاعتقاد في النبي ﷺ[١]. لكنه لم يلزمه بالقول بقدم شيء مع الله. مع أن العقيدة الحبشية أن من الكفر «قول محمد خُلق من نور»[٢].

وكان يميل بعصبية إلى قول من زعم أن الله أحيا أبوي النبي ﷺ حتى أسلما[٣]، ومعتمده في ذلك الأحاديث الضعيفة المخالفة للصحيحة مثل قول النبي ﷺ «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي**»[٤] وقوله لرجل: «**إن أبي وأباك في النار**»[٥].

فموقفه المؤيد لابن عربي الإتحادي وغلوه في النبي حتى جعل نوره أزليًا، ووافق من زعموا أن القول بكفر أبويه قلة أدب في حقه ﷺ: كل هذا يُلحقه بالغلاة الذين لا يؤخذ منهم جرح ولا تعديل ولا يجوز تقديم تجريحهم على تعديل العدول لابن تيمية كالعسقلاني والذهبي والحافظ المزي وابن كثير والزملكاني والسيوطي رحمهم الله.

---

(١) الدليل القويم ١٧٩.
(٢) منار الهدى ٣٤/٢٥.
(٣) الزواجر ١/٣٣.
(٤) رواه مسلم (٩٧٦).
(٥) رواه مسلم (٢٠٣) باب أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين.

موقفه من ابن عربي دليل على الظلم

وقبل الدخول في تفاصيل الرد على هذه الافتراءات الجائرة أود لفت نظر القارىء إلى أن الحبشي وجماعته يكفّرون من لا يستحق التكفير (كابن تيمية) ويدافعون عمن ثبت تكفيره من قِبل معاصريه:

كابن عربي الذي حكم عليه معاصره:

العز بن عبد السلام (سلطان العلماء) بالزندقة والانحلال وذلك حين سأله عنه ابن دقيق العيد فأجابه قائلا (ابن عربي) «شيخ سوءٍ كذّاب، **يقول بقدم العالم ولا يحرّم فرجًا**»[١].

وقد اعترف ابن حجر الهيتمي بأنه كان يصرّح بإيمان فرعون[٢].

واتهمه الحافظ ابن حجر العسقلاني وابن حيان النحوي بالقول بوحدة الوجود المطلقة والتعصب للحلاج[٣].

واتهمه السخاوي بالقول بوحدة الوجود وأنه من جملة الاتحادية المحضة القائلين بوحدة الوجود بين الله وخلقه كالحلاج وابن الفارض، وعاتب ابن قطلوبغا وابن الغرس لمناضلتهما عن ابن عربي بالرغم مما

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨ ـ٤٩ ورسالة القاري في الرد على القائلين بوحدة الوجود ص ٣٤.

(٢) الزواجر ١/ ٣٥.

(٣) لسان الميزان ٢/ ٣٨٤ تفسير البحر المحيط ٣/ ٤٤٩.

كان معروفًا عن ابن قطلوبغا من حسن العقيدة[١].

وذكر النبهاني أنه كان يقول بأن الأولياء ينتقلون إلى مقام كريم يقولون للشيء كن فيكون[٢].

وذكر السرهندي أنه كان يقول بقدم أرواح الكمل من المشايخ وأن ترتيب الخلفاء كان بحسب أعمارهم. واعترف أن أكثر كشوفاته تأتي مخالفة لعقيدة أهل السنة ولا يتابعها إلا مريض القلب[٣].

وقال ابن المقرّي في ابن عربي «من لم يُكفِّره كان كمن لم يُكَفِّر اليهود والنصارى»[٤] حكاه عنه ابن حجر المكي. غير أنه علق على ذلك بقوله «وهذا اعتراض منه على ابن عربي وابن الفارض» ثم تساءل عن الدليل الذي يبرر تكفيره! متجاهلا بذلك ما في الفتوحات والفصوص من مقولات الكفر الصريح في حين يرمي ابن تيمية بسلسلة من التهم ولا يكلف نفسه الإتيان بدليل عليها من كتبه. فأجدر به أن يُلحق بطائفة المتعصبين الذين لا يؤخذ منهم جرح ولا تعديل.

---

(١) الضوء اللامع ٦/١٨٦ و ٩/٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٢) جامع كرامات الأولياء ١/٣٢.

(٣) مكتوبات الامام الرباني السرهندي الفاروقي ٢٦٤ و ٢٧٧ ـ٣٠٣.

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٣٧٩.

إفحام المتعصبين

وهذه الإجابة تُخرس ألسنة المتعصبين لابن عربي. فإن قالوا من لم يكَفِّر ابن تيمية فهو كافر فقل لهم: وهؤلاء كبار الأئمة كالحافظ ابن حجر وابن عبد السلام وابن المقري سراج الدين البلقيني[١] وأبي حيان قالوا بكفر ابن عربي.

وأبي بكر محمد بن صالح المعروف بابن الخياط والقاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر علي الناشري وهما مما يقتدى بهما من علماء اليمن[٢]:

فإماأن توافقوهم في ذلك، وإلا فمن لا يكفّره يكون كافرًا. وإما أن تقولوا ليس كافرًا فيصير من حكموا بكفره كابن عبد السلام وابن المقري وابن حجر وغيرهم كفارًا.

وهكذا نلحظ الفرق بين موقف أهل البدع من ابن تيمية وبين موقفهم من ابن عربي، نرى التحامل المغرض على ابن تيمية بينما نجد التغاضي المطلق عن ابن عربي الذي شهد علماء عصره وشهدت كتبه بزندقته.

حتى إننا لَنَجِدُ السبكي يطعن في ابن تيمية في كتابه (طبقات

---

(١) الاعلام بقواطع الاسلام للهيتمي ٧٧.

(٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود للشيخ علي قاري ١٣٥ و ١٣٨ ـ ١٣٩.

الشافعية) في حين يسكت عن التحذير من ابن عربي أو على الأقل من كتبه كالفصوص والفتوحات المكية التي اتفق الجميع على أن فيها كفر يفوق كفر اليهود والنصارى. وقد حكى محقق كتاب (سير أعلام النبلاء) أن للسبكي مؤاخذات على الذهبي صاغها بأسلوب مقيت ينبىء عن تحامل وحقد وبُعد عن الإنصاف وجهل أو تجاهل بمعرفة القول الفصل في مواطن الخلاف[١].

وهؤلاء المتعصبون إذا قالوا: «إن هذا الكلام مدسوس عليه» فإنهم يقولونه تقليدًا لأئمتهم لا عن تحقيق علمي ورجوع إلى أصل مخطوطة كتاب من يدافعون عنه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٧١.

ثناء بدر الدين العيني على ابن تيمية

وقد أثنى بدر الدين العيني على ابن تيمية ومواقفه الشجاعة من التتار، وأنه كان يحرض الناس على قتالهم حتى دحرهم،[١] ولهذا كان العيني يُجِلّه ويدعو له بالرحمة[٢].

ويذكر أنه كان ينزل إلى الأسواق مع تلاميذه فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده، وأن أهل دمشق شكوه إلى السلطان لأنه ذهب لقلع صخرة يعتقدون أن النبي ﷺ قعد عليها فكانوا يعظمونها ويسألون الله عندها، فأخذ ابن تيمية فأسًا ونزعها فلما بلغ الأمر السلطان أثنى عليه لذلك، وكان يقوم بنفسه بإزالة المنكرات فيقلب الرقع التي توضع عليها الشطرنج ويمر ومن معه على الخمارات وأماكن الفواحش فيريقوا الخمور ويكسروا أوانيها[٣].

وذكر العيني مناظرة ابن تيمية المشهورة مع دجاجلة الرفاعية وأنه عرض عليهم حين زعموا أنهم أصحاب كرامات يدخلون النار فلا يصيبهم شيء منها: عرض أن يدخلها معهم واشترط عليهم أن يغتسل الجميع بالماء الحار والخل وأثبت أنهم يستخدمون بعض الدهون يحتالون بذلك على العامة حتى يظنوا فيهم الولاية، وأن زعيمهم

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٤/ ٣٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) عقد الجمان ٤/ ٢٢٣.

(٣) عقد الجمان ٤/ ٣٥٧ العقود الدرية ٢٨٨ البداية والنهاية ١٤/ ١١.

اعترف لابن تيمية أن كراماتهم تظهر أمام التتار وأما قدّام الشرع فلا[١].

وأوضح العيني أن الشكوى ازدادت من ابن تيمية لكثرة ما ينال من ابن عربي حتى سُجن بإشارة من المنبجي[٢] الذي كان معظمًا لابن عربي. هذا موقف العيني رحمه الله من ابن تيمية فماذا تقولون في ذلك؟! إذن، فقد بات واضحاً سبب سجن السلطان لابن تيمية فقد كان وراء المرسوم السلطاني شيخ متعصب ينتصر لابن عربي وتواطؤ شلّة من المتعصبين للحلاج وابن عربي.

---

(١) عقد الجمان ٤٧٣.

(٢) عقد الجمان ٤/ ٤٦٠ ـ ٤٦١.

الذين أثنوا على ابن تيمية

وقد شهد العديد من الأئمة المعتبرين بصلاح حاله وقوته في الحق وذبه عن السنة وتفرده عن أقرانه في سعة علمه واجتهاده واقتفائه أثر السلف الصالح حتى قالوا «كأن السنة نصب عينيه» ونذكر منهم:

الشيخ محمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢) الذي كتب كتابًا بعنوان (الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية «شيخ الإسلام» كافر) أورد فيه شهادات المئات من كبار الأئمة في الثناء على ابن تيمية. وقرظه: الحافظ ابن حجر والعيني والتفهني والبلقيني[١].

نص تقريظ الحافظ ابن حجر للرد الوافر كما أورده السخاوي

قال السخاوي في الجواهر والدرر في ترجمة الحافظ ابن حجر في معرض سرد تقريظات ابن حجر للكتب ما نصه:

«ومن ذلك ما كتب به على الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية شيخ الإسلام كافر لحافظ الشام ابن ناصر الدين في سنة خمس

(١) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ٧٢ لمرعي الحنبلي.

وثلاثين، وحدث به في أواخر السنة التي تليها بالشام بقراءة صاحبنا النجم الهاشم:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وقفت على هذا التأليف النافع والمجموع الذي هو للمقاصد التي جمع لأجلها جامع. فتخفقت سعة اطلاع الإمام الذي صنفه وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلماء وشرفه.

وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باقٍ إلى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غدًا كما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره أو تجنب الإنصاف مما أكثر غلط من تعاطى ذلك وأكثر عثاره.

فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله، ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل إلا ما نبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه أنه لم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جدًا، شهدها ما بين مئي ألوف، ولكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير من كان ببغداد بل أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته.

وأيضًا فجميع من كان ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد وكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم بخلاف ابن تيمية فكان أمير البلاد حين مات غائبًا وكان أكثر

من في البلد من الفقهاء فتعصبوا عليه حين مات محبوسًا بالقلعة، ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتأسف عليه إلا ثلاثة أنفس تأخروا خشية على أنفسهم من العامة.

ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته: لا بجمع سلطان ولا غيره.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: أنتم شهود الله في الأرض.

ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مرارًا بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع، وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق. ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا حكم بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالاسكندرية، ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثره ورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله تعالى في السر والعلانية، فكيف لا ينكر على من أطلق أنه كان كافرًا بل من أطلق على من سماه شيخ الإسلام الكفر. وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك، فإنه شيخ الإسلام بلا ريب، والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عنادًا.

وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه، ومع ذلك فهو بشر يخطىء ويصيب، فالذي أصاب فيه ـ وهو الأكثر ـ يستفاد منه ويُترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه ـ بل هو معذور ـ لأن

أئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتشغبين عليه القائمين في إيصال الشر إليه وهو كمال الدين الزملكاني يشهد له بذلك، وكذلك الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره.

ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم قيامًا على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهرة وفتاويه فيهم لا يدخل تحت الحصر، **فيا قرة أعينهم إذا سمعوا تكفيره، ويا سرورهم إذا راوا من يكفره من أهل العلم**.

فالواجب على من تلبّس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر منه على قصد النصح ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء.

ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظيم منزلته. فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة.

فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر أو على من سماه شيخ الإسلام **لا يلتفت إليه ولا يعول في هذا المقام عليه.**، بل يجب ردعه عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويذعن للصواب».

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل»[١].

انتهى كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله.

وقد أثنى الحافظ ابن حجر العسقلاني عليه في الدرر الكامنة ١/ ١٥٤ ودعا له بالرحمة فقال: «قال شيخ شيوخنا الحافظ المزي[٢] في ترجمة ابن تيمية «كان يستوعب السنن والآثار حفظًا. إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته. . برز على كل أبناء جنسه»[٣].

وخذه حيث حافظ عليه نص

فها هو حافظ عليه نص، فما بال الأحباش خالفوا موقف الحافظ هنا مع أنهم حاملوا راية «خذه حيث حافظ عليه نص»؟

ـ وما زال الحافظ ابن حجر يحتج بأقواله، بل يسلّم له في نقده في الحديث كما في رواية (كان الله ولا مكان)[٤]. بل أعطاه (حافظ). فقد ذكر في (التلخيص الحبير ٣/ ١٠٩) حديث **(الفقر فخري وبه أفتخر)** ثم قال «وهذا الحديث سئل عنه الحافظ ابن تيمية فقال: إنه كذب لا يُعرَف في شيء من كتب المسلمين المروية».

---

(١) مخطوطة موجودة في مكتبة طوبقبو بتركيا رقم المخطوط ٢٩٩١.

(٢) قال فيه السبكي « حامل راية أهل السنة والجماعة» (طبقات السبكي ١٠/ ٣٩٥ محققة.

(٣) الدرر الكامنة ١ :١٥٦ و ١٥٧.

(٤) فتح الباري ٦/ ٢٨٩.

* ووصفه الشيخ ابن عابدين الحنفي صاحب الحاشية المشهورة بصفة (الحافظ)[١].
* الشيخ ملا علي القاري[٢] الذي كان يذب عنه وعن تلميذه ابن القيم ويقول «ومن طالع كتاب مدارج السالكين تبين له أنهما من أكابر أهل السنة والجماعة، ومن أولياء هذه الأمة»[٣].
* وشيخكم محمد رمضان البوطي لا يكاد يذكره مرة إلا قال «رحمه الله تعالى»[٤].
* الحافظ عمر بن علي البزار، له كتاب الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ذكر فيه فضائله ومناقبه ومنزلته عند العلماء.
* محمد بن عبد البر السبكي القائل «والله ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به»[٥].
* ابن الزملكاني الذي أوذي بسبب إنتمائه لابن تيمية، وكان ذلك بإشارة من المنبجي[٦] المنتصر لعقيدة ابن عربي في وحدة الوجود، وأدى إنكاره إلى النقمة عليه والوشاية به، ذكره الحافظ[٧].
* وكان على أعدائه أن ينصفوه لهذا الموقف الشجاع، وهم الذين

---

(١) رد المحتار على الدر المختار ٢/٢٥٧ ط: دار إحياء التراث العربي.
(٢) وصفه الكوثري بأنه «ناصر السنة» (تبديد الظلام ١٠٠).
(٣) مرقاة المفاتيح ٨: ٢٥١ ـ ٢٥٢.
(٤) السلفية مرحلة زمنية مباركة ص ١٥٥ ط: دار الفكر.
(٥) الرد الوافر ٩٥.
(٦) البداية والنهاية ١٤/ ٥٠.
(٧) الدرر الكامنة ١/١٤٧.

يزعمون أنهم أعداء للقائلين بوحدة الوجود، لكن أعداءه لا يعرفون الانصاف ولا العدل.

* وأثنى عليه ابن سيد الناس.
* وتاج الدين الفزاري شيخ الشافعية[١]
* وابن دقيق العيد الذي قال لابن تيمية لما اجتمع به «ما أظن بقي يُخلق مثلك». ذكره الحافظان ابن كثير وابن رجب[٢].
* وأنصفه ابن كثير: وبين عقيدته وعمله وكيد الحاسدين له.
* وقد زعم الحوت في رسائله السبكية أن الأرموي ناظر ابن تيمية وأفحمه، مع أن ابن كثير كذّب ذلك وأكد أن ساقية الأرموي لاطمت بحرًا»[٣]. وأنهم لما عقدوا له مجلسًا لمناقشة رسالته الحموية أجابهم بما أسكتهم[٤]. وكتب لهم عقيدته الواسطية، وأمهلهم ثلاث سنوات أن يراجعوها ويجدوا فيها ما يخالف عقيدة السلف.
* وشرف الدين المقدسي الذي كان يفتخر بابن تيمية ويفرح به[٥].
* وابن منجا التنوخي.
* والشيخ أحمد ولي الله الدهلوي كما في كتابه التفهيمات الإلهية.
* والشيخ محمد أنور الكشميري صاحب فيض الباري الذي غالبا

---

(١) البداية والنهاية ١٣: ٣٠٣.
(٢) البداية والنهاية ١٤: ٢٧ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢.
(٣) البداية والنهاية ١٤: ٣٦. ووصف السبكيُ الأرموي بأن خطه في غاية الرداءة وكان رجلا ساذجًا» (طبقات السبكي ٩/ ١٦٣ محققة).
(٤) البداية والنهاية ١٤: ٤.
(٥) البداية والنهاية ١٤: ٣٤١.

ما يصفه بالحافظ[١] وشيخ الإسلام[٢].

* وشيخ الحزاميين الواسطي الذي قال «فو الله ثم والله لم يُر تحت السماء مثل شيخكم ابن تيمية علمًا وعملاً وحالاً وخُلُقًا واتباعًا وكرمًا وقيامًا في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته»[٣].

* وأثنى عليه الشيخ شهاب الدين الأذرعي وذكر شيئًا من كراماته. قاله الحافظ ابن حجر[٤].

* وابن طولون الحنفي[٥].

* وابن عبد الهادي، وله كتاب العقود الدرية في مناقب ابن تيمية. رد فيه على السبكي وكشف ضعفه في الحديث واعتماده في رده على ابن تيمية حول شرعية شد الرحال إلى القبور على الروايات الضعيفة والموضوعة.

* وبالغ الحافظ العلائي في الثناء عليه إلى أن قال: «اللهم متعنا بعلومه الفاخرة وانفعنا به في الدنيا والآخرة»[٦]

* والحافظ عبد الرحمن ابن رجب الذي أثنى عليه كثيرا وقال: «هو الإمام الفقيه المجتهد المحدّث الحافظ المفسر الزاهد. تقي الدين أبو العباس شيخ الإسلام، وعَلَم الأعلام، وشُهرته تغني عن الإطناب في

---

(١) إكفار الملحدين ٢٣ و ٤٦ و ٧٥ و ٩٠ و ١٠٣ و ١١٣.
(٢) إكفار الملحدين ١١٣.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ١٣٧.
(٤) الدرر الكامنة ١: ١٦٠.
(٥) القلائد الجوهرية ٢/ ٥٣٨ في تاريخ الصالحية.
(٦) الدرر الكامنة ١: ١٥٩.

ذكره.. كان رحمه الله فريد دهره في فهم القرآن، ومعرفة حقائق الإيمان»[١].

* والحافظ العراقي.
* وعمر بن سعد الله بن نجيح.
* وحافظ زمانه الشيخ أبو الحجاج المزي.
* وأبو بكر الرحبي.
* وفضل الله العمري.
* والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي.
* وشيخ الاسلام عمر بن رسلان البلقيني مجتهد عصره.
* وإمام الحنفية الشيخ بدر الدين (محمود بن أحمد) العيني الذي قال: «فمن قال أن ابن تيمية كافر: فهو الكافر حقًا، ومن نسبه الى الزندقة فهو زنديق، وكيف ذاك، وقد سارت تصانيفه في الآفاق، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق»[٢].
* الحافظ السخاوي الذي لم يزل يحتج به ويعتمده في ترجيح درجة الأحاديث «وناهيك بابن تيمية اطلاعاً وحفظًا أقرّ له بذلك المخالف والموافق، وكيف لايعتمد كلامه في مثل هذا، وقد قال عنه الحافظ شمس الدين الذهبي: ما رأيت أشد استحضارًا للمتون وعزوها منه: كأن السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة.

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٧ ـ ٣٩٢.
(٢) الرد الوافر ٢٤٥.

ووصفه العلامة فتح الدين ابن سيد الناس مصنف السيرة النبوية المشهورة فقال: «وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا» ثم قال السخاوي بعد هذا النقل: « نعم. قد نسبت إليه مسائل أُنكرَت عليه مقررة عند أهل العلم، والسعيد من عُدّت غلطاته رحمه الله وإيانَا»[1].

وقد امتلأ كتابه «المقاصد الحسنة» بالاحتجاج بابن تيمية في نقده للأحاديث والروايات تصحيحاً وتضعيفًا ونحيلك الى جملة من هذه الأحاديث: حديث رقم (٤٥) و (١٧) و(٢٢٩) و (٢٣٣) و (٣٨٤) و(٦٠٩) و (٨٣٨) و (٨٥٦) و (٨٨٣) و (٧١٤) و (١٣٥٦) و (١١٢٦). ولم يزل يحتج بتصحيحه وتضعيفه لروايات الحديث فيقول مثلا «قال ابن تيمية: هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم[2].

---

(١) الفتاوى الحديثية عند حديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين).

(٢) انظر الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ص ٢٠٠ و ٢٠٤ تحقيق الصباغ ط: الوارق ـ الرياض.

تعظيم الزبيدي لابن تيمية

وما زال الزبيدي يعظم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كقوله «والله يغفر لابن القيم» (١/ ٣٩). ويكثر من الاحتجاج بأقوال ابن القيم (١/ ٦٧و ١٣٢ و ٤٠٦ و ٤١٣ و ٢٤٢٠/ ٢٧٠) وبأقوال شيخه ابن تيمية (١/ ١٧٠ و ١٧٦). ويصف ابن تيمية (الحافظ) (١/ ٤٠٠) (٢/ ١٠٦) و (الامام) (١/ ١٧٠) بل وبشيخ الاسلام (٤/ ٥٣٧ و ٣/ ٤٨٢). فماذا يقول الأحباش الذين يحتجون بقول العلاء البخاري «من قال ابن تيمية شيخ الاسلام فهو كافر»[1] هل يحكمون بكفر الزبيدي؟

ولئن كان تكفير العلاء البخاري حجة فليوافقوه في تكفيره لابن عربي كما ذكره صاحب براءة الأشعريين (٢/ ٦٥ ـ٦٦)!! وابن طولون في (القلائد الجوهرية ٢/ ٥٣٨) وكتب في الرد عليه كتاب «فاضحة الملحدين».

وهذا العلاء كان طعانا بالنووي ويحرم النظر الى كتبه. فإن كانت شهادته عندكم معتبرة فخذوا بحكمه في النووي وابن عربي!

ويحتج الزبيدي هو والحافظ العراقي بتصحيحات وتضعيفات ابن

---

(١) يحتج جميل حليم بما ذكره صاحب كتاب (براءة الأشعريين من عقائد المخالفين ٢/ ٦٥ ـ ٦٦) كدليل على كفر من يقول بأن ابن تيمية شيخ الاسلام. وقد كتب الشيخ ناصر الدين الدمشقي كتابا في الرد على مقولة العلاء البخاري بعنوان (الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر).

تيمية في الحديث كما في شرح الإحياء(١/ ٤٤٩) فقد قال عن حديث» الشيخ في قومه كالنبي في أمته» «قال العراقي: وسئل عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جملة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له».

ولقد قرأت كتابه (الاتحاف كله) وعرفت الزبيدي رجلا دمث الخلق موقرا لأهل العلم ولو كان مخالفا لهم في بعض المسائل.

ان احتاج الى عد التسبيح بعده اشارة لا افصاحا و يعمل بقولهما فى المضطر اه وهو اشارة لما تقدم ان عد التسبيح فى الصلاة باليد مكروه عند أبى حنيفة وجوزه الصاحبان وذلك بان يكون بقبض الاصابع أو بسبحة يمسكها بيده ولا يكره الغمز بالانامل ولا الاحصاء بالقلب اتفاقا والعد باللسان مفسد اتفاقا كذا فى شرح الديرى على الكنز ولكن قال فى مجمع الروايات قيل أراد الشيخ به العد بالاصابع وقيل بالقلب والاصابع أيضا لانه ينقص من الخشوع وقيل محمد مع أبى حنيفة وقيل لا باس فى التطوع اجماعا وانما الخلاف فى المكتوبة وقيل يكره فى المكتوبة اتفاقا وانما الخلاف فى التطوع * الثالثة قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حديث صلاة التسبيح قد ضعفه الائمة الاكابر كاحمد وغيره وكرهوها ولم يعمل بها أحد من أئمة المسلمين لا الائمة الاربعة ولا ابن المبارك ولا غيرهم بل نص أحمد وغيره على

اللسان اما حقيقة أو مجازا فتأويله تعطيله وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتاب ألفه فى هذا النوع ان تعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم بين لاصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى لتبين ما نزل اليهم يتناول هذا وهذا وكانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل روى ذلك عن عثمان وابن مسعود رضى الله عنهما قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ولهذا يبقون مدة فى حفظ السورة وذلك لان الله تعالى قال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وقال أفلا يتدبرون القرآن وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن ولهذا كان النزاع بين الصحابة فى تفسير القرآن قليلا جدا وفى التابعين كذلك بالنسبة الى من بعده ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة وربما تكلموا فى بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف فى التفسير قليل وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان أحدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسير الصراط المستقيم باتباع القرآن أو بدين الاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما انما نبه على وصف غير الوصف الآخر وكذلك قول من قال هى السنة والجماعة وقول من قال هى طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم أشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل بصفة من صفاتها الثانى ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع

صورتان من كتاب إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين:
إحداهما في المجلد الثالث صفحة ٤٨٢
وثانيهما في المجلد الرابع صفحة ٥٣٧

السيوطي ينقل ثناء الزملكاني على ابن تيمية

والسيوطي يصف ابن تيمية «شيخ الاسلام أحد المجتهدين» «تقي الدين» وتلميذه بـ «العلامة شمس الدين ابن القيم»[(١)] .

ونقل عن الزملكاني ثناءه على ابن تيمية وأنه «سيدنا وشيخنا الإمام العالم الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة علامة العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدين أوحد علماء الدين بركة الاسلام حجة الأعلام برهان المتكلمين قامع المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة، محيي السنة، ومَن عظُمت به الله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة، واستبانت ببركته وهديه المحجة، تقي الدين ابن تيمية: أعْلى اللهُ منارَهُ وشيد من الدين أركانه» .

ثم أنشد يقول:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلّتْ عن الحصرِ
هو حجةٌ لله قاهرةٌ ... هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آيةٌ في الخلق ظاهرة ... أنواره أربَتْ على الفجر

قال السيوطي: نقلتُ هذه الترجمة من خط العلاّمة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمال الدين الزملّكاني رحمه الله .

---

(١) صون المنطق ٢٠١ الحاوي للفتاوي ١/١٢٣ و ٢٢١ و ٢/١٣٦ و ٣٤١.

ـ وكان يقول « لم يُرَ منذ خمسمائة سنة أحفظ منه»[١].

ـ وكان يدعو لابن تيمية[٢]. ويحتج كثيرا بأقوال تلميذه ابن القيم ويصفه بالعلامة شمس الدين[٣].

وينقل ثناء البرزالي عليه

قال السيوطي «ونقلتُ من علم الدين البرزالي: قال: قال سيدنا شيخنا الإمام العالم العلامة القدوة، الحافظ، الزاهد، العابد، الوَرع، إمام الأئمة، حبر الأمة، مفتي الفرَق، علامة الهدى، ترجمان القرآن، حسنة الزمان، عمدة الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، زكي الشريعة والفنون البديعة، ناصر السنة، قامع البدعة، تقي الدين ابن تيمية الحرّاني، أدام الله بركته ورفع درجته» (الأشباه والنظائر النحوية ٣/ ٦٨١ ـ ٦٨٣).

---

(١) الأشباه والنظائر النحوية ٣/ ٦٨١ أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح لصفدي ١/ ٧١ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

(٢) صون المنطق ٢٠١.

(٣) صون المنطق ٢٠١ الحاوي للفتاوي ١/ ١٢٣ و ٢٢١ و ٢/ ١٣٦ و ٣٤١.

الذين لقبوا ابن تيمية «شيخ الاسلام»

أما عن استحقاق ابن تيمية للقب شيخ الاسلام:

فاسأل الحفاظ: السيوطي وابن رجب واسأل الشعراني لماذا لقبوه بهذا اللقب. فقد جاء في كلام السيوطي عن ابن تيمية «شيخ الاسلام، الحافظ الفقيه المجتهد المفسر البارع، شيخ الاسلام، نادرة العصر، عَلَم الزُهّاد»[١].

* واسأل الزبيدي صاحب تاج العروس واتحاف السادة: لماذا وصفه في كتابه (إتحاف السادة) بشيخ الاسلام وأثنى عليه واحتج بأقواله مرات عديدة في إتحافه ثم بعد أن وصفه بشيخ الاسلام ونقل له كلاما عظيما في أصول القرآن قال «انتهى ملخصا من كلام ابن تيمية وهو كلام نفيس جدا»[٢].
* بل اسأل التاج السبكي الذي كان يفخر بأن الحافظ أبا الحجاج المزّي لم يكتب بخطه لفظ (شيخ الاسلام) إلا لاثنين: لأبيه تقي الدين السبكي ولتقي الدين ابن تيمية[٣].
* واعترف الحافظ العلائي بأن المزي لم يكن يثبت لفظ «شيخ

---

(١) طبقات الحفاظ ٥١٦، ترجمة رقم (١١٤٤) ومقدمة كتاب السيوطي صون المنطق والكلام ص ١ والأشباه والنظائر للسيوطي ٣/ ٦٨٣.

(٢) اتحاف السادة المتقين ٤/ ٥٣٧.

(٣) طبقات الشافعية ١٠/ ١٩٥ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٧ الأشباه والنظائر ٣/ ٦٨١ ـ ٦٨٣.

الاسلام» إلا للتقي السبكي ولابن تيمية[١].

* والشيخ ملا على القاري الحنفي الذي كان كثير الذب عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كما في شرح الشمائل ووصفهما بأنهما شيخا الاسلام ومن أولياء هذه الأمة وأكابرها.

* والشعراني (عبد الوهاب) الذي كان يصفه «شيخ الاسلام»[٢].

* والشيخ شمس الدين محمد بن صفي الدين الحنفي الذي قال «ان لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن؟ وقالها قاضي القضاة ابن الحريري الحنفي الذي لقي الأذى بسبب وقفته المنصفة تجاهه[٣].

* وابن طولون الذي يصفه «التقي شيخ الاسلام» ويشهد له بأنه «علامة زمانه»[٤]. فهؤلاء أثنوا عليه بعد موته حتمًا وفيه رد على ادعاء الحبشي أن ذاك الثناء كان أول الأمر.

الذهبي يصفه بشيخ الإسلام

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الذهبي من الثناء على ابن تيمية ووصفه بشيخ الإسلام[٥].

وقال في كتاب دول الإسلام: «وفي ذي القعدة توفي بالقلعة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، عن سبع

---

(١) نقد الطالب لزغل المناصب ٥٤ للعلائي.

(٢) لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الاطلاق ٥٥٦.

(٣) الدر الكامنة ١/ ١٤٧ البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ١٤٢.

(٤) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ٢/ ٤٥٢ و ٤٥٨.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٣ و ١١/ ٣٥٠ و ٢١/ ١٥٦ ـ ٢١/ ١٦١.

وستين سنة وأشهر، وشيّعه خلق أقل ما حزروا بستين ألفا، ولم يخلف بعده من يقاربه في العلم والفضل»[١].

وأنتم تبطلون كلام الحافظ ابن حجر الذي يثبت اختلاط السبيعي وترجحون عليه قول الذهبي في نفي الاختلاط عنه: فما لكم تتجاهلون ثناءه على ابن تيمية ووصفه بشيخ الاسلام؟

---

(١) دول الاسلام للذهبي ٢٣٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

موقف الرفاعية من ابن تيمية

وبالرغم من نقد ابن تيمية للرفاعية إلا أن العديد من كبارهم كانوا يثنون عليه، ومع هذا لم يخطر ببال واحد منهم أن يتهمه بالكفر.

ـ فمع تحامل الصيادي (محمد أبو الهدى) عليه إلا أنه كان يدعو له قائلا «نسأل الله أن يرحمه ويعفو عنه»[١]. وكذلك الوتري[٢].

ـ وكان الشيخ صالح المنيعي الرفاعي يصفه بـ: «العالم المبارك» مع معاداته له[٣] وهذا يدل على أنه لم يكن عندهم كافرًا. ومع كون الحبشي رفاعي الطريقة فإنه لا يبالي برأي أعيان طريقته في ابن تيمية. فإن كنا عند الحبشي ضالين لامتناعنا عن تكفيره فلماذا لا يحكم بكفر الأئمة الأفاضل الذين أثنوا على ابن تيمية أولا، وبكفر الشعراني الذي وصفه بـ « شيخ الاسلام» ثم بكفر رفقائه في الطريقة الرفاعية التي ينتمي إليها لثنائهم عليه، ثم يحكم علينا بعد ذلك بالكفر!

فلست أعتقد أن يخفى حال ابن تيمية على هؤلاء جميعا، ثم لا يتفطن لذلك إلا الحبشي وأتباعه المشتهرون بتكفير أغلب الناس حتى ضرب بهم المثل ولقبهم الآخرون بـ «فرقة المكفرة»[٤].

---

(١) قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر. لمحمد بن حسن وادي الصيادي ٢٠٨ و٢١٥ و٢١٧.

(٢) روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للوتري ١٤١.

(٣) روضة الناظرين ١٤١.

(٤) الموسوعة الحركية ٢٥٩ للأستاذ فتحي يكن.

الجـواب الفصـــل

وإذا كان الحبشي يحتج بتزكية عبد الوهاب الشعراني لابن عربي وتبرئته من الكفر[١] فلماذا لا يقبل شهادته في ابن تيمية وهو الذي كان إذا ذكره يلقبه بـ «شيخ الاسلام»[٢]. والفرق أن أكثر الذين أثنوا على ابن تيمية اتفقوا على كفر ابن عربي وعلى التحذير من كتبه الفاسدة.

غير أن الحبشي لا يقيم لشهاداتهم وزنًا، ويتمسك بشهادة الشعراني: فهلا تمسك بشهادة الشعراني في ابن تيمية؟! هذا جواب ملزم له ولأتباعه لا يسهل لهم الاجابة عليه.

وإذا لم يقُل أفاضل العلماء بكفره بل أثنوا عليه وعظموه وأنصفوه فمالذي يجعلنا نبطل شهاداتهم كلهم ونستبدلها بشهادة حبشي شهد أن ألفاظ القرآن من إنشاء جبريل لا من كلام الله، وأن القرآن ليس باللغة العربية وأباح خروج المرأة متعطرة متزينة متبرجة، وأباح الربا ومنع الزكاة وأباح صلاة المتلبس بالنجس والتحايل على الله، وأجاز الاستغاثة بالموتى من دون الله، واستباح الكذب واستعان بالباطنية والقرامطة فكيف تؤخذ شهادة رجل كهذا وتُرَدُّ شهادات العدول الأفذاذ؟

نعم، روي عن العلائي تضليل ابن تيمية ولعله حمله على ذلك

---

(١) الدليل القويم ١٥٢.

(٢) لطائف المنن والاخلاق ٥٥٦.

تعصبه عفا الله عنه[١] ومثال التعصب قوله بأن رئيسا أهل السنة هما الماتريدي والأشعري اللذين لا يعارضهما إلا ضال مبتدع[٢].

وهذا عجيب منه: فإن أَتْبَاع كل من الفريقين لم يزل معترضًا على الآخر، حتى حكم الماتريدية بضلال الأشاعرة في بعض المسائل بل كفّروهم كما في مسألة خلق الإيمان. فالمذهبان ليسا مذهبًا واحدًا وأحدهما يرى الآخر ضالا. وكلاهما يتفقان على تقديم الرأي على النص ولهذا تضاربت آراؤهم واختلفوا.

وكذلك الأمر بالنسبة للسبكي والحصني والهيتمي فهؤلاء أشاعرة في العقيدة مدافعون عن المذهب، دعاة إلى التأويل في أسماء الله وصفاته. يحكمون على مثبت الصفات بخبث الاعتقاد وتشبيه الله بخلقه: فتنةً له عن إثبات الصفات، ودفعًا به إلى التأويل المحفوف بالمخاطر.

وليس من الإنصاف جعل الخصم هو الحَكَمَ، وتحكيم من تخاصموا مع ابن تيمية في العقائد فإنهم على مذهب جديد اسمه المذهب (الأشعري) أو (الماتريدي) لم يعرفه الأشعري نفسه الذي تاب من بدعة الاعتزال وصار يحيل الناس إلى معتقد أحمد بن حنبل. ومجرد تعصب المنتمين لمذهبهم سبب كافٍ للطعن في المخالف له، كما رأيت من العلائي.

---

(١) وروي عنه عكس ذلك من الثناء عليه.

(٢) نقد الطالب لزغل المناصب ٣٦.

ولذلك قال ابن تيمية لخصومه الذين عقدوا له مجلس تحقيق: من الذي يحكم بيننا فقالوا: نحن الحَكَم فيك. فقال: أنتم خصمي فيكف تكونون الحَكَم فيما بيني وبينكم؟!

قاعدة في جرح العلماء بعضهم لبعض

قال الألولسي «فإن قلت: قد تبين أن من العلماء من هو قادح في الشيخ ابن تيمية وإن كانوا أقل من الفرقة الراضية المرضية، إلا أنه قد عُرف من القاعدة التي عليها التعويل: أن الجرح مقدم على التعديل. فما الجواب المميز للخطأ عن الصواب».

والجواب: قال العلامة ابن عابدين في محشى «الدر المختار» في كتابه «سلُّ الحُسام»[(١)] «إن هذه القاعدة [الجرح مقدم على التعديل] إنما هي في غير من اشتهرت عدالته، وفي غير من عُلم أن التكلم فيه ناشىء عن عداوة أو جهالة وعباوة، فقد قال الحافظ الباجي:

الصواب عندنا أن مَن كثُر مادحوه ومزكّوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره **فإنّا لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة، وإلا**: فلو فتحنا هذا الباب وأخذنا تقديم الجُرح على إطلاقه لما سَلم لنا أحدٌ من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.

وعن مالك بن دينار «يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا في قول بعضهم في بعض»[(٢)]. وعن ابن عباس «اسمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده هم أشد تغايراً من

---

(١) لعله نقلها عن السبكي.

(٢) طبقات السبكي محقق ٢/ ٩ غير محقق و١/ ١٨٨.

التيوس في زروبها»[١].

قال: «ومما ينبغي أن يُتفقد عند الجرح: حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح، فربما خالف الجارحُ المجروح في العقيدة فجرحه لذلك. وإليه أشار الرافعي بقوله: «وينبغي أن يكون المُزكّون برآء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفًا من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق، وقد وقع هذا لكثير من الأئمة، جُرحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب».

وقال الذهبي والحافظ ابن حجر العسقلاني وأبو نعيم الأصفهاني: «إن قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول، لا سيما إذا لاح أنه لعداوة أو مذهب، إذ الحسد لا ينجو منه إلا من عصمه الله تعالى. قال الذهبي: «وما علمتُ عصرًا سلم أهله من ذلك».

وقال عند ترجمة الفضيل: «إذا كان مثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج ومثل الفضيل بن عياض يتكلم فيه، فمن الذي يَسْلم من ألسنة الناس؟ ولكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء يفتقر إلى وزن بالعدل والورع»[٢].

ـ وقال القنوجي في هداية السائل إلى ادلة المسائل «قد فتح باب التقليد والتمذهب عداوات وتعصّبان قلّ من سَلِمَ منها إلا من عصمه

---

(١) اتحاف السادة المتقين ٦/ ٣٦٢.
(٢) سير اعلام النبلاء ٨/ ٤٤٨.

الله»[١].

وقال الإمام أحمد «كل رجل ثبتت عدالته لم يُقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه»[٢].

وقال ابن جرير الطبري: «لو كان كلُ من ادُعِيَ عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادعى به، وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك للزم تركُ أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قومٌ إلى ما يُرغب به عنه. ومن ثبتت عدالته لم يُقبل فيه الجرح، وما تسقط العدالة بالظن»[٣].

ولنمض بعد هذه القواعد المهمة مع بعض خصوم ابن تيمية.

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ١١١ سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٩ وانظر كلام الصيادي في ذلك (قلادة الجواهر ٢٠٧).
(٢) تهذيب التهذيب ٧/ ٢٧٣.
(٣) هدي الساري ص ٤٢٨.

عصور التعصب والمذهبية

وقد اتسم عصر ابن تيمية بالتحيز الفكري والغلو الصوفي والتعصب الأشعري «فكلٌ له إمام يتبعه في الفقه وفي العقيدة»[١] وفي كل مدينة أربعة قضاة: قاض يقضي حسب المذهب. وإمام يؤم حسب المذهب.

قال في مقدمة سير إعلام النبلاء للذهبي: «وكانت بلاد الشام تشهد نزاعًا مذهبيًا وعقائديًا حادًا، كان الحُكّام المماليك يتدخلون فيه في كثير من الأحيان فينُاصرون فئة على أخرى، وكان الأيوبيون قبل ذلك قد عنوا بنشر عقيدة الأشعري واعتبروها العقيدة الحقة التي يجب اتّباعها، وكان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله أشعريًا متعصبًا كما هو معروف من سيرته، فلذلك أصبحت للأشاعرة قوة عظيمة في مصر والشام»[٢].

كل هذا يؤكد أنه من الإجحاف أن تكون محاكمة ابن تيمية بيد خصومه. وأن العصبية للمذهب وحسد العلماء المعاصرين كان الدافع وراء الحملات عليه عفا الله عنهم جميعًا.

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ٦٤٢ محمد أبو زهرة.
(٢) سير اعلام النبلاء ١/١٣.

موقف الحصني من ابن تيمية

واحتج الحبشي بموقف تقي الدين الحصني الشديد العداء من ابن تيمية.

ويكفي في بطلان هذا الاحتجاج شهادة كثيرين في الحصني كالحافظ ابن حجر وابن قاضي شهبة والمقريزي والسخاوي أنه كان شديد التعصب[١] والتعصب يعمي عن الحق ويؤدي إلى ظلم الآخرين.

وكان الحصني يصرّح بكفر ابن تيمية، فأهانه القضاة والحنابلة وأهالي دمشق إهانات كثيرة واحتقروه[٢].

ونرى الإمام السخاوي ينقل عن الإمام المقريزي شدة عصبية الحصني وغلوه تجاه ابن تيمية بل وتجاه الحنابلة بشكل عام. فيقول: «وذكر المقريزي في عقوده أن الحصني كان شديد التعصب للأشاعرة، منحرفًا عن الحنابلة إنحرافًا يخرج منه عن الحد. وتفحش في ابن تيمية، وتجهر بتكفيره من غير احتشام، بل يصرح بذلك في الجوامع والمجامع، بحيث تلقى ذلك عنه أتباعه واقتدوا به جريا على عادة أهل زماننا في تقليد من اعتقدوه، وسيُعرضان جميعا على الله الذي يعلم

---

(١) الضوء اللامع ٦/ ٨٣ إنباء الغمر بأبناء العمر ٨/ ١١٠ ـ ١١١ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤/ ٩٨ الضوء اللامع ٦/ ٨٣.

(٢) الرد الوافر ٢٦١ الضوء اللامع ١/ ١٤٥ البدر الطالع ١/ ٢٨.

المفسد من المصلح. ولم يزل على ذلك حتى مات عفا الله عنه»[١].

وذكر السخاوي أيضًا أن الشيخ إبراهيم بن محمد الطرابلسي اجتمع بالحصني وقال له: «لعلك التقي الحصني. ثم سأله عن شيوخه فسمّاهم. فقال له: إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحطّ عليه أنت؟! فما وسع الحصني إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر يردّ عليه»[٢] انتهى قول السخاوي.

فهذا الموقف من الحصني دليل على الشذوذ والتعصب. لا سيما وأن عامة أهل العلم لم يُعرف عنهم مثل هذا الموقف. ولذلك كان كلام المقريزي والسخاوي مشعران بتوبيخه.

وقد نقل الحبشي من كلام الحصني[٣] أنه «بلغه عن شخص» أنه نبش قبر ابن تيمية فوجد على صدره ثعبانًا مخيف المنظر»[٤].

وهذا الذي بلغه عن مجهول (ولعله من مكاشفي الصوفية) لو صح لكان كرامة لابن تيمية فلعل ذاك الثعبان أن يكون من جنود الله يحميه به من أمثال هذا الحاقد الذي يحمله حقده على نبش قبور أعدائه! ونبشه للقبر يجعله مستحقًا للعنة لما جاء عن عائشة «**أن النبي ﷺ لعن المختفي والمختفية**»[٥] أي نبّاش القبور.

---

(١) الضوء اللامع ٦/ ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) الضوء اللامع للسخاوي ١/ ١٤٥ البدر الطالع للشوكاني ١/ ٣٠.

(٣) في كتابه دفع شبَه من شبّه وتمرّد ٨٨)

(٤) المقالات السنية ٧٧.

(٥) رواه البيهقي في السنن ٨/ ٢٧٠ بسند صحيح (الصحيحة ٢١٤٨).

والمتأمل في كتاب الحصني المذكور يجد العديد من الخرافات والمبالغات وكثرة محادثة رسول الله والاستغاثة به عند قبره. فالحصني «حبشي» المنهج.

موقف أبي حيان من ابن عربي

وذكر الحبشي أن السبكي نقل عن أبي حيان المعاصر لابن تيمية أنه اطلع على رسالة ابن تيمية العرشية، فلما قرأها ما زال يلعنه حتى مات لما رأى فيها من الكفر(١). زعموا أنه قال فيها إن الله أخلى لمحمد ﷺ مكانًا على عرشه ليُجلسه عليه.

وهذا الكلام وجدته في النسخة التي طبعها الأحباش من كتاب «النهر الماد من البحر المحيط» موضوع بين قوسين طبعته دار الجنان الحبشية المسؤولة عن تحريف كتاب تحفة الأنام للشيخ عبد الباسط فاخوري، حيث حذفوا منه ست صفحات نص فيها الشيخ الفاخوري على موافقة محمد بن عبد الوهاب لما جاء به نبينا ﷺ والأنبياء من قبله، واستنكر ما حاق بالأمة من اعتقاد الربوبية في الأولياء وأنهم يتصرفون في الأكوان. ووجدت نفس النسخة التي حققها الحبشيان (بوران وهديان الضناوي) طبعتها لهما دار الفكر، وأما الطبعة القديمة التي طبعتها دار السعادة بمصر فلم أجد فيها هذه العبارة.

ومن هنا لا يجوز التسليم بكل ما يرويه الأحباش لأن النصوص التي يهجموا بها على العامة لا تخلو:

إما أن تكون محرفة مختلفة.

---

(١) الدليل القويم ٣٩.

وإما أن تكون مقتطعة مجتزأة لو قرئت بشكل سليم كامل لظهر التحريف.

ولذلك لا يسلم لهم هذه الزيادة حتى يأتونا بالدليل على تضمنها في المخطوطة. وعلى افتراض ثبوتها فليس من سمات المنصفين التخلي عن شهادة الحفاظ كالسيوطي والمزي والذهبي وابن حجر العسقلاني وابن رجب وابن دقيق العيد، والحافظ البزار وبدر الدين العيني وملا علي قاري وغيرهم.

وتقديم شهادة لغوي أشعري متعصب على جملة من الحفاظ هو عين التجني.

فإن كان صاحب هذا الكلام ـ على افتراض صحته عن ابن تيمية ـ يستحق صاحبه به اللعن فإليكم ما حكاه السيوطي عن أبي العباس الطنجي تليمذ شيخكم أحمد الرفاعي. وفيها أن الشيخ عبد الرحيم بقنا قال له: «اذهب إلى بيت المقدس لتعرف رسول الله هناك. قال: فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ»[(١)].

فالعرش مملوء بالنبي ﷺ وليس جزءًا منه فقط؟!

---

(١) الحاوي للفتاوي ٢/ ٢٦٠ و ٢٦٥.

هل يعني ذلك جواز لعن ابن فورك والخطيب؟ :

فإن كان يستحق اللعن لمجرد روايتها فقد رواها الخطيب في تاريخه الذي أخذتم منه رواية تبرك الشافعي بقبر أبي حنيفة وتمسكتم بها تعصبًا منكم وتحيزًا. فقد ذكر الخطيب رواية «الكرسي الذي يجلس عليه الرب عز وجل، وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد» قال الخطيب: قال أبو بكر المروذي قال لي أبو علي الحسين بن شبيب قال لي أبو بكر بن العابد ـ حين قدمنا بغداد ـ أخرج ذلك الحديث الذي كتبناه عن أبي حمزة، فكتبه أبو بكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعًا.

وقال أبو بكر بن سلم «إن الموضع الذي يفضل لمحمد ﷺ ليجلسه عليه، قال أبو بكر الصيدلاني: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبي بكر المروذي وعلى أبي بكر بن سلم العابد» (تاريخ بغداد ٨/ ٥٢).

فهل تلعنون الخطيب البغدادي لهذه الرواية التي لا يعقب عليها بشيء بل يحكي ما يفيد الزجر على من يطعن في صحتها!

وهل تلعنون ابن فورك وهو الذي روى الحديث الباطل الذي تتهمون ابن تيمية بروايته وهو «إن الله ملأ العرش حتى إن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد قائلا هكذا ووضع أحداهما على الأخرى، قال: ووضع حماد ساقه على ركبته اليسرى».

ثم حاول أن يوجد له تأويلا على عادته في سياقه الروايات الباطلة وتأويلها فقال: «يحتمل أن يكون المراد ملأه عظمة ورفعة»[١].

وبالجملة فالرسالة العرشية التي بين أيدينا ليس فيها ما يزعمون؟ بيد أنهم يصرّون على أن له رسالة عرشية أخرى غير هذه المتداولة. أو أن هذه الرسالة قد تم حذف شيء منها، هكذا إدعاء لا أساس له. فليبرزوا لنا الأصل المخطوط للرسالة إن كانوا صادقين.

وعجبًا لهؤلاء أن يقولوا عن كتب خصومهم: «خُذف منها هذا الكفر». بينما يقولون في كتب أحبابهم من أهل الحلول والاتحاد كابن عربي «دُسّ فيها هذا الكفر» فتأمل التحيز والتعصب واتباع الهوى.

ثم إن الحافظ ابن حجر صرّح بأن الإشكال بين أبي حيان وابن تيمية إنما وقع حول قضية تتعلق بالنحو فقد دار جدال بينهما في النحو فخطّأ ابنُ تيمية سيبويه في مسائل فلما عارضه أبو حيان لذلك قال له ابن تيمية «لم يكن سيبويه نبيًا معصومًا».

قال ابن حجر[٢]: «فاعتبر أبو حيان هذه الكلمة ذنبًا لا يُغتفر، وكان هذا سبب مقاطعته إياه».

---

(١) مشكل الحديث وبيانه ٣٤١.

(٢) الدرر الكامنة ١: ١٥٢ ـ ١٥٣.

اختبار الصدق

ولئن كانت شهادة أبي حيان معتَبَرة عند الحبشي إلى هذا الحد: فليأخذ بشهادته في ابن عربي بأنه حلولي فاجر يعتقد بوحدة الوجود؟!.

فقد قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ «ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تسربل بالإسلام ظاهرًا وانتمى إلى الصوفية: [استنبط] حلول الله في الصور الجميلة.

ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج والشوزي **وابن عربي** المقيم بدمشق وابن فارض والملعون العفيف التلمساني.. قال: «وإنما سردتُ أسماء هؤلاء نصحاً لدين الله تعالى وليحذر المسلمون منهم»[١] انتهى.

فلماذا يميل الحبشي إلى موقف ابن حيان من ابن تيمية ولا يميل إلى موقفه من ابن عربي؟ إنه الهوى والجور.

وبهذه الطريقة أيضًا تستطيع أن تلقم هؤلاء المكفرين حجرًا.

فإن قالوا لك إن أبا حيان لعن ابن تيمية[٢]. فقل لهم وكذلك لعن أبو حيان ابن عربي فهل تقبلون بحكمه في كلا الرجلين!.

---

(١) تفسير البحر المحيط ٣/ ٤٤٩.

(٢) وهل كل لاعنٍ يكون محقًا في لعنه؟!

ابن طولون يحكي الاجماع على كفر ابن عربي

ونص ابن طولون على أن غالب الفقهاء وجميع المحدّثين يعتقدون في ابن عربي أنه مبتدع إتحادي ملحد، قال: وسمعت الشيخ الكفر السوسي يقول: رقاهم بعض المتأخرين الى نحو خمسمائة منهم قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز المصري، والعلامة شهاب الدين أحمد بن حمدان الحراني، وعلامة زمانه تقي الدين ابن تيمية والعلامة كمال الدين جعفر الأدفوي، والحافظ ابن كثير، ونادرة زمانه علماً وعملاً علاء الدين البخاري، وقاضي القضاة أبو زرعة العراقي وقاضي القضاة بدر الدين العيني، وشيخ الاسلام شمس الدين البلاطنسي، والعلامة محمد بن إمام الكاملية الصوفي، وحافظ العصر شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، والفقيه تقي الدين ابن الصلاح، وقاضي القضاة ابن دقيق العيد، وبدر الدين ابن جماعة، وشيخ الاسلام تقي الدين السبكي(١) فماذا عساكم تقولون؟!

ثم إن محاولة تبرئة ابن عربي محاولة فاشلة فقد ثبت عليه القول بوحدة الوجود وتتلمذ عليه أناس من كبار القائلين بوحدة الوجود أمثال القونوي وبخاصة عبد الحق ابن سبعين الذي شنع عليه أبو حيان والذهبي وابن حجر، وكذلك بدر الدين العيني الذي أثنى على موقف ابن تيمية في التشنيع عليه وعلى أمثاله من القائلين بوحدة الوجود(٢).

---

(١) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ٢/٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٢) عقد الجمان لبدر الدين العيني ٢/٨٦ النجوم الزاهرة للاتابكي ٧/ ٢٣٢.

فتلمذة ابن سبعين على ابن عربي وتأثره بتعاليمه يعتبر الدليل الأكبر على صحة نسبة كتاب الفصوص إليه لاسيماوأن ابن سبعين شرح الكتاب المذكور[١].

---

(١) مخطوط بمكتبة برلين ٢٨٤٩.

موقف التقي السبكي

وقد وبّخ الذهبيُ السبكَي لتكلمه في حق ابن تيمية فأجابه السبكي برسالة أثنىٰ فيها على ابن تيمية.

قال الحافظ ابن حجر «وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فكان من جملة جواب السبكي:

«وأما قول سيدي الشيخ في حق ابن تيمية، فالمملوك يتحقق كبيرَ قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره (أي قدر ابن تيمية) في نفسي أكبر من ذلك وأجلّ، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه، وجرْيه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفىٰ، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان» انتهى قول السبكي فيما حكاه الحافظان ابن حجر وابن رجب [١].

هكذا كان موقف السبكي الأب (تقي الدين) من ابن تيمية يدعو له بالرحمة بالرغم من العداء العقائدي ويصفه «تقي الدين»[٢].

---

(١) الدرر الكامنة ١/ ١٥٩ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢.

(٢) انظر كتابه شفاء السقام ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٢٩ ـ ١٣٢.

تهوّر السبكي الابن:

ولم يسلك السبكي الابن مسلك والده، فقد بقي يطعن في ابن تيمية بأقذع النعوت وأقبحها، وانتقده الناس على ذلك حتى نسبه السخاوي إلى التعصب المقيت لقوله في طبقاته: «وهل ارتفع للحنابلة قط رأس».

قال السخاوي: «وهذا من أعجب العجاب وأصحب للتعصب. ولذا كتب تحت خطه قاضي عصرنا وشيخ المذهب العز الكناني مانصه «و كذلك والله ما ارتفع للمعطلة رأس. . . .» الى أن قال عن التاج السبكي «هو رجل:

١ـ قليل الأدب

٢ـ عديم الإنصاف.

٣ـ جاهل بأهل السنة ورُتبهم»[1] انتهى.

ولقد عامل الله السبكي بما يستحق، فقد ذكر الشعراني في الأجوبة المرضية أن الناس شهدوا على السبكي بالكفر والانحلال والزنا وشرب الخمر وأنه كان يلبس الغيار والزنار بالليل ويخلعهما بالنهار[2].

قال ابن كثير «وعقد مجلس لقاضي القضاة السبكي بسبب عظائم

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ٩٤ ط: الرسالة.
(٢) قلادة الجواهر ٦، ٢ جلاء العينين ٢٤ ـ ٢٥ والاعلام للزركلي ٤/ ١٨٤.

اتهموه بها ينبو السماع عن استماعها»[١].

ونحن والله لا نرجو أن يكون ذلك صدقاً، ولن نسارع أو نميل إلى تصديقه، ولكن لعل الله ابتلاه بما ظلم ابن تيمية. ولابد للظالم أن يُبتلى بظلمٍ مثله.

وأي إنصاف تتوخاه من رجل لم يتورع عن الطعن واللعن بالمخالفين لمذهبه حتى أدى به الأمر أن أكثر من النَيل من شيخه الذهبي، ولم يتوخ الأدب بحقه وهو من هو الناقد البصير الذي شهدت كتبه وسيرته الحسنة بإنصافه وحسن عقيدته. ولا زال أهل العلم بل والمخالفون له من أهل البدع يحتجون بحكمه على أحاديث الحاكم في المستدرك صحة وضعفاً؟!

وإذا بلغ الأمر بالتاج السبكي الى هذا الحد فما الذي يجعله يتورع عن سب شيوخه والتشهير بهم؟! أليس هذا التطاول والجرأة في الطعن يجعله جديراً بما رواه السخاوي عن الكناني من أن السبكي رجلاً «قليل الأدب، عديم الإنصاف، جاهل بأهل السنة ورُتبهم»[٢]؟!

ولذلك فلا أزال أقول: راقبوا وتأملوا سير وأخلاق ومنهج الطاعنين ـ المتعصبين ـ في ابن تيمية وقارنوهم بأولئك الأئمة العدول الكبار الذين أثنوا عليه: عندها تعرفون الحقيقة.

---

(١) البداية والنهاية ١٤: ٣١٦.

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ٩٤ ـ ٩٥.

دعاؤه لابن تيمية بالمغفرة يكشف أحقاد المعاصرين

ومع طعنه الكبير بابن تيمية فإنه كان يدعو له من وقت لآخر كما قال في طبقاته: «يغفر الله لابن تيمية ولا حرمه وسيلة النبي ﷺ»[(١)].

ويصفه بالشيخ تقي الدين[(٢)]، ومعلوم أن (تقي الدين) وصف له وليس اسماً.

كما ترحّم الذهبي على ابن تيمية وكان يدعو له في كل مناسبة يذكره فيها[(٣)] خاصة بعد موته، **ودعا له الوتري[(٤)] والصيادي[(٥)] والامام الأذرعي كما حكاه الحافظ[(٦)] ودعا له بدر الدين العيني بالرحمة[(٧)]**.

ودعاء السبكي لابن تيمية في الطبقات يبطل نفي صاحب الرسائل السبكية والتوفيق الرباني أن يكون السبكي قد دعا له بالمغفرة.

---

(١) طبقات السبكي ١٠/١٤٩ محققة. ذكر ذلك عند ترجمة والده.
(٢) طبقات السبكي ١٠/ ١٦٧ و ١٩٥ محققة.
(٣) المعجم المختص ٢٥.
(٤) روضة الناظرين ١٤١.
(٥) قلادة الجواهر ٢٠٨ و ٢١٧.
(٦) الدرر الكامنة ١/ ١٦٠.
(٧) عقد الجمان ٤/ ٢٢٣.

علامات التحيز والتعصب والغلو

ومن تعصب التاج السبكي قوله عن أبيه وهو يترجم له:

«اعلم أن باب مباحثه بحرٌ لا ساحل له، بحيث سمعتُ بعض الفضلاء يقول: أنا أعتقد أن كل بحث يقع اليوم على وجه الأرض فهو له، أو مستمد من كلامه وتقريراته التي طبقت الأرض....»[1].

وكانت دعواته تخترق السموات السبع الطباق، وتفترق بركاتُها فتملأ الآفاق، وتسترق خبر السماء[2].

أقسمُ بالله إنه لَفَوْقَ ما وصفتُه، وإني لناطقٌ بهذا وغالب ظني أني ما أنصفتُه» الى أن قال « وما ساقه الله حين قبضه إلا إلى جنة عدن، أعدَت لأمثاله من المتقين الأبرار»[3] وما عانده أحد إلا وأخذه الله بعقوبته سريعاً[4].

وسافر إلى مصر وكان يذكر أنه لايموت إلا فى مصر[5]. وكأن الله استثناه من الآية ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فصارت: إلا السبكي!

---

(١) طبقات الشافعية ١٠/ ٢٦٦.

(٢) وما أدراك أيها الغالي. ويحك قطعت ظهر أبيك!

(٣) طبقات الشافعية ١٠/ ١٤٢ ـ ١٤٣ محققة، وقد سقطت العبارة الآتية من النسخة المطبوعة (وإن الغبي سيظن فِيَّ أمراً ما تصورته) وجاء في الطبقات الوسطى (ولو عددتُ ما شاهدتُ وحكيت ما عانيت لطال الفصل وقال الغبي النذل: ولدٌ يشهد لأبيه).

(٤) طبقات السبكي ١٠/ ٢١٠.

(٥) طبقات السبكي ١٠/ ٣١٥.

وزعم أن رجلا رآه في المنام فسأله عما فعل الله به فقال: فُتِحَتْ لي أبواب الجنة وقال لي: أدخل، فقلت: وعزتك لا أدخل حتى يدخلَ كل من حضر الصلاة عليّ»[١].

ونقل عن برهان الدين القيراطي رثاءه لأبيه قائلا[٢]:

أمسى ضريحك موطن الغفران	ومحل وفد ملائك الرحمن
وتبوأت غرف الجنان وجوزيت	فيها على الإحسان بالإحسان
وتُلُقّيتَ بتحية وأتت لها	تحف الجنان على يدي رضوان
واستَبْشَرتْ بقدومها أملاكها	وسعى لها رضوان بالرضوان
روحُ لها حور الجنان تشوّفتْ	حباً لها كتشوق الولدان
كانت لها الدنياَ محلا أولا	والجنة العليا محل ثان

وهكذا جعلوا قبره مصدر المغفرة، وحكموا له نيابة عن الله بأنه يتقلب الآن في الجنة، هكذا يروج الولد لأبيه بضاعته.

أما أبوه فكان يتلو القرآن جهراً ولو في الحمام، وإذا كانت له حاجة يكتب مطلبه بخطه إلى الله تعالى ويعلقها على خشبة السطح[٣].

وكان يسعى سعياً حثيثا إلى منصب القضاء[٤] في حين كان يعتبر هروب كثيرين من القضاء منقبة وفضيلة. وكان قد أمر المؤذنين بزيادات

---

(١) طبقات السبكي ١٠/ ٣١٧.
(٢) طبقات السبكي ١٠/ ٣٣١.
(٣) طبقات السبكي ١٠/ ٢٠٥ و ٢١٥ مفتاح السعادة ٢/ ٣٢٩ طاش كبري زادة.
(٤) البداية والنهاية ١٤: ٢٠٤.

طويلة بعد الأذان وقبله[١].

وكان الناس يبغضونه وينقمون منه[٢].

وكان عصبي المزاج متعصب المنهاج لا يتورع عن وصف مخالفي رأيه بالزندقة فقد حكى عنه الهيتمي قوله «لا ينقص الغزالي الا حاسد أو زنديق»[٣]. والنقد عنده انتقاص.

ولا يخفاك أيها الأخ المنصف نقد كثيرين للغزالي أبرزهم في ذلك ابن الجوزي وابن الصلاح والقاضي أبو بكر ابن العربي الذي كان معاصراً له. والمازري وأبو بكر الطرطوشي.

قال ابن الجوزي «وجاء أبو حامد فصنف لهم كتاباً على طريقة القوم (الصوفية) وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها . وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه، وقال إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن ابراهيم أنوارٌ هي حُجُبُ الله ولم يرد هذه (الكواكب) المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية، وأن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأوراح الانبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور الى درجات يضيق عنها نطاق النطق»[٤].

---

(١) البداية والنهاية ١٤ : ١٩٤.
(٢) البداية والنهاية ١٤ : ٢٠٦.
(٣) الزواجر ٢/٣٧٩ الاعلام بقواطع الاسلام ٧٧.
(٤) تلبيس ابليس ١٦٦ وانظر المنقذ من الضلال للغزالي ٥٠.

وأوصى الغزالي سالك التصوف أن «لا يفْرُق فكره بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا كتب حديث» وذكر في ميزان العمل (٣١) أنه رغب مرة في قراءة القرآن فمنعه شيخه الصوفي من ذلك قائلا «السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية» فجعل تلاوة القرآن من مشاغل الدنيا.

طلب علم الحديث ركون الى الدنيا؟؟؟؟

واما طلب علم الحديث فقد نقل عن الداراني قوله: «اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا لأن الزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل[1].

علّق ابن الجوزي على ذلك قائلا: «عزيزٌ علّي ان يصدر هذا الكلام من فقيه، فإنه لا يخفىٰ قبحه فإنه طيٌّ لبساط الشريعة التي حثّت على تلاوة القرآن وطلب العلم[2] فهل نعتبر الزندقة في نقد ابن الجوزى أم ماذا؟!

غير أن المتعصبين أول ما يتبادر اليهم عند نقد من يحبونه أنه طعنٌ فيه، ولا ينصفونه ولا يتقبلون نقده مع إحسان ظن ولا ينظرون نظرة تجرد وغيرة على الدين ولا الى ما وراء نقد الخاطئين من صيانة للدين، ومن هنا يسارعون الى الطعن والتشكيك في مصداقية الناقد في نُصحه بل في نيته، ولاينظرون نظرة واقعية متجردة الى ما فيه قيام الدين.

---

(١) الإحياء ٦١/١، ٢٤/٢، ٢٣٧/٢، ٢٢٩/٤.

(٢) تلبيس إبليس ٣٢٣.

هجاء السبكي لابن تيمية
والرد عليه في ذلك

هذا ويحتج الحبشي ببعض أبيات للسبكي يقول فيها:

ولابن تيمية ردٌّ عليه وفي ... بمقصد الرد استيفاء اضربه
لكنه خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى كان فهو له ... حثيث سير بشرق أو بمغربه
يرى حوادث لا مبدأ لأولها ... في الله سبحانه عما يظن به
كما رددت عليه في الطلاق وفي ... ترك الزيارة أقفو إثر سبسبه

ولقد ردَّ عليها اليافعي[1] بقصيدة مطولة جاء فيها:

اليافعي يستعرض كلام السبكي في حق ابن تيمية

وبعد فاسمع كلاما قد تقوله ... قاضي القضاة تقي الدين وانتبه
أعني أبا الحسن السبكي حين غدا ... يبغي من الأمر ما لايستقل به
فقال ذلك إذ رد الإمام على حزب ... الروافض ردا غيرمشتبه
أعني ابن تيمية الحبر الذي شهدت ... بفضله فضلاء الناس والنبه

---

(١) وهو عبد الله بن اسعد بن علي وقصيدته لا تزال مخطوطة محفوظة في مكتبة شيستربتي بايرلندا رقم (٣/٤٩٠٧) تحت عنوان (قصيدة فريدة) ومصورة في جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض، وذكرها الألوسي كاملة في جلاء العينين ١٩.

فاستحسن الرد حتى راح يمدحه ... بما أزال من الإشكال والشبه
لكنه بعد هذا المدح خالفه ... وقال أبيات شعر غير منجبه

أبيات السبكي في حق ابن تيمية

إن الروافض قوم لا خلاق لهم ... من أجهل الناس في علم وأكذبه
والناس في غنية عن رد إفكهم ... لهجنة الرفض واستقباح مذهبه
وابن المطهر لم تطهر خلائقه ... داع الى الرفض غال في تعصبه
ولابن تيميه رد عليه وفى ... بمقصد الرد استيفاء أضربه
لكنه خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى كان فهو له ... حثيث سير بشرق أو بمغربه
يرى حوادث لا مبدا لأولها ... في الله سبحانه عما يظن به
كما رددت عليه في الطلاق وفي ... ترك الزيارة أقفو إثر سببه
وبعده لا أرى للرد فائدة ... هذا وجوهره مما أضن به
هذا الذي قاله السبكي مرتجلا ... وللبسيط أنمي بعض أضربه

رد اليافعي على السبكي

فقال مرتجلا للحق منتصرا عبد يرد عليه في تأدبه
يا أيها الرجل الحامي لمذهبه ألزمت نفسك أمراً ما أمرت به
وما عزوتم إلى الشيخ الجليل أبي العباس أحمد أمراً لا يخص به
في قولكم خلط الحق المبين بما يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو أنى كان فهو له حثيث سير بشرق أو بمغربه
يرى حوادث لا مبدا لأولها في الله سبحانه عما يظن به
لقد علمتم بأن السلف ال ماضين ما خرجوا عما أقر به
هم القرون الألى في نص سيدنا حازوا الفخار بأمر غير مشتبه
لئن رددت عليه في مقالته فقد رددت عليهم فادر وانتبه
ثم الأئمة أهل الحق كلهم يرون ما قاله من غير ماجبه
فردكم ليس مخصوصا بواحدهم بل بالجميع وهذا موضع الشبه
هلا جمعت الألى قالوا بمقالته ليستبين خطاهم من مصوبه
فكلهم خلط الحق المبين بما يشوبه كدر في صفو مشربه
فكلهم كان حشويا لديك يرى وكلهم أنت تقفو إثر سببه
وانظر الى مطلب حاولته طلبا فنسبة المرء تلفى عند مطلبه[1]

---

(١) يعني إلحاحه على السلطان أن يمنحه منصب القضاء والخطابة وكذلك وصيته أن يتولى ذلك بعده ابنه.

وخـذ أدلـة مـا قـالـوه واضحـة ... من الكتاب ودع ما قد هذوت به

فلـلإلـه صفـات الـذات قـد وردت ... بها النصوص بلا ريب ولا شبه

كمـا تـراهـا علـى قسميـن قـائمـة ... بهـا يقينـا يـراهـا مـن أقـر بـه

هـو القـديـم بـأوصـاف منـزهـة ... عن الحدوث كما تأتيك فانتبه

حـي سميـع بصيـر قـادر صمـد ... فرد جليل عظيم الشأن فارض به

فهـــذه كلهـــا ذاتيـــة وردت ... ومثلهـا فـي المعـانـي غيـر مشتبه

كـذلـك فعليـة فـانظـر مثـالهمـا ... وقـس عليـه وراع الفـرق تنج بـه

يحب يبغض يرضى يستجيب يرى ... يجيء يأتي بلا كيف ولاشبه

وقال شاعر آخر:

فضحت نفسك في هذا المقال ولم ... تشعر وعجت عن المرعى وأخصبه

عرفتنا أن ما قد قلت ليس لوجه ... الله بـل للمـرا أقبـح بمنصبـه

إذ لـو أردت بيـان الحـق قلـت بـه ... في محضر الخصم أما في مغيبه

ما ذاك صدك بل خوف الجواب كما ... أجبـت قبـل بسهـم مـن مصـوبـه

لكن إذا الأسد الضر غام غاب عن ال ... عـريـن تسمـع فيـه ضبـح ثعلبـه

وفي الزيارة لم تنصف رددت على ... مـا لـم يقلـه ولـم تمـرر بسببـه

رد، ملخصـــا أشيـــاء أذكـــرهـــا ... إمـا حـديـث ضعيـف عند مطلبه

إمـا صحيـح ولكـن لا دليـل بـه ... علـى مـرادك بـل هـدم لمنصبـه

وهكذا كل من يملون ركائبه ... يمضون خيلاء في ساحل في مجوبه

وانه يحتسب الزور عليه مقتال ابوا ... ولا امر هذا العصر فانتبه

كم جاهل ما تام صار سابقه ... وكم جهول اتاه صار منتبه

وما يريك الكون في الحليب فانتبه ... غير التشبه في التمام من شبه

واين الثريا بحكم اما مهته فيهما ... من الثرى قال هذا كل منتبه

دون نهضتها الحليم من دارت ... الدنيا والراضها يوما باجربه

لو كان يعنيكم انصاف مكرمة ... او جود مرفقا او ذهن منتبه

كنت تقصد هدانا من تجتهده ... على وذ تقلو لهم الملحق به

لو وفق الله اهل الارض قاطبة ... الى الصواب التناكر المعني مذهبه

وما نسيتم الذي عنده كركم ... ترك الزيارة ام الا تعوال به

فقد اجابكم لنا باجوبته ... ازال منها صدى الاشكال والشبه

وقد تبين هذا في مناسكه ... لكل ذي فطنة في الفهم والكتبه

ويحتمي بهتان يشان به ... فاهد بنصبه من زماد نبه

وفيهم الحيا اليها يوسف قد برها ... سعى الانام بها من صنو مشربه

ولم يكن ما فسا فسق الزيارة بل ... شد الرحال اليها فاز منتبه

مستمسكا بصحيح الخبر متبعا ... خير القرون الاولى جاء لمذهبه

مع الائمة اهل الحق كلهم ... فاكرما كما قال قولا غير مشتبه

وقد تلمت بينها حين وافقه ... اهل العراق على فتياه فانتبه

ها هنا وقد تلمت فيما جليته ... فيما تقدم قولا غير منحجبه

لو كان حيا يريكم قول ربهم ... ردوت ما قال ردا غير مشتبه

فلم تر يشعر وكم تري ما بدا اجوبة ... مثل الصواعق تردي من تمر به

تحملد وتيتلا والايات منهلة ... من كل ذي ورع شهم القلب منتبه

ما ضمي يجيبانه كيها سيف فكرته ... بين [illegible] تعل [illegible] تادبه

وله

وقادة هنا اذا اجالت قريحته ... يكاد يخشى عليه من تلهبه

يا طالبون الذي ياتي بمشتبه ... من الكلام ولا يخشون ذي الشبه

فنزل القوم في اعلى منازلهم ... فليس في منصب يحمي بمنصبه

وانظر الى من طغى في الارض من امم ... ولا تكن سالكا في اثر سببه

ان الاله يجازي كل ذي عمل ... بمثل احسانه او قبح مكسبه

هذا جوابك يا هذا موازنة ... بحرا وقافية في النظم والشبه

والحمد لله حمدا لا نفاد له ... جار على مر ما يمضي والحقبه

ثم الصلاة على خير الورى شرفا ... محمد الهادي بمذهبه

والآل والصحب الغر كلهم ... ما اشرق النجم من انوار كوكبه

تمت قصيدة الباني رحمه الله تعالى

موقف الحافظ ابن حجر من ابن تيمية

ويكفيك من ثناء الحافظ ابن حجر عليه ابن تيمية احتجاجه بأقواله وقول تلميذه ابن القيم في العديد من المسائل واصفاً إياه «العلاّمة»و«الحافظ». وقد احتج بحكم ابن تيمية على زيادة «كان الله ولا مكان» بأنه لا أصل لها. قال الحافظ ابن حجر في (الفتح ٦/ ٢٨٩) ما نصه:

«تنبيه: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث [كان الله ولا مكان] [وهو الآن على ما عليه كان] وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث نبَّه على ذلك العلاّمة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلَّمٌ في قوله [وهو الآن] إلى آخره»(١).

وهذه الرواية معتمد الاحباش وغيره ويتمسكون بها ويعارضون بها كثيراً من نصوص الآيات والأحاديث.

فهذا يبين منزلة ابن تيمية عند الحافظ رحمه الله. قاله الحافظ بعد موت ابن تيمية فهل خفي عليه آخر حال ابن تيمية كما تدعون؟

وشهد لابن تيمية استحقاقه مرتبة (حافظ) واحتج بحكمه على درجة الأحاديث كما في كتاب (التلخيص الحبير ٣/ ١٠٩).

وحكى المرتضى الزبيدي في شرح الإحياء (١/ ٤٤٩) عن الحافظ

---

(١) فتح الباري ٦/ ٢٨٩.

العراقي احتجاجه بحكم ابن تيمية على الحديث فقال عن حديث «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» «قال العراقي: وسئل عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جملة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له».

قال الحافظ: «وقرأتُ بخط الحافظ صلاح الدين العلائي عن وصف ابن تيمية منها قوله «متّعَنَا اللهُ بعلومه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الامام العالم الرباني والحبر البحر القطب النوراني امام الأئمة بركة الأمة وارث علوم الأنبياء: آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين شيخ الإسلام حجة الأعلام، قدوة الأنام، برهان المتعلمين، قامع المبتدعين سيف المناظرين بحر العلوم كنز المستفيدين، ترجمان القرآن أعجوبة الزمان، فريد العصر والأوان، تقي الدين، إمام المسلمين، حجة الله على العالمين، اللاحق بالصالحين والمشبه بالماضين، مفتى الفِرَق، ناصر الحق، علامة الهدى عمدة الحفاظ فارس المعاني والألفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة، أبو العباس ابن تيمية»[1].

ولم يقل الحافظ: هذا المدح كان قبل أن تفسد عقيدة ابن تيمية كما يزعمه المفتري.

---

(١) الدرر الكامنة ١٥٩ ـ ١٦٠. وللمزيد طالع الكتاب المذكور. وانظر كتاب الأشباه والنظائر ٣/ ٦٨١ ـ ٦٨٣ للسيوطي.

موقف الذهبي من ابن تيمية
وحقيقة النصيحة الذهبية المزعومة

وأوردوا ما يسمى: «بالنصيحة الذهبية» زعموا نسبتها للذهبي وجهها الى ابن تيمية وهي رسالة:

لم تعرف عنه أبداً.

ولم يذكرها أحد ممن اعتنى بمؤلفات الذهبي.

أنها كتبت بخط خصم ابن تيمية وهو ابن قاضي شهبة على زعم ناشرها المقدسي بتعليقات الكوثري. فهي محكمة أشعرية أو قل: تحكم أشعري.

وهي تخالف آخر ما كتبه عنه الذهبي.

إن كل كتاب للذهبي ورد فيه كلام على ابن تيمية ينادي بأن هذه النصيحة جهمية لا ذهبية. وهي لا تعدو نصيحة اعتبرها صاحبها (ذهبية) وليس كل الذهب حكراً على الذهبي!

آخر أقوال الذهبي قبل موته

ومن يطلع على كلام الذهبي عن ابن تيمية بعد وفاته يتأكد له كذب هذه الرسالة المزعومة. فلا يوجد كتاب للذهبي إلا وفيه الثناء على ابن تيمية لا سيما بعدموته، وإذا ذكره الذهبي قال «شيخنا» وتارة

يقول «شيخ الاسلام»[١]. مثال ذلك:

قال في كتاب دول الاسلام: «وفي ذي القعدة توفي بالقلعة شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، عن سبع وستين سنة وأشهر، وشيّعه خلق أقل ما حزروا بستين ألفا، ولم يخلف بعده من يقاربه في العلم والفضل»[٢].

وقال في تذكرة الحفاظ: «كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء الأجواد: أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان. وقد امتُحِن وأوذي وحُبس بقلعة مصر والقاهره والاسكندرية وبقلعة مصر مرتين وبها توفي ثم جُهّز وأخرج الى جامع البلد فشهده أمم لا يُحصَون فحرزوا بستين ألفاً. وقد انفرد بفتاوى نِيلَ من عرضه لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه، فما رأيتُ مثله»[٣].

«نصر السنّة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة حتى أعلى اللهُ مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته»[٤] والدعاء له، وكَبَتَ أعداءه،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٣ و ١١/ ٣٥٠ و ٢١/ ١٥٦ ـ ٢١/ ١٦١.

(٢) دول الاسلام للذهبي ٢٣٧ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٧.

(٤) ولذلك بغضته قلوب أهل الكلام لأنهم كما وصفهم أبو حنيفة (ليس عندهم ورع ولا تقوى) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٩ مفتاح دار السعادة ٢/ ١٣٦ والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

وأحيا به الشام: بل والاسلام، وهو أكبر من أن يُنبِّه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلَفْتُ أني مارأيت بعيني مثله[1]. وقال في المعجم المختص «فوالله ما مقلت عيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه»[2].

ونقل الحافظ ابن رجب عن الذهبي أن ابن تيمية «كان إماماً متبحراً في علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الادراك، سيال الفهم كثير المحاسن، موصوفاً بفرط الشجاعة والكرم، فارغاً من شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له إلا نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه..» ونقل الذهبي عن إعجاب ابن سيد الناس به وقوله: «ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو ذو رايته. برز في كل فن على أبناء جنسه، لم تر عيني مثله ولا رأت عينه مثل نفسه»[3].

فهذا الثناء البالغ من الذهبي على ابن تيمية لا يتفق و «النصيحة الذهبية» المزعومة.

وقال الذهبي «قد سجن غير مرة ليفتر عن خصومه ويقصر عن بسط لسانه وقلمه، وهو لا يرجع ولا يلوي على ناصح الى أن توفي معتقلا بقلعة دمشق، وشيعه أمم لا يُحصون الى مقبرة الصوفية، غفر

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٠.
(٢) المعجم المختص ٢٥ تحقيق محمد حبيب الهيلة.
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٠.

الله له ورحمه آمين[١] انتهى.

أوردت هذا النص لأن أتباع الحبشي زوروا كلاما على الذهبي ونسبوا إليه في هذا الكتاب أن ابن تيمية معجب برأيه جريء على الأمور[٢] وهذه العبارة لم ترد في حق ابن تيمية وإنما وردت في ترجمة ابن القيم[٣] وحول ثبوتها كلام. فقد جاء في النسخة الأصلية من كتاب المعجم (جرى عليه أمور). ولكن وردت في الدرر الكامنة (جريء على الأمور). وكذلك الأمر في كلمة (معجب) حول إثباتها في النسخة المخطوطة كلام.

فواعجبا من الكذب، ومن تصرفهم في نصوص الكتب. ومن أراد التأكد فليسأل صاحب دار عالم الكتب كيف تصرف كمال الحوت في نص الكتاب الذي أرسله الشيخ عبد الفتاح أبو غدة للطبع مما أثار سخط صاحب الدار عليه وجعله يطرده من داره. ولينظر ماذا فعل الأحباش بكتاب «تحفة الأنام» للشيخ عبد الباسط فاخوري حيث أسقطوا منه ما يقارب الست صفحات.

فهذا الذهبي يثني عليه الثناء البالغ ويذكر علمه وفضله ، بخلاف ما زوروه عليه. لاسيما تلك النصيحة المزعومة التي تخالف كل مصنفات الذهبي التي بين أيدينا.

---

(١) المعجم المختص ٢٥.
(٢) الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية ٧٨.
(٣) انظر المعجم المختص ٢٦٩.

وقال في كتاب زغل العلم: « فوالله ما رمقت عيني أوسع علما ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية، مع الزهد في المأكل والملبس والنساء، ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن... مقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه الا للكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة ومحبة الظهور نسأل الله تعالى المسامحة، فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا بأعلم منه ولا أزهد منه، بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم، وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه، وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون»[١].

فهذه شهادة الذهبي المنثورة في كتبه منها ما كتبه في حياة ابن تيمية ومنها ما كتبه بعدها. فمنذ متى تقدمون أبا حيان النحوي اللغوي على الذهبي المحدث الناقد في الجرح والتعديل؟ هل صار أبو حيان ناقداً في الجرح والتعديل مقدماً ـ في حكمه على الرجال ـ على كل هؤلاء العلماء الحفاظ الذين أثنوا على ابن تيمية كالبزار والمزي؟

---

(١) كتاب زغل العلم ٣٨ تحقيق محمدبن ناصر العجمي ط: الصحوة الكويت.

تزوير آخر من الحبشي

ويضاف الى تزوير الحبشي على أبي حنيفة والطحاوي (كما مرّ معنا) هذا التزوير حيث استغل الحبشي جملة «وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون» وجملة «وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه»[(١)] استغلالاً سيئاً وزعم أن هاتين الجملتين في النص صريحتان في طعن الذهبي بابن تيمية. وهو كذب وتلفيق على النص. فإن المقام في النص مقام ثناء لا ذم، وكيف يكون ذماً وهو يقول «فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية».

فانظر كيف ينصرف عن صريح كلام الذهبي في النصوص الأخرى التي كتبها بعد موت ابن تيمية حتى دفعه الجور وعدم الإنصاف إلى الإعراض عن صريح ثناء الذهبي على ابن تيمية وبنى على المبهم من الكلام ما يوافق هواه.

فأما العبارة الأولى (جرى على أعدائه بعض ما يستحقون) فالمقصود بها أعداء ابن تيمية حين تغير السلطان القديم الذي كان يطيعهم في سجن ابن تيمية فلما استولى السلطان الجديد طلب من ابن تيمية أن يصدر له فتوى بقتل العلماء الذين أشاروا على السلطان السابق بدخوله السجن فرفض قائلا «من آذاني فهو في حل مني، ومن

---

(١) المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية ١٨.

آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه. وأنت إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم»[١].

وقد جرى على السبكي فتن ومحن فقد شهد عليه الناس بالكفر والانحلال وشرب الخمر وغير ذلك من الاتهامات[٢]. وتعرض الحصني لنقمة أهل الشام عليه وإذلالهم له[٣]. ونقل السخاوي معاتبة المقريزي للحصني على تفحشه ومبالغته في ابن تيمية وكذا نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني الشيء نفسه عن ابن قاضي شهبة.

وأما العبارة الثانية (بل بذنوبه) فقد أجلب الحبشي عليها بخيله ورجله ونفخ فيها نفخ الشيطان. وزعم أنها صريحة في ذم الذهبي له.

وهذا باطل:

فقد قال الذهبي عن مالك ـ حين ابتلي وثبت على الابتلاء ـ ما نصه «هذه ثمرة المحنة المحمودة، أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وهي بكل حال بما كسبت أيدينا ويعفو عن كثير»[٤].

فوضح مقصوده أن الله يجعل من طعن الآخرين وحسدهم سبباً يكفر به عن ذنوب أهل العلم والفضل كابن تيمية. ويبتليهم بذلك:

---

(١) العقود الدرية ١٩٥.
(٢) الاعلام للزركي ٤/ ١٨٤ قلادة الجواهر ٢٠٦ جلاء العينين ٢٤ ـ ٢٥ البداية والنهاية ١٤ : ٣١٦.
(٣) انظر البدر الطالع للشوكاني ١/ ٢٨.
(٤) سير اعلام النبلاء ٨/ ٨١.

١ـ فالذهبي من كبار أئمة الجرح والتعديل والحكم على الرجال.

٢ـ وهو من المأخوذ بحكمهم على الحديث والحبشي معترف بذلك حين اشترط لقبول تصحيح الحاكم: أن يوافقه الذهبي.

٣ـ وقد عاصر الذهبي ابن تيمية وعرف تفاصيل أحواله. فلماذا نعرض عن شهادته فيه ونقبل شهادة رجل كالحبشي له بالكفر؟.

٤ـ أن الذهبي بالغ في الثناء على ابن تيمية في الكتب التي كتبها بعد موته كالمعجم المختص ودول الاسلام وغيرهما من غير أن يذكر نقداً واحداً مما تضمنته النصيحة المكذوبة، وهذا أكبر دليل على كذبها.

شهادة الحبشي لا يُعتدّ بها

وذكر الذهبي أن الألسن اتفقت بالثناء على ابن تيمية إلا من لا يُعتَدّ به. وأن الناس في شأن هذا الرجل قسمان:

قسم يرميه بالعظائم.

وقسم آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحدّ.

وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحّر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لابد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة. ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره.

وهكذا حال هذا الامام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه **إلا من لا يُعتَدّ به**(١).

وقال الكتّاني «ابن تيمية من الافراد الذين كثر الخلط فيهم بين مكفّر وبين ذاهب بهم الى منزلة المعصومين. والانصاف فيه قول الحافظ ابن كثير «كان من كبار العلماء وممن يخطىء ويصيب ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطأه أيضاً مغفور له

---

(١) البدر الطالع ١/ ٦٥.

كما في الصحيح»[١].

وقال فيه ابن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات) «...وصار [ابن تيمية] من أئمة النقد وعلماء الأثر مع التديُّن والذكر والصيام والنزاهة عن حطام هذه الدار، ثم أقبل على الفقه ودقائقه، أما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة فكان لا يشق فيها غباره، مع ما كان عليه من الكرم الذي لم يشاهد مثله، والشجاعة المفرطة والفراغ من ملاذالنفس»

ثم نقل عن الذهبي قوله «... وكان قوّالاً بالحق، نهّاءً عن المنكر، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة»[٢].

---

(١) فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ تحقيق احسان عباس.

(٢) فوات الوفيات ١/ ٥ و ٧٤ ـ ٨٠ تحقيق احسان عباس.

اتهام ابن تيمية بأنه من المشبهة

وزعم الحبشي أن ابن تيمية يشبّه الله بخلقه، غير أن الحافظ ابن حجر نص على أن التشبيه والتجسيم شيء ينسبه الناس إلى ابن تيمية[١] . وهي طريقة أهل الكلام المعتادة في إلزام الخصم بما لايلزم. وهي عين طريقة المعتزلة في إلزام الأشاعرة بالتجسيم لإثباتهم رؤية الله والصفات السبعة.

---

(١) الدرر الكامنة ١/ ١٥٥.

البوطي يحكم بكذب السبكي وأضرابه وينفي عن ابن تيمية تهمة التجسيم

قال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي «ونحن نعجب عندما نجد غلاة يكفّرون ابن تيمية رحمه الله ويقولون إنه كان مجسداً، ولقد بحثت طويلا كي أجد الفكرة أو الكلمة التي كتبها أو قالها ابن تيمية والتي تدل على تجسيده فيما نقله عنه السبكي أو غيره فلم أجد كلاما في هذا قط[١] كلُّ ما وجدته أنه في فتواه يقول«إن لله يدا كما قال، واستوى على العرش كما قال، وله عين كما قال».

أضاف البوطي «ورجعت إلى آخر ما كتبه أبو الحسن الأشعري - وهو كتاب الإبانة - فرأيته هو الآخر يقول كما يقول ابن تيمية. واقرؤوا كتاب الامام أبي الحسن الأشعري (الابانة) الذي يقول فيه: نؤمن أن لله يدا كما قال، وأنه استوى على العرش كما قال». «إذن، فلماذا نحاول أن نعظم وهماً لا وجود له؟ ولماذا نحاول أن ننفخ في نار شقاق؟ والله سبحانه وتعالى سيحاسبنا على ذلك[٢] انتهى كلامه النفيس.

لكن الحبشي يريد نفخ نار الشقاق كما نفخها من قبل في موطنه

---

(١) وهذا ولله الحمد شهادة على تعدي السبكي وظلمه لابن تيمية وأن اتهامه له كان زوراً وعدواناً منه..

(٢) ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر ٢٦٤ ـ ٢٦٥. مجموعة محاضرات ألقيت في البحرين عام ٢٥/ ٢/ ١٩٨٥.

هرار، ولذلك حكم على كفر ابن تيمية بالاجماع، ويبدو أنه يعني بالإجماع: إجماع حفنة من المتعصبين.

ولقد تعقب الشيخ ابراهيم الكوراني في إفاضة العلام من اتهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بالتجسيم قائلا:

«أما إثبات الجهة والجسمية المنسوب إليهما فقد تبين حاله، وأنهما لم يثبتا الجسمية أصلا بل صرّحا بنفيها في غير موضع من تصانيفهما» وقد احتج الألوسي بكلام الكوراني في تبرئة ابن تيمية من تهمة التشبيه والتجسيم»[1]. وبرّأه من تهمة التجسيم والتشبيه قائلا «حاشا لله تعالى أن يكون من المجسمة! بل هو أبرأ الناس منهم»[2].

والاتهام بالتجسيم ناشىء عن القاعدة الكلامية أن الاجسام متماثلة. فبسبب هذا هربوا من إثبات ما أثبته الله لنفسه وهذه القاعدة مبنية على جهل بحقيقة الأجسام: فإن الأجسام مختلفة فالهواء جسم وليس كالماء وأبدان الحيوان ليست كأجسام الحديد فإذا كانت الأجسام المخلوقة تتفق في لفظ الجسم وتختلف حقائقها فما بين المخلوق أولى مع العلم أني لا أطلق على الله بأنه جسم فهو لفظ باطل لا يوصف الله إلا بما وصف نفسه.

---

(١) جلاء العينين ٥٦٩.
(٢) جلاء العينين ٣٤٠.

أكذوبة الاستقرار على بعوضة

وقد موّه بعضهم بعبارة نسبها لابن تيمية انما هي في الحقيقة عبارة لعثمان بن سعيد الدارمي نقلها ابن تيمية من كتابه (الرد على بِشر المريسي ص ٨٥). ونص العبارة كالآتي «ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة، فاستقلت بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض» (بيان تلبيس الجهمية ١/ ٥٦٨).

وهذا من أعظم الافتراءات على ابن تيمية رحمه الله، وعلى أقل تقدير فقد يرد السؤال التالي: إذا كان ليس من كلامه فماذا أراد بنقله لهذا الكلام من الدارمي؟

فالجواب أن الدارمي أراد بذلك أن الله غني عن العرش غناه عن البعوضة سواء بسواء. ويؤكدهما قاله في (مجموع الفتاوى ص ٢/ ٨٨ وإذا كان المسلمون يكفرون. . .) من يقول: إن السموات تُقِلّه أو تُظِلّه لما في ذلك من احتياجه الى مخلوقاته، فمن قال: إنه فَي استوائه على العرش محتاج الى العرش كاحتياج المحمول الى حامله، فإنه كافر».

أكذوبة قصة ابن بطوطة

ويحتج الحبشي وأصحابه برواية ابن بطوطة المكذوبة على ابن تيمية بل والتي ربما كانت مكذوبة على ابن بطوطة نفسه كما ستعلم.

فقد ذكروا[١] أن ابن بطوطة دخل المسجد الأموي بدمشق ورأى ابن تيمية على المنبر وهو يقول «ان الله ينزل الى السماء الدنيا كنزولي هذا» ثم نزل درجة من المنبر»[٢]

والجواب:

أن رحلة ليست من كتب التاريخ المعتمدة، وليس مؤلفها معروفاً من أهل العلم، وإنما كان من عوام المتصوفة، وقد غلب على رحلته زيارة أضرحة الأولياء والتبرك بقبورهم وتقبيل أعتابها حتى أن الشيخ حسن السائح أشار الى هذه الحقيقة في مقدمته لكتاب «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» للشيخ خالد بن عيسى البلوي. وأنه ربما سمع باسم عالم من علماء البلد التي زارها فيذكر اسمه في الرحلة ولو لم يتصل به اتصالا شخصياً كما فعل في تونس حين ذكر عَلَماً من أعلامها وهو ابن الغماز.

وثمة ملاحظة أخرى مهمة ذكرها الحافظ ابن حجر، وهي أن ابن

---

(١) أنظر مجلتهم منار «الهدى» ١٥/ ٥٠.

(٢) رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الأمصار ١١٠.

بطوطة لم يكتب تفاصيل رحلته وإنما جمعها منه أبو عبد الله بن جزى ونمقها، وكان البلفيقي يتهمه بالكذب[١] وعلى كل حال فهذا يفيد أن ابن بطوطة ليس هو الذي كتب تفاصيل رحلته بيده.

ولقد عجب محقق كتاب رحلة ابن بطوطة (الدكتور علي المنتصر الكتاني) من هذا الكذب فقال « هذا محض افتراء على الشيخ رحمه الله، فإنه كان قد سُجِنَ بقلعة دمشق قبل مجيء ابن بطوطة إليها بأكثر من شهر، فقد اتفق المؤرخون أنه اعتقل بقلعة دمشق لآخر مرة في اليوم السادس من شعبان» سنة ٧٢٦هـ ولم يخرج من السجن إلا ميتاً، بينما ذكر المؤلف فى الصفحة (١٠٢) من كتابه هذا أنه وصل دمشق في التاسع من رمضان». وهذا ما نص عليه الحافظ ابن كثير والحافظ ابن رجب والحافظ ابن عبد الهادي حيث ذكروا أن ابن تيمية مكث في السجن في السادس من شعبان سنة ست وعشرين سنة ٧٢٦ حتى موته[٢].

ومعلوم أن ابن تيمية كان يلقي الدرس جالساً على كرسي، وكان خطيب المسجد الأموي آنذاك قاضي القضاة القزويني.

ولو كان ما ادعاه ابن بطوطة صحيحاً لقام عليه علماء عصره ولشكوه إلى السلطان ولألفوا رسائل في الرد على قوله. فالمشنعون عليه كثر ومع ذلك لم يذكر أحد منهم شيئاً من ذلك.

---

(١) الدرر الكامنة ٣/ ٤٨٠.
(٢) طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٥ البداية والنهاية ١٤/ ١٢٣ العقود الدرية ٣٢٩.

ثم إن ابن تيمية كتب كتاباً ضخماً في شرح حديث النزول، ولم يقل فيه شيئاً مما ادعاه ابن بطوطة. وإنما شدد على أن نزول الله لا كنزول البشر.

رأي ابن تيمية في المشبهة:

ومن المثير للعجب أن يُنسَب الى ابن تيمية مثل هذا الكلام في الوقت الذي يحكم هو بالكفر على من يقول بمثله، فقد قال في مجموع الفتاوى «فمن قال إن علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي.. أو استواؤه على العرش كاستوائي أو نزوله كنزولى، أو إتيانه كإتياني: فهذا قد شبه الله بخلقه، تعالى الله عما يقولون، وهو ضال خبيث مبطل بل كافر»[١].

وقال: «ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا»[٢]. فالدليل من كتاب ابن تيمية نفسه أقوى شهادة من هذه الروايات والإشاعات.

إن هؤلاء يتذمرون مما يشيعه النصارى حول الإسلام ونبيه من الأكاذيب ويطالبونهم بأن لا يتكلموا عن الإسلام الا بدليل، ولكنهم بدورهم يستخدمون طريقة النصارى في إشاعة الأكاذيب من غير تدقيق ولا تحقيق.

ومن المثير للعجب أيضاً أن نجد تشديد ابن تيمية في تكفير من

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٨٢ الرسالة التدمرية ٢٠ط المكتب الاسلامي.
(٢) مجموع الفتوى ٥/ ٣٥٢.

يشبه الله بخلقه في حين نجد ابن حجر الهيتمي يصرح بأننا لا نكفّر المشبهة على المشهور الا إن اعتقدوا لازم ما يثبتونه من الحدوث»[١].

أي يعتقدوا أن الله حادث.

---

(١) الإعلام بقواطع الإسلام ٦٨.

أول القائلين بالتجسيم عند ابن تيمية

وحول لفظ الجسم قال ابن تيمية: «وإثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة لا أصل لها في الكتاب والسنة، ولم يتكلم به أحد من السلف والأئمة، وأهل السنة والجماعة لا يطلقون هذا اللفظ لا نفياً ولا إثباتاً، كما أنهم لم يثبتوا لفظ التحيز ولانفوه ولا لفظ الجهة ولانفوه، ولكن أثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة، ونفوا مماثلة المخلوقات». قال «وإنما يطلقه أهل الكلام مثل هشام بن الحكم الرافضي وهشام الجواليقي فإنه «أول من قال إن الله جسم»(١).

ثم بين اختلاف المتكلمين في معنى لفظ « الجسم» وأن مفهومهم للجسم مخالف لمفهوم اللغويين له.

وذكر أن «ما كان مبتدعاً من الألفاظ يجب استفصال صاحبه والنظر إلى مراده: فإن كان يريد معنى صحيحاً قُبل منه ذلك ونُبه على أنه لا يجوز استعمال مثل هذه الألفاظ . وإن كان مراده نفي ما وصف الله به نفسه من العلو والاستواء والنزول فالمعنى باطل واللفظ باطل(٢).

ومع ذلك فإن من كبار الأشاعرة من يجيز وصف الله بالجسم بشرط معين، فقد صرّح أبو جعفر السمناني رأس الأشاعرة وكبيرهم(٣) أن

---

(١) درء التعارض ٢: ٢٨٨ـ ٢٨٩ وأنظر مجموع الفتاوى ١٧: ٣٠١ ـ٣٢٩.
(٢) بيان تلبيس الجهمية ٩ط الرياض.
(٣) فتح الباري ١/ ٧٠.

«من سمى الله جسماً من أجل أنه حاملٌ لصفاته في ذاته فقد أصاب المعنى وأخطأ في التسمية»[١].

فهذا اللفظ الذي قاله أحد كبار الأشاعرة، يرفض ابن تيمية مجرد إطلاقه على الله تعالى فكيف يكون قائلا بأن الله جسم كما زعم المفترون؟!

وعلى افتراض تصريح ابن تيمية بالجسم فإنه لم يقل (جسم كجسم) أو (يد كيد) أو (عين كعين) كما تقول المجسمة والمشبهة. فكيف وأنه لم يقل ذلك وهيهات أن يجد أعداؤه في كتبه ما يؤيد افتراءهم.

لذا فأنتم مطالبون بأمرين

١) أن تثبتوا بالدليل أن ابن تيمية صرح بأن الله جسم.

٢) أن تثبتوا لنا على افتراض أنكم وجدتم أنه أثبت أنه جسم. أن تثبتوا أنه قال جسم كجسمي.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٦٥١ ـ ٦٥٢.

«حكم التجسيم عند الشافعية»

ولقد نص ابن حجر المكي الهيتمي على أن المشهور [بل] الصحيح من المذهب عدم تكفير المجسمة كما قاله جمع من المتأخرين: من أن المجسمة لا يكفرون، ولكن أطلق في المجموع تكفيرهم[١].

قال «وينبغي حمل الأول [أي عدم التكفير] على ما إذا قالوا جسم لا كالأجسام، والثاني [أي التكفير] على ما إذا قالوا: جسم كالأجسام، لأن النقص اللازم على الأول قد لا يلتزمونه، **ولازم المذهب ليس بمذهب**[٢] **وانتهى إلى أن الصحيح أننا لا نكفّر الجِهَوِيَّة**[٣] **ولا المجسمة إلا إن صرّحوا باعتقاد لوازم الحدوث. .» الخ.**

ونصّ العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى على أن معتقد الجهة مخطىء معفوّاً عنه، لأن اعتقاد موجود ليس بمتحرك ولاساكن ولامنفصل عن العالم ولا متصل به ولاداخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم[٤]. قال: فإن قيل يلزم من

---

(١) الإعلام بقواطع الاسلام ص ٣٨ و ٥٠.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/ ٣٥٨ وانظر ٣٥١ و ٣٨٧.

(٣) أي القائلين على الله بالجهة.

(٤) قواعد الاحكام الكبرى ١٧٠ الحاوي للفتاوي ٢/ ١٣٣ والحمد لله على اعتراف العز بأن طريقة أهل الكلام صعبة المدرك عسيرة الفهم فهذا أحد أدلة أهل السنة على بطلان طريقة أهل الكلام.

الاختلاف في كونه سبحانه في جهة أن يكون حادثاً؟ قلنا: لازم المذهب ليس بمذهب لأن المجسمة جازمون بأنه في جهة وبأنه قديم أزلي ليس بمحدث، فلا يجوز أن ينسب إلى مذهب من يصرح بخلافه وإن كان لازماً من قوله»[(١)].

وقال الأسنوي «لا نكفّر المجسمة على المشهور كما دل عليه كلام الشرح والروضة في الشهادات»[(٢)].

وقال به أبو حامد الغزالي[(٣)].

وقال الجلال الدوّاني في شرحه على العقائد العضدية (ص ٥٣٢) «ومنهم من تستّر بالبلكفة وقال: هو جسم لا كالأجسام، وله حيّز لا كالأحياز، ونسبته إلى حيزه ليست كنسبة الأجسام إلى أحيازها) وهكذا ينفي عنه جميع خواصّ الجسم حتى لا يبقى إلا اسم الجسم، **وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرحين بالجسمية**».

وقال العضد الإيجي في المواقف (٢٧٣):

«أنه تعالى ليس بجسم، وذهب إلى ذلك بعض الجُهّال كالكرّامية، وقالوا: هو جسم: أي موجود، وقوم قالوا: هو جسم: أي قائم بنفسه، **فلا نزاع معهم إلا في التسمية**.

---

(١) قواعد الأحكام الكبرى ١٧٢.
(٢) الإعلام بقواطع الاسلام للهيتمي ٢٥ و ٣٨ و ٥٠.
(٣) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ١٢٩ و ١٤٨.

الذهبي ينفي التجسيم عن الحنابلة

قال الحبشي « هؤلاء الحنابلة يحبون ابن تيمية لأنه مجسم. وهم يكثر فيهم التجسيم وفي مشايخهم قبل ابن تيمية وبعد ابن تيمية. هؤلاء سموه شيخ الاسلام. ثم بعض علماء أهل السنة قد اغتر بكلام هذين. فسموه شيخ الاسلام. من أين يستحق هذا اللقب[١]؟

وقد رد الذهبي هذه التهمة فقال: «والجُهَّال يتكلمون على الحنابلة ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم وهم بريئون من ذلك الا النادر والله يغفر لهم»[٢] وصدق الذهبي بذلك فإن المعتزلة المعطلة يقولون لمن أثبت الصفات وخالفهم في التأويل: يلزم من ذلك التجسيم والتشبيه[٣].

ومن هذا النادر ما كتبه القاضي أبو يعلى الحنبلي صاحب كتاب إبطال التأويل الذي انتقده ابن تيمية لأنه حشا فيه الضعيف والموضوع من روايات ونصوص الصفات التي لا تليق بالله تعالى. وهذا يدل على إنصاف الرجل وأنه يثبت نصوص الصفات من كتاب الله وما صح من السنة[٤].

ولهذا صرح كثير من المنصفين بأن تهمة التجسيم التي ألصقت

---

(١) شريط ١٢ (أ) ٣٠٠ ـ ٣٤٥.
(٢) زغل العلم ٣٩.
(٣) مجموعة الرسائل الكبرى ١ : ٤١٨.
(٤) الدرء ٥: ٢٣٧.

بالإمام ما هي الا شهادة زور في حقه. يؤكد ذلك كلامه نفسه كما في فتاويه (١١/ ٤٨٢) حيث أفتى بكفر الذين يشبهون الله بخلقه.

ولهذا فإنّا نطالب هؤلاء أن يأتونا بكتاب من كتب الحنابلة المعتبرة يقولون فيها إن يد الله كيدي أو سمعه كسمع أو استواؤه كاستوائي إلخ.

وإنما يراد بهذه الاتهامات تقبيح طريقة إثبات صفات الله عند عامة الناس وترغيبهم بطريقة التأويل. ويعتمدون في ذلك سياسة المعتزلة في التهويل والتهور في تكفير المثبتين لصفات الله. واستغلال عوام الناس والهروب من طلبة العلم وأصحاب الحجة. كما حصل لي مع أحد كبار أتباع الحبشي حين دعوته عدة مرات للمناظرة والحوار فأبى ذلك وتهرّب.

كما تظلموننا يظلمونكم:

وقد نصّ الكوراني في شرح عقيدة القشاشي في بحث رؤية الله يوم القيامة: أن المعتزلة كفَّرت أهل السنة (الأشاعرة) لقولهم برؤيته سبحانه يوم القيامة ظناً منهم أن ذلك يستلزم التجسيم، وهذا ظن فاسد لأن أهل السنة يثبتونها بلا كيف. لكن الأشاعرة أنفسهم يكررون اليوم الظلم نفسه فيزعمون أن إثبات صفة الاستواء يلزم منه التجسيم لأنهم لا يتصورون مستويًا إلا ما كان جسمًا. ولم يتصوروا مرئيًا إلا ما كان جسمًا لأنهم على التقليد في العقائد.

لفظ الحد

وقد حكم نبيل الشريف بكفر ابن تيمية لقوله: «وقد اتفقت كلمة المسلمين والكافرين أن الله في السماء وحدوه بذلك»[١].

فكفره حيث زعم أنه وصف الله بأنه حد. وهذا جهل وتسرع وظلم بل الحد هو الوصف نفسه، إذ قوله وحدّوه أي أثبتوا له هذا الوصف.

وكان عليه أن يعترف باختلاف أهل المنطق والكلام اختلافًا كثيراً حول تعريف الحد.

إذ ليس للحد تعريف واحد وإنما تعريفات متعددة.

فالحد في عرف النحاة والفقهاء والأصوليين هو ما يميز الشيء عن جميع ما عداه.

وعند أهل الكلام أن حد الشيء معناه: الذي لأجله استحق الوصف المقصود بالذكر.

وعند أهل المنطق: هو القول الدال على ماهية الشيء. ويطلق ويراد به نهاية الشيء[٢].

وقد أصيبوا بالوسوسة من قول النبي ﷺ: «**جعل الله الرحمة مئة جزء**» لأنه عندهم صريح في التحديد والتجزئة. نقل الزبيدي تعليق

---

(١) شريط ١٥ مجالس الهدى الوجه (ب) ٦٥.

(٢) معيار العلم للغزالي ٢٣٤ والبحر المحيد للزركشي ١/ ٢٩ الكافية في الجدل ١.

التوربشتي على الحديث بقوله: «رحمة الله تعالى غير متناهية فلا يعتورها التقسيم.. ولم يرد ـ أي النبي ـ به تحديد ما قد جل عن الحد أو تعديد ما جاوز العد»[١].

قال أبو القاسم التيمي «تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة محصولها أن حد كل شيء موضع بينونته عن غيره»[٢].

فإذا كان للحد معان متضاربة لم يجز تحميل أحدها على ابن تيمية إلا أن يصرح هو بالمعنى الذي يقصده.

وقد أبان ابن تيمية عن مفهومه للحد فقال: «الحد ما يتميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره»[٣]. وسبب الحد الرد على الجهمية الذين قالوا ليس له حد وقصدوا بذلك أنه لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم لأن ذلك عندهم مستلزم للحد.

ونحن نعلم أن أهل الكتاب يقرّون بأنه في السماء. ولا يقال هذا تقليدٌ لهم لأن معنا من الأدلة القرآنية على ذلك ما لا يحصى.

وذكر ابن تيمية[٤] أن أهل السنة قالوا إن الله ينزل إلى سماء الدنيا من غير أن يحدّوا فيه حدًّا، واحتج بقول ابن وضاح: «وسألت يوسف ابن عدي عن النزول: قال: نعم أؤمن به، ولا أحد فيه حدّا، وسألت

---

(١) اتحاف السادة المتقين ١٠/٥٥٧ ـ ٥٥٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠/٨٦.

(٣) نقض التأسيس ١/٤٤٢.

(٤) الفتاوى ٥/٥٦.

ابن معين فقال: نعم، أقرُّ به ولا أحدّ فيه حدّا».

يتجاهلون تحديد الغزالي لقدرة الرب

ولكن لماذا لم يحاكم الأشاعرة الغزالي لتحديده قدرة الله حين قال: «ليس في الإمكان أفضل مما كان»[١] أليس في هذا وضع حد لقدرة الله أوإثبات لعجز الله كما اعترف به البيجوري في شرحه على جوهرة التوحيد؟»[٢]. إن هذا يؤكد أن كلام هؤلاء في ابن تيمية ليس من باب إنكار المنكر والغيرة على الدين بقدر ما هو تعصب مذهبي وتقليد محض في الثناء والذم. وإلا فهل يجوز السكوت عن الطاعن في قدرة الله إذا كان أشعريًا؟.

بل إن الأشاعرة هم الذين يحدون الله بصفة الحد حيث يجعلون لقدرة الله حدًا فيقولون: لا يستطيع أن يظلم. وبسبب ذلك ألزم ابن حزم الأشعرية بتحديد قدرة الله تعالى[٣].

---

(١) الاملاء في اشكالات الاحياء ٥/ ١٣ على هامش احياء علوم الدين.
(٢) أنظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٤٠.
(٣) الفصل في الملل والنحل ٤/ ٢١٣.

عبد الله بن المبارك وموقفه من لفظ الحد

غير أن هناك أثرًا عن عبد الله بن المبارك رواه البيهقي في الأسماء والصفات عن علي بن الحسن قال: «سألت عبد الله بن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه. قلت: فإن الجهمية تقول: هو هذا. قال: إنّا لا نقول كما قالت الجهمية، نقول هو هو. قلت: بحد؟ قال: أي والله بحدّ»[١].

فتأمل كذب الأحباش حيث قالوا: «والحد عن الله منفي على

---

(١) الأسماء والصفات ٢/١٦٩ والسنة لعبد الله بن أحمد ١/١٧٥ والرد على الجهمية للدرامي ١٦٢ والرد على بشر المريسي الجهمي ٣٤. قال الذهبي في مختصر العلو: «هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك» غير أن الكوثري أعل هذا الأثر بثلاث علل: أولا: الحسن بن الصباح راويه عن علي بن الحسن عند البيهقي: قال النسائي «ليس بالقوي» ثانيا: ابن شقيق تكلموا فيه في الإرجاء. ثالثا: اختلاف الروايات عن ابن المبارك كما ترى (الاسماء والصفات بتحقيق الكوثري ص ٥٣٧) وقد رُد على هذه العلل بما يلي: أولا: الحسن بن الصبّاح مُتابَعٌ من غير واحد، فضلاً عن أن قول النسائي هذا فيه غير مقبول كما تراه بالدلائل في دفاع الحافظ ابن حجر عنه في «هدي الساري ص ٣٩٧». ثانيًا: الطعن في ابن شقيق بالإرجاء غلط من وجهين: أحدهما: أن الطعن بالبدعة ـ على الراجح ـ لا يطعن براوية الثقة من الحُفّاظ، وبخاصة أن روايته هذه ليس لها مدخل في شيء من الإرجاء. ثانيهما: أن دعوى الإرجاء باطلة مردودة، فقد قيل له في ذلك فقال «لا أجعلكم في حل» وقد جاء في تاريخ بغداد (ص ٣٧١) وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٧٢). ثالثا: دعوى اختلاف الروايات مردودة اذ ليس هناك أدنى وجه من وجوه الاختلاف.

لسان السلف»[١].

وتأمل كيف كان موقف البيهقي رحمه الله من لفظ الحد الذي قاله ابن المبارك. فقد قال: «إنما أراد عبد الله بالحد حد السمع، وهو أن خبر الصادق ورد بأنه على العرش استوى، فهو على عرشه كما أخبر، وقصد بذلك تكذيب الجهمية فيما زعموا أنه بكل مكان، وحكايته تدل على مراده».

هكذا بدون تكفير ولا تضليل، مع أن ابن المبارك لم يفصل مقصده من اللفظ في حين أن ابن تيمية فصل مراده من لفظ الحد فقال بأن «لفظ الحد عند كل من تكلم به يراد به شيئان: يراد به حقيقة الشيء في نفسه، ويراد به الوجود العيني أو الوجود الذهني، فأخبر الإمام أحمد أن الله على العرش بلا حد يحدّه أحد أو صفة يبلغها واصف، واتبع ذلك بقوله: (لا تدركه الأبصار لا بحَدّ ولا غاية). والقصد أن تفسير الحد بالوجود العيني ـ وهو ما يقع تحت إدراك البصر وإحاطته، أو الوجود الذهني وهو مايقع تحت إدراك الذهن والعقل وتحديده مشاهدةً أو تصورًا ـ **كلاهما باطل منفي عن الله عز وجل، وليس لله صفة اسمها الحد، وإنما الحدّ تعبير عن تميّز الله عن غيره بصفاته واختصاصه بكماله وعلوّه على عرشه ومباينته لخلقه**» (بيان تلبيس الجهمية ٢/ ١٦٣). وهذا معنى الحد عند الأصوليين والفقهاء

---

(١) منار الهدى ٤١/ ٤٤.

والمناطقة[١].

فهل يصر أعداء ابن تيمية على تكفيره لتصريحه بلفظ صرح هو بأن مراده به تميز صفات الله عن صفات المخلوقين وليس بمعنى إدراك منتهى الله. وهل يقتدون بأدب البيهقي؟

ويسخر ابن تيمية ممن يتوهم أن لله صفة هي صفة الحد قائلا: «إن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجه لو قالوا: إن له صفة هي الحد، كما توهمه هذا الراد عليهم، وهذا لم يقله أحد، ولا يقوله عاقل، فإن هذا الكلام لا حقيقة له، إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شيء من الموصوفات كما وُصف باليد والعلم صفة معينة يقال لها: الحد، وإنما ما يتميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره كما هو معروف في الحد في المحدّدات، فيقال حد الإنسان، وحدّ كذا وهي من الصفات المميزة له» (بيان تلبيس الجهمية ١/ ٤٤٢).

ثانيًا: كان عليهم أن يبينوا موقف ابن تيمية من هذا اللفظ فقد شرحه في مواطن كثيرة من كتبه فقال بأن هذا لفظ لم يقل به السلف ولكن يُطلق ويراد به معنيين:

الأول: بمعنى الإحاطة بالله علمًا فلا شك أن الحد منفي عن الله تعالى. لأن الله تعالى غير مُدرك بالإحاطة، وقد عجز السلف عن الإحاطة به، وعلى هذا يُحمل قول من نفى الحد من السلف كسفيان

---

(١) الحدود في ثلاث رسائل ص ٩ تأليف الفاكهي واخوان الصفا وابن سينا تحقيق عبد اللطيف محمد العبد.

الثوري وحماد بن زيد.

الثاني: بمعنى أن الله تعالى متميز عن خلقه منفصل عنهم مباين لهم عال عليهم. وعلى هذا يُحمل قول من أثبت الحد لله تعالى[١] كابن المبارك.

«إن كان المراد من معنى (الحد) أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض، وقد قال ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ وفي حديث ابن عباس «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات أي مباين لها منفصل عنها ليس حالاً فيها فهو سبحانه كما قال أئمة أهل السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه»[٢].

«فمن قال: إن الله متحيز: أراد بقوله (متحيز) على معنى أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ. وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات بائن عنها عالٍ عليها: فقد أصاب. ومن قال ليس بمتحيز:

إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب.

وإن أراد ليس ببائنٍ عنها بل هو لا داخل فيها ولا خارجٌ عنها فقد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٣٣ ـ٣٥.
(٢) الرسالة التدمرية ٤٦.

أخطأ. قال:

«وقد علم أن الله تعالى كان قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلقهما، فإما أن يكون دخل فيهما وهذا حلول باطل، وإما أن يكونا دخلا فيه وهو أبطل وأبطل، وإما أن يكون الله سبحانه بائنًا عنهما لم يدخل فيهما ولم يدخلا فيه، وهذا قول أهل التوحيد والسنة».

وبهذا يتبين لك أنهم يأتون بالمجمل من كلام الأئمة ولا يذكرون ما يفصل كلامهم ويبينه: حسيبهم الله.

وبالجملة فهذه الأقوال كالحد والتحيز والجهة لا يفهمها عامة الناس وفيها إجمال يشتبه عليهم، وإنما دأب أهل البدع الهيمنة على العوام بمصطلحات وألفاظ غريبة عليهم وإيهامهم أنهم متعمقون في العلم، ولتشويه منهج أهل السنة، فيسلِّم العامي لهم قولهم ويقلدهم في باطلهم وفي معاداة خصومهم ويقلدهم في تكفيرهم.

ورحم الله الإمام أحمد إذ قال عن المتكلمين[(١)]: «يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين».

---

(١) الرد على الجهمية ص ٦ وهو ثابت له (أنظر فتح الباري ١٣/ ٤٩٣).

القول بالجهة

كذلك زعموا أن ابن تيمية صرح بإثبات لفظ الجهة على الله. وصريح كلام ابن تيمية يكذب ما يزعمون. لأنه يكرر دائمًا أن هذا اللفظ من جملة الألفاظ المبتدعة التي لم يتكلم السلف والأئمة فيها نفيًا ولا إثباتًا.

بل إننا نرى إثباتها من قبل الشيخ عبد القادر رحمه الله الذي يزعم الحبشي الانتساب إلى طريقته. قال الجيلاني: «وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك، وأن استواء الله هو (ذات) على العرش لا على معنى القعود والمماسة ولا على العلوّ والرِّفعة كما قالت الأشعرية، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1]. فهل عندكم الجرأة على تكفير من تعتبرونه شيخ طريقتكم القادرية وقد صرّح بما تعتبرونه كفرًا؟!.

وقد مشى الغزالي[2] وابن عبد السلام[3] وابن حجر الهيتمي[4] على عدم تكفير القائل بالجهة. فإن رضيتم بذلك وإلا لزمكم تكفير الشيوخ: عبد القادر الجيلاني والعز بن عبد السلام والغزالي وابن حجر الهيتمي!

(١) الغنية لطالبي طريق الحق ٥٦.
(٢) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ١٢٩و ١٤٨.
(٣) قواعد الأحكام ١٧٠ ـ ١٧٢ الحاوي للفتاوي ٢/ ١٣٣.
(٤) الزواجر ٢/ ٣٥١ و ٣٥٨ و ٣٧٨.

مفهوم الجهة عند ابن تيمية

يرى ابن تيمية أن لفظ الجهة لفظ مبتدع لم يتلفظ به السلف نفيًا ولا إثباتًا، وليس ثمة نص لا عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة أن الله متحيز أو هو جسم أو جوهر إلى غير ذلك من الألفاظ المبتدعة.

والناظرون بها قد يريدون معنىً صحيحاً، فإن أرادوا معنى صحيحاً يوافق الكتاب والسنة كان ذلك مقبولا منهم وإن أرادوا معنى فاسدًا كان ذلك مردودًا عليهم.

قال: «للناس في إطلاق الجهة ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصّل.. وذلك أن لفظ الجهة قد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو به ما هو معدوم.

ومن المعلوم أن لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله كان مخلوقًا لله، والله تعالى لا يُحصرُ ولا يحيط به شيء من المخلوقات، وإن أريد بالجهة أمر عدمي ـ وهو ما فوق العالم ـ فليس هناك إلا الله وحده»[١].

وقد يراد بالجهة شيء موجود غير الله فيكون مخلوقًا كما لو أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في

---

(١) منهاج السنة ١/ ٢١٦

النص إثبات الجهة ولا نفيه.

فإذا قال القائل: «هو في جهة» قيل له ما تريد بذلك؟ أتريد أن الله سبحانه في جهة موجودة تحصره وتحيط به؟ مثل أن يكون في جوف السموات؟ فالله ليس داخلاً في المخلوقات! أم تريد بالجهة أمرًا عدميًا وهو ما فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات، والله فوق العالم؟

- فإن أردت الجهة الوجودية وجعلت الله محصورًا في المخلوقات فهذا باطل.

- وإن أردت الجهة العدمية، وأردت أن الله تعالى وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق... وقد قال ابن عباس: ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم» فما كان بهذا الحقر والصغار كيف يحيط به ويحصره؟

ومن قال: إن الله تعالى ليس في جهة قيل له: ما تريد بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السموات رب يُعبد ولا على عرش إله، ونبينا ﷺ لم يُعرج به إلى الله تعالى، والأيدي لا تُرفع إلى الله تعالى في الدعاء ولا تتوجه القلوب إليه: فهذا فرعوني معطِّل، جاحد لرب العالمين.

ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد وقالوا: إن الله تعالى بذاته

في كل مكان، وأن وجود المخلوقات هو وجود الخالق[١]. انتهى كلامه[٢].

ولذلك قيل عن أهل التعطيل إنهم معطلة في العقائد، حلولية إتحادية في التصوف، فإن تعطيلهم يؤول إلى تضييع الرب[٣]، فإذا بحثوا عنه في التصوف وجدوه في كل مكان.

---

(١) استغل المتصوفة هذا الاعتقاد الأشعري لا سيما قول الأشعري أن وجود كل شيء عين ذات ذلك الشيء لا زائدًا عليه. وبنوا عليه قولهم بوحدة الوجود وكان أبرزهم في ذلك ابن عربي وابن الفارض والقونوي وابن سبعين وقد ابتدأ عبد الغني النابلسي كتابه «إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود» عبارة الأشعري ثم انطلق يوافق ابن عربي وابن الفارض في قولهم بوحدة الوجود جاعلا إياهم أئمة الهدى وأنه لا قول إلا بوحدة الوجود وأن هذا القول باقٍ إلى يوم القيامة إن شاء الله، وجعل منكر وحدة الوجود جاهلا محجوبًا عن الحق. (إيضاح المقصود من وحدة الوجود ٣٠٦ ـ ٣١٠ للنابلسي). واستغلوا فكرة الجوهر والعرض عند الأشاعرة فجعلوا الجوهر هو الباطن، والعرض ظاهرًا وقالوا إن الله متجلٍ ظاهرًا في موجوداته لأن موجوداته هي صفاته.

(٢) الفتاوى ٣ : ٤١ و ٥: ٢٦٢ ـ ٢٩٨ و ٦: ٣٨ و ١٧: ٣٢٦ ومنهاج السنة ٢: ٢٥٢.

(٣) بسبب إنكارهم علوه سبحانه.

لفظ الحركة

أما لفظ الحركة فلم يثبت أن ابن تيمية اعتقده في الله، بل هذا من مفتريات الحبشي الذي زعم أن ابن تيمية ينسب الحركة إلى الله.[١].

جل ما قاله ابن تيمية أن «طوائف[٢] من أهل السنة والحديث قالوا: إن الحركة من لوازم الحياة وكل حي متحرك كحرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي ومنهم من نفاها كنعيم بن حماد الخزاعي والبخاري وابن خزيمة» أضاف «ومن أهل الحديث والفقهاء من لم يتكلم بنفي ولا إثبات»[٣].

ولم يذكر ابن تيمية ترجيحًا لطريقة أحد الفريقين، وإنما ذكر الخلاف في ذلك. وتبنى موقفًا حذرًا من هذه الألفاظ المبتدعة، فهل يلزم من هذا أنه يقول بالحركة؟.

ولنضرب مثالا من كلام الحبشي: فقد سئل عن حكم شرب الخمر فقال: «عند بعض الفقهاء لا يجوز التداوي بالخمر في حال من الأحوال. يجوز عند بعضهم إعطاء المريض جرعة من الخمر لإساغة اللقمة بالنسبة لمن أصيب بالغصة، يجوز أن يسيغ اللقمة بالخمر،

---

(١) الدليل القويم ٤٠.
(٢) حرف الحبشي النص من (طوائف أهل السنة) إلى (أئمة أهل السنة) الدليل القويم ٤٠.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٧ ـ ٨ مجموع الفتاوى ٥/ ٥٧٨.

وقال بعضهم يجوز التداوي بالخمر إن لم يوجد دواء غيره»[١]. فبناء على قاعدة الحبشي يمكن أن نحكم عليه بأنه رجح شرب الخمر والتداوي به.

ومسألة الحركة لكم فيها تلبيس ماكر، وهي لوثة آرسطية آلت بكم إلى نفي الصفات الفعلية لله تعالى فصار إثبات أفعاله إثباتًا للحركات، فلا يتكلم الله بمشيئته وقدرته ولا يستوي إلى السماء ولا ينزل في الثلث الأخير من الليل، ولا يجيء إذا شاء، وقد كفرتم ابن تيمية إرضاء لشيخكم وسلفكم آرسطو الذي يعتقد أن الله لا ينزل ولا يستوي ولا يجيء كما قال «بل لا بد من محرِّك أزلي يُحركُ ولا يتحرَّكُ هو. ولا ينفعل بغيره وإلا لما كان أولا»[٢].

وحرفتم معنى قوله تعالى: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦﴾ ليتلاءم ومذهب شيخكم، فزعمتم أنه قال ذلك حين رأى الشمس تتحرك، لأنه كان يعلم أن كل متحرك مخلوق. ولكن ألم يكن يعلم أن الشمس جسم والأجسام مخلوقة فيستدل على خلقيتها بجسميتها؟

ثم لماذا تتجاهلون أن الأفول معناه الغياب وأن لا علاقة لها بالحركة لأن الماشي والمتحرك لا يقال له آفل.

ولقد نقد العز بن عبد السلام هذا الاستدلال وذكر أنه غاية في الإشكال[٣].

---

(١) شريط رقم ٧ عداد ٤٠٠.

(٢) الطبيعة لأرسطو ترجمة إسحاق بن حنين ٢: ٧٣٣.

(٣) فوائد في مشكل القرآن ص ١١٩.

موقف ابن تيمية من لفظ الحركة وغيره من الألفاظ المبتدعة

وموقف ابن تيمية من هذا اللفظ كموقفه من غيره من الألفاظ التي لم يتكلم بها السلف نفياً ولا إثباتاً فقال: « إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات... والألفاظ المبتدعة ليس لها ضابط، بل كل قوم يريدون بها معنى غير المعنى الذي أراده أولئك كلفظ الجسم والجهة والحيز بخلاف ألفاظ الرسول.... والألفاظ المبتدعة تضمنت تكذيب كثير مما جاء به الرسول ﷺ. وصاروا يعارضون به الكتاب والسنة، واللفظ المحدث يجب استفصال صاحبه»[١].

قال: **«فمن قال ينزل فيتحرك وينتقل من مكان الى آخر، أو يفرغ منه ليشغل آخر؟ فهذا كله باطل يجب أن ينزه الله عنه»**[٢].

وذكر أن: « تلك العبارات من الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل، وفي نفيها حق وباطل، وفي إثباتها إثبات حق وباطل، فيُمنع من كلا الاطلاقين بخلاف النصوص الالهية فإنها

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٣٢

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٤٥٨ ـ ٤٥٩ و ٥٧٨.

فرقان فرق الله بها بين الحق والباطل. . .» ولهذا كان السلف لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه الا بعد الاستفسار والتفصيل. بخلاف كلام الله ورسوله فإنه يجب قبوله وإن لم يفهم معناه. . .»(١).

ـ قال: «فالمعتزلة عندما ينزهون الباري عن الأعراض والحدود والأحياز والجهات والجسمية لا يقصدون تنزيه الباري عما يجب تنزيهه عنه. . . وإنما يُدخلون في مضامينها نفي ما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله من صفات الكمال.

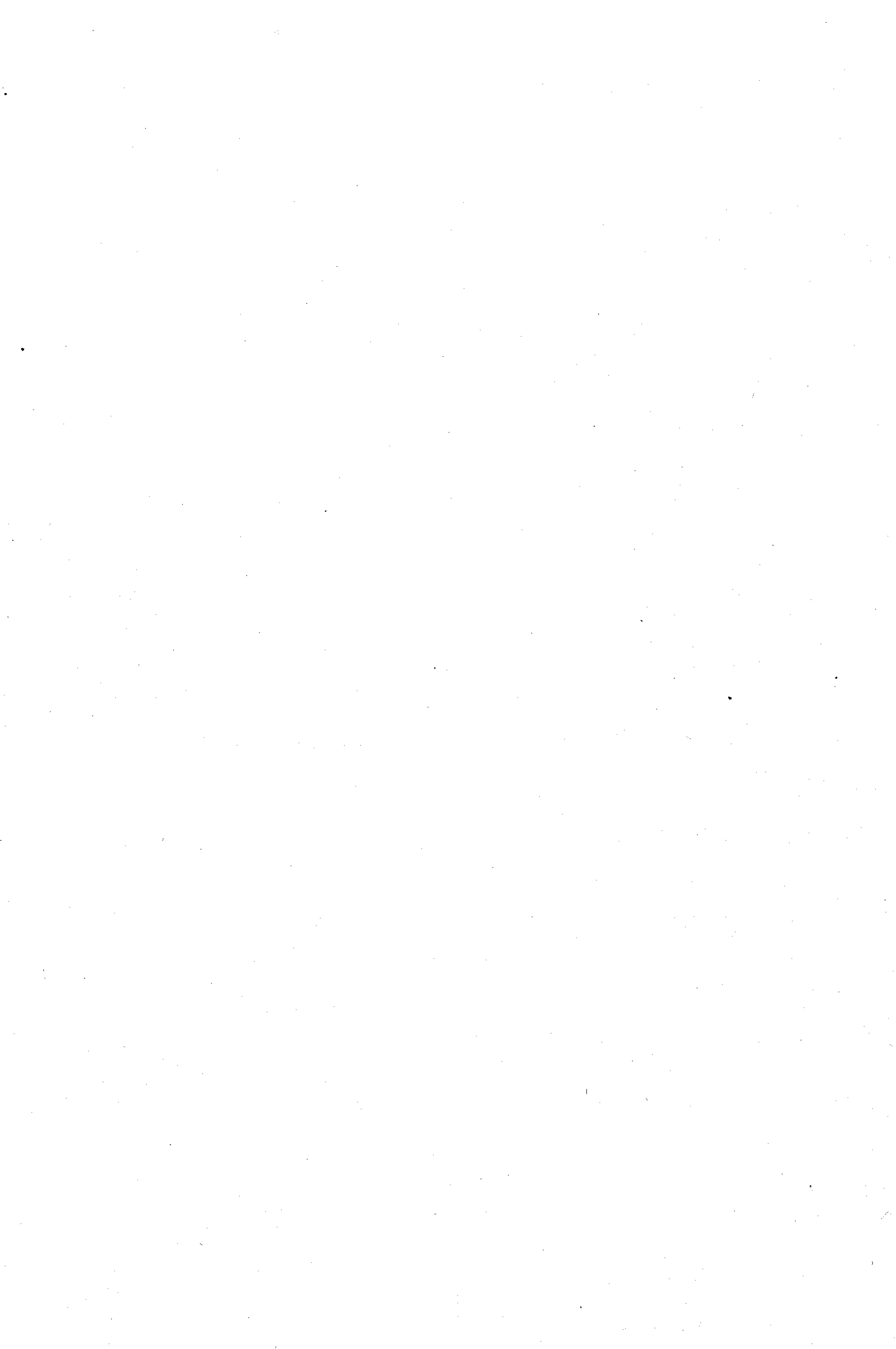
فإذا قالوا: «إن الله منزه عن الأعراض لم يكن في ظاهر العبارة ما يُنكر لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزه عن الاستحالة والفساد كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض، ولاريب أن الله منزه عن ذلك، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك من الصفات التي يسمونها أعراضاً.

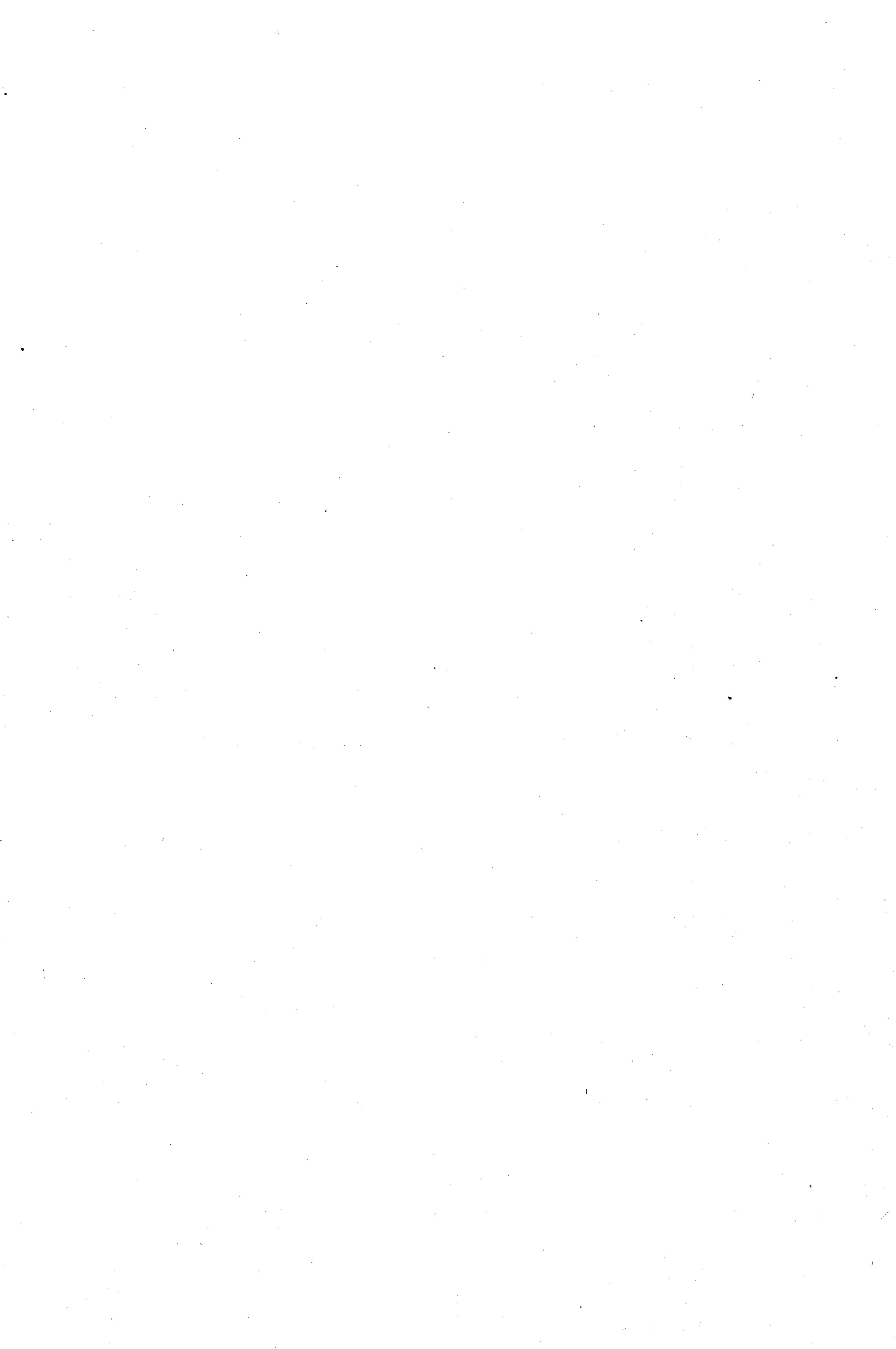
وإذا قالوا: إن الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات: أوهموا الناس أن مقصودهم بذلك أن لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات. وهذا المعنى صحيح. ومقصودهم: أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله، وأن محمداً لم يعرج به إليه، ولم ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء.

وإذا قالوا: إنه ليس بجسم: أوهموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات. ولا مثل أبدان الخلق: وهذا المعنى صحيح، ولكن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٧٥.





سلف الحبشي في تحريف معاني النصوص

ويجدر التنبه إلى أن الحبشي حريص على أن يكتم على الناس تلك الحقيقة وهي أن أهل الكتاب كانوا يحرّفون معاني النصوص. وهو ثابت عنهم باعتراف الحافظ ابن حجر الذي أفاد بأن تحريف أهل الكتاب لمعاني النصوص لا يُنكر بل موجود عندهم بكثرة.

والمؤولة أمثال الحبشي يتهربون من تبيين هذه الحقيقة حتى لا يقول الناس إن الحبشي يضاهىء أهل الكتاب في تحريفاته معاني النصوص والتي يسميها زوراً (التأويلات) جاعلاً الاستواء بمعنى الاستيلاء والغضب بمعنى العقوبة والرضى بمعنى الثواب الخ... متذرعاً بذريعة التنزيه. وبالطبع لابد للشر من تزيين وزينة التحريف دعوى التنزيه.

قال تعالى ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وقال ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾.

ثم أثبت ابن حجر أن هذا ما رجحه الامام البخاري صاحب الصحيح. فقال: «قال شيخنا ابن الملقن في شرحه: هذا الذي قاله أحد القولين في تفسير هذه الآية وهو مختار البخاري»[1].

وأخذ الحافظ يسرد الأقوال التي قيلت في تفسير في معنى

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٥٢٣.

التحريف: حتى وصل إلى القول الثالث: وهو أنه وقع اليسير منها، ومعظمها باق على حاله، ونصره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه (الرد الصحيح لمن يبدل دين المسيح).

ولقد رد الحافظ ابن حجر على الزركشي دعواه إبطال هذا القول فقال: « وفي وصفه القول المذكور بالبطلان نظر، فقد نسب لوهب بن منبه وهو من أعلم الناس بالتوراة، ونسب لابن عباس ترجمان القرآن، وكان ينبغي له ترك الدفع بالصدر والتشاغل برَدّ أدلة المخالف التي حكيتها» انتهى.

اتهامه بالقول بفناء النار

هل قال ابن تيمية بفناء النار

وأشاع خصوم ابن تيمية أنه كان يقول بفناء النار وأنها تنطفى بأهلها.

أما خصومه فمنهم الحبشي الذي قال: «كان ابن تيمية نقل في كتابه منهاج السنة النبوية أنه لا خلاف بين المسلمين في ذلك إلا أن جهماً خالف فكفّره المسلمون. ثم قال هو [أي ابن تيمية] بخلاف ذلك في النار»[١].

وأنا ما تركت كتاباً للحبشي إلا وقد قرأته ومع ذلك لم يأت بنص واحد من كتب ابن تيمية يؤيد ما يزعم، وأتحداه أن يأتي بدليل واحد وإلا كان حكمي فيه أنه كذاب ومفتر.

بل قد تجد من الأشاعرة كأبي منصور البغدادي من يجوز فناء النار في العقل مع قوله بدوامها حسبما جاء في الخبر[٢].

أن تصيبوا قوماً بجهالة

ـ وأما أصحاب ابن تيمية ومحبوه فمنهم الشيخ شعيب الأرناؤوط

---

(١) إظهار العقيدة السنية ١٩١.
(٢) أصول الدين ٢٣٠.

محقق الطحاوية الذي نسب القول بفناء النار إلى ابن تيمية وابن القيم[١]. وليس في كتب ابن تيمية ما يفيد ذلك بل قد نصت كتبه على دوام النار إلى الأبد.

القاري ينفي التهمة عن ابن تيمية

وقد نفي العلامة القاري هذه التهمة عن ابن تيمية فقال في رسالته القيمة التي رد بها على ابن عربي: «وأما قول المؤول إن ابن تيمية الحنبلي ذهب الى أن الكفار في عاقبة الأمر يخرجون من النار فافتراء عليه»[٢].

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٤٢٢ ط: المؤيد.

(٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود ٨٦.

أقوال ابن تيمية في أبدية الجنة والنار

قال: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يُعدم ولا يَفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة. وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتها»(١). «ولهذا اشتد إنكار السلف عليهم لقولهم بفناء الجنة والنار»(٢).

قال: «والجهم يقول بفناء الجنة والنار وأبو الهذيل الذي يقول بانقطاع حركات أهل الجنة والنار... وخالفهم جماهير المسلمين(٣). وطريقة الأعراض عند أهل الكلام ألجأتهم الى أن يلتزموا لوازم فاسدة أدت بالجهم بن صفوان وغيره الى القول بفناء الجنة والنار(٤).

قال « وقال أهل الاسلام جميعاً: ليس للجنة والنار آخر، وأنهما لا تزالان باقيتين، لا يزال أهل الجنة يتنعمون وأهل النار في النار

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨: ٣٠٧.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨: ٣٤٥.

(٣) الفتاوى ٨: ٣٨٠ و١٢: ٤٥ و ١٤: ٣٤٨ منهاج السنة ١/١٤٦، ٣١٠ـ ٣٥١.

(٤) مجموع الفتاوى ٣: ٣٠٤. درء تعارض العقل والنقل ١: ٣٩ و ٣٠٥ و ٣: ١٥٨ تحقيق د. محمد رشاد سالم. ط: جامعة الإمام بالرياض.

يُعذبون: ليس لذلك آخر»[١]. «وقد أخبر الله ببقاء الجنة والنار بقاء مطلقاً»[٢]

فإذا كان ابن تيمية يؤكد اتفاق السلف على أبدية النار وإنكارهم قول الجهمية بفنائها فكيف يوافق هؤلاء ويخالف السلف؟

فهاهو يعزو القول بفناء النار الى الجهم بن صفوان رأس الجهمية وأبي الهذيل العلاف رأس المعتزلة. فكيف يأخذ بقولهما مع أنه صرح ـ بما رأيت ـ أن جمهور المسلمين مخالفون لهم؟

زد على هذا أن ابن عبد الهادي ذكر في العقود الدرية أثناء سرده لمؤلفات ابن تيمية أن: «له كتاباً قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار»[٣].

---

(١) درء التعارض ٢: ٣٥٨.
(٢) بيان تلبيس الجهمية ١٥٧.
(٣) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٧ دار الكتب العلمية. وقد طبعت هذه الرسالة بتحقيق محمد السمهري دار بلنسية بالرياض.

هل قال ابن القيم بفناء النار؟

وقد قسَّم ابن القيم منازل الناس يوم القيامة الى ثلاث دور: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التى تفنى، وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عُذِّبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة: **ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض**[١].

- واحتج ابن القيم على الجهمية بعقيدة أبي زرعة وأبي حاتم الرازي وسرد عقيدتيهما ومما احتج بقولهما فيه أن الجنة والنار مخلوقان لا يفنيان[٢].

قال ابن القيّم: «وأنا في هذه المسألة على قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ووصف ذلك أحسن صفة، ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء[٣].

- فاقتضت حكمته سبحانه أن خلق دارًا لطالبي رضاه العاملين بطاعته، المؤثرين لأمره القائمين بمحابه: وهي الجنة.. وخلق دارًا

---

(١) الوابل الصيب شرح الكلم الطيب ٤٩ تحقيق الأنصاري.
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ٢٣٣ تحقيق عواد المعتق ط: الرياض.
(٣) شفاء العليل ٢٦٤ ط: دار المعرفة.

أخرى لطالب أسباب غضبه وسخطه.. فهاتان الداران هما دارا القرار»[١].

(١) طريق الهجرتين ١٤٠ ط: دار الوطن للنشر والإعلام.

موقف أهل التحريف من ابن القيم

وقد أبى لصوص النصوص إلا الدس واتباع ما تشابه من كلام ابن القيم مع تجاهل لمحكم أقواله وصريحها التي نصت عليها كتبه، فانظروا أدلتهم لتعرفوا حقيقتهم.

قالوا[١] «وكذب على الله حين قال في (حادي الأرواح ٢٥٧) أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها» انتهى.

وتجاهلوا أن ابن القيم كان ينقل أقوال الفريقين المختلفين في هذه المسألة، ثم ختم مقالة الفريقين بقوله: «فهذه نهاية إقدام الفريقين في هذه المسألة».

قال: «فإن قيل فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن؟ قيل: إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وقال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، وإلى هنا انتهت أقدام الخلائق. وما ذكرناه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه» انتهى.

---

(١) مجلتهم منار «الهدى» عدد ١٣ ص ٥٣.

فمن أين زعمتم أن ابن القيم تبنى القول الصريح بفناء النار أيها المحرفون؟

ثم لجأوا إلى تحريف آخر فقالوا: «وقال الحافظ [ابن حجر] وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع ونصره» قالوا: ويريد الحافظ ببعض المتأخرين: ابن القيم الجوزية، ولا يخفى ذلك على من طالع حادي الأرواح»(١).

يا لجرأة المحرفين كيف علموا أن مراد الحافظ بذلك ابن القيم بينما لم يصرح ابن القيم نفسه بتبني هذا القول في كتابه المشار إليه؟ وعلى من لا يخفى؟.

هكذا فعل الذين في قلوبهم مرض في القرآن فاتبعوا ما تشابه منه وأعرضوا عن محكمه، وهكذا يفعلون مع نصوص العلماء: يتبعون ما تشابه ويتجاهلون ما صرحوا باعتقاده بكلمات واضحة.

ثم زعموا أن ابن أبي العز قال في (شرح الطحاوية ٤٢٧) «السابع: أن الله يُخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقيها شيئًا فشيئًا ثم يُفنيها، فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه» وهمم يهجمون بمثل هذا الدس على العامة والجهال. وأما طلبة العلم فيعلمون أن قوله (السابع) أي القول السابع من الأقوال المختلفة. حيث كان يسرد أقوالهم في هذه المسألة.

---

(١) مجلتهم منار «الهدى» ٣١/٥٣.

فانظر إلى أهل التحريف كيف يحرفون كلام المخلوقين بعد تحريفهم كلام الله ورسوله.

من القائلون بفناء النار

ولو فرضنا أن ابن تيمية وتلميذه قد صرّحا بذلك فلا يجوز أن يُعتَبر ذلك كفرًا فإن فيه روايات منقولة عن السلف أبي هريرة وأبي سعيد وعمر وابن مسعود منها ما أورده السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾:

ـ أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: قال عمر رضي الله عنه: «لو لبِث أهل النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه»[1].

ـ وقال الشعبي: «يأمر النار أن تأكلهم». وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: «ما في القرآن أرجى لأهل النار من هذه الآية». وقال: «جهنم أسرع الدارين عمرانًا وأسرعهما خرابًا»[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وهو أن يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم ثم يجدد خلقهم»[3].

---

(١) قال الألباني في شرح الطحاوية ٤٨٤ «ضعيف فإن الحسن لم يدرك عمر بن الخطاب».
(٢) تفسير الطبري المجلد السابع ١٢/ ٧١ والدر المنثور للسيوطي ٣/ ٣٥٠.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٠.

ـ وأخرج إسحق بن راهويه عن أبي هريرة قال: «سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد».

ـ وعن ابن مسعود قال: «ليأتينّ على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابًا».

فهذه النصوص المحكية عن السلف كانت مورد الشبهة، وقد يأخذ بها من لا يتحقق من درجة ثبوت هذه الروايات أو ضعفها. وهذا بخلاف من بنى قوله أصلا على قواعد أهل الكلام أدت به إلى التزام لوازم فاسدة كالجهم بن صفوان.

فكيف وأن الثابت عن ابن تيمية وتلميذه تصريحهما المطلق بأبدية الجنة والنار وأنهما لا تفنيان أبدًا!! وهو ما أذهب إليه.

ولقد أنكر الشعراني صحة نسبة القول بفناء النار إلى محي الدين ابن عربي، مع أن ذلك موجود في كتبه، فقال الشعراني في الأجوبة المرضية: «ثم إنه بتقدير صحة نسبة ذلك إلى الشيخ محي الدين فالشيخ لم ينفرد بذلك، فقد قال جمع من الظاهرية وفرقة من الحنابلة والقدرية بفناء النار»[١]. ومع ذلك فإن المتعصبين لم يُشيروا إلى ذلك وإنما سكتوا عنه وكتموا الحق بشأنه لأنه من الأولياء:

نعم؛ هو من الأولياء ولكن أولياء من؟

---

(١) نقلاً عن جلاء العينين للألوسي ٤٢٥.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1]. وقال: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[2].

(١) سورة الأعراف، آية: ٣٠.
(٢) سورة النساء، آية: ٧٦.

قيام الحوادث بالرب هو قول الأشعري

أما عن استنكار الحبشي قول ابن تيمية «فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب. قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل»(١).

فالحبشي يكتم الناس أن هذه من مسائل الأشعري نفسه خالفه فيها الماتريدية وأن الأشاعرة يوافقون ابن تيمية في ذلك.

الرازي يصرح بقيام الحوادث بالرب

ويكتم الحبشي أيضًا عن عامة أتباعه أن هذا ليس مذهب ابن تيمية وحده وإنما هو ما انتهى إليه نُظّار الأشاعرة حيث انتقدوا القول بأزلية الصفات مطلقًا بعد أن واجهتهم مشكلات بسبب هذه النظرية، فتفرقوا واضطربوا:

حتى صرح إمامهم في المذهب الأشعري وهو الرازي بأن أكثر العقلاء يقولون بقيام الحوادث بالرب وإن أنكروه باللسان:

أضاف الرازي:

* فأبو علي وأبو هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا بإرادة حادثة لا في محل.

---

(١) المقالات السنية ١٩.

* وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته تعالى علوما متجددة بحسب تجدد المعلومات.

* والفلاسفة يقولون بأن الإضافات وهي القبلية والبعدية موجودة في الأعيان. فيكون الله مع كل حادث. قال الرازي: وذلك الوصف الإضافي حدثٌ في ذاته.

* والأشعرية يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة[١] ، وانتهى إلى أن القول بقيام الصفات الفعلية (ذكر منها صفة الكلام) بمشيئة الله واختياره هو أصح الأقوال عقلا ونقلا» قال الحافظ ابن حجر: «وهو المحفوظ عن السلف»[٢].

وقال في المطالب العالية: «هل يعقل أن يكون الله محلا للحوادث؟ قالوا[٣] هذا قول لم يقل به إلا الكرامية. وأنا أقول: إن هذا قول قال به أكثر أرباب أهل المذاهب، أما الأشعرية: فإنهم يدعون الفرار من هذا القول إلا أنه لازم عليهم». ثم أوضح بطلان عقيدة الأشاعرة في الكلام النفسي وهي قول بعيد عن الصواب[٤].

فإذا كان قيام الحوادث بصفات الرب الفعلية: لزم الحبشي تكفير ابن حجر والرازي والأشاعرة عمومًا، فإنهم أكدوا قيام الحوادث في

---

(١) الأربعين في أصول الدين للرازي ١١٨.
(٢) فتح الباري ١٣/ ٤٤١.
(٣) يعني أصحابه من الأشاعرة.
(٤) المطالب العالية ٢/ ١٠٦ و ٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٧.

أفعاله سبحانه. وأنه قول لامهرب منه.

أليس غريبًا حينئذ أن يتهم ابن تيمية بأنه يقول بقيام الحوادث بالرب بينما يكتم عن عامة أتباعه أن هذا ما اتُهم به الأشعري نفسه في موقفه من صفة التكوين وسائر صفات الأفعال. **ولقد زعم أن الأشعرية والماتريدية تمثلان عقيدة أهل السنة والجماعة**. وأنه لا حرج على من يختار أي من الطريقتين شاء. فإذا كان يلزم من القول بحدوث صفات الرب حدوث الرب نفسه فأخرجوا الأشاعرة من بوتقة أهل السنة والجماعة.

ولقد اعترف الحبشي بأن معظم الأشاعرة خالفوا الماتريدية قائلين: إن الصفات الفعلية ليست أزلية لأنها لا تتعلق بذات الله تعالى[١] وإنما تقوم بإرادة الله ومشيئته[٢]. ويلزمهم من ذلك أن يعترفوا بأن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية خلاف في أصل العقيدة. وأن منه ما جعلهم يكفّر ويبدّع بعضهم بعضًا.

ولقد اعترف الحبشي بصحة ما ذكره الحافظ ابن حجر في (الفتح ١٣/ ٤٣٩) بمعارضة الأشعري القول بأزلية كل الصفات لله تعالى مما جعل الماتريدية يُلزمونه بأنه يقول بحلول الحوادث بالله[٣]. وبقي هذا الخلاف قائمًا بين الفريقين إلى اليوم:

فالأشاعرة يقولون بأن الصفات الفعلية لله ليست أزلية بخلاف

---

(١) إظهار العقيدة السنية ٣١.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٤٤١ و ٤٥٥ و ٤٩١.

(٣) الدليل القويم ٧٦.

الصفات الذاتية فإنها أزلية. وهذا باعتراف الحبشي نفسه[١].

التعلقات والإضافات هروب شبيه بالكسب:

وقد فسروا أفعال الله بالتعلقات والإضافات وهي في الحقيقة ليست إلا الأفعال ولكنها مخالفة لها في اللفظ موافقة لها في المعنى كقولهم في الكسب الذي خالفوا فيه الجهم لفظًا ووافقوه معنى. ولهذا ألزم الرازي الأشاعرة بأن التعلقات والإضافات التي يقول بها المتكلمون هي الحدث بنفسه في الله[٢].

أما عن التعلقات فيسألهم ابن تيمية أولا عن الدليل الشرعي من الكتاب والسنة على وجود إضافات وتعلقات لله وهو أمر غيبي لا قِبَلَ لهم بالعلم به إلا من عند الله؟ فهذا افتراء شبيه بافترائهم أن جبريل فهم ما في نفس الله من المعاني وصاغه بألفاظ من عنده.

ثم يناقشهم ابن تيمية فيقول: «إما أن يكون التعلق أمرًا وجوديًا أو عدميًا؟.

فإن كان عدميًا فلم يتجدد شيء والعدم لا شيء. فهذا قول غير معقول.

وإن كان وجوديًا بطل قولهم من أصله فيلزمهم إثبات إرادة فعلية مستقبلة[٣].

---

(١) الدليل القويم ٧٥.
(٢) الأربعين في أصول الدين ١١٨.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٢٨٣.

نفي قيام الحوادث بالرب

ذريعة اعتزالية قديمة موروثة

ولقد استخدم المعتزلة هذه الذريعة فقالوا: لا تحِلّ الحوادث بالله: لا الأعراض ولا الجواهر. وأرادوا بذلك نفي أن تقوم به صفة العلم والقدرة أو أن يقوم به الفعل كالخلق والاستواء والإحياء والإماتة. غير أن السلف ردوا عليهم.

ـ قال البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدَث المخلوقين لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

فإنكار قيام الحدث في أفعال الرب يؤدي إلى القول بأزلية المخلوقات، وإثبات ذلك على وجه لا يشبه حدث المخلوقين هو الموافق للشرع والعقل كما قال البخاري».

وأين هذه الأزلية من قول النبي ﷺ «**لما فرغ الله من الخلق كتب على عرشه رحمتي سبقت غضبي**»؟!

تفصيل معنى الحوادث

ولابد لنا أن نتفهم مراد ابن تيمة من عبارة (قيام الحوادث بالرب):

قال: «فمن قال: الرب تعالى ليس محلا للحوادث، نقول له: إن هذا لفظ مجمل لا يُقبل على إطلاقه، بل يُفسَّر ويُفصّل كالآتي:

فإن أريد بهذا النفي المجمل أن الله تعالى ليس محلا للحوادث، أي ليس داخل ذاته المقدسة شيء من المخلوقات المحدثة فهذا نفيٌ صحيح.

وإن أريد بذلك النفي: نفي ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من الصفات الاختيارية من أن لا يتكلم بما شاء إذا شاء ولا أنه يغضب ويرضى ولا أن لا يتكلم بما شاء إذا شاء ولا أنه يغضب ويرضى ولا أن يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والاتيان كما يليق بجلاله وعظمته: فهذا نفيٌ باطل ومردود على قائله»[1].

وأهل الكلام المذموم يطلقون [لفظ] نفي الحوادث، فيسلّم السُّنّي له ذلك على ظن أنه ينفي عن الله ما لايليق بجلاله.

وإنما أُتِي السّنّيُ من تسليمه لهذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه» أي لم يتمكن المتكلم من إلزامه بهذا النفي.

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٧٣.

مسالة قدم العالم

وزعم الحبشي أن ابن تيمية كفر لقوله بقدم العالم بنوعه، ونقل عن التقي السبكي قوله في الدرة المضية أن ابن تيمية «جعل الحادث قديماً والقديم حادثاً» يعني قوله بقدم المخلوقات وقوله بحدوث الارادة بالله. قال: ولم يجمع أحد سواه بين هاتين الضلالتين[١].

- قلت لو كان هذا صحيحاً فكيف يثني السبكي عليه الثناء البالغ ويصرح أن الله جمع له بين الورع والزهادة وبلوغه الاجتهاد والديانه ونصرة الحق، واتباعه مذهب السلف[٢] رواه الحافظ ابن حجر.

واذا كان السبكي يصف ابن تيمية بهذه الأوصاف العظيمة: كيف يجرؤ لرجل ككمال الحوت أن ينفي دعاء السبكي له بالرحمة[٣] فإنه بالرغم من تعصب السبكي الابن ضد ابن تيمية إلا أنه كان يدعو له بالرحمة والفوز بشفاعة النبي ﷺ ووسيلته[٤].

الفخر الرازي يمنع من تكفير القائلين بقدم العالم

وتعجب إذا علمت أن الفخر الرازي ـ مقعّد المذهب الأشعري ـ قرر في «شرح إشارات ابن سينا» (١/ ٤٢ ـ٤٣) أنه لا كُفرَ لمن يقول

---

(١) الدليل القويم ١٦٠.

(٢) الدرر الكامنة ١/ ١٥٩ الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٩٣.

(٣) التوفيق الرباني ٦٨و ٧٦ والرسائل السبكية ٦٠.

(٤) طبقات السبكي ١٠: ١٤٩ تحقيق الحلو والطناحي ط الحلبي مصر.

بقدم العالم على طريقة الفلاسفة مع إثبات الخالق وأن العالم مخلوق لازم لذات الله، بل لم يجعلها من مسائل التوحيد ما دام الكل متفقاً على أن الله هو خالق كل شيء.

قال: «فأما القائلون بأن واجب الوجوب واحد، فقد اختلفوا على قولين:

فمنهم من قال: إنه تعالى لم يكن في الأزل فاعلا، ثم صار فيما لا يزال فاعلا وهم المليّون بأسرهم. ومنهم من قال: إنه كان في الأزل فاعلا وهم الفلاسفة». ثم قال بعد سطور: إنه كان في الأزل فاعلا وهو الفلاسفة.

قال: «فثبت أنه لا تعلق لمسألة القدم والحدوث بالتوحيد».

اختبار الصدق

وكنا نود أن يكون الحبشي شديداً على القائلين الحقيقيين بقدم العالم، غير أننا رأيناه على عكس ذلك فإنه يتستر عليهم ويتأول ألفاظهم.

فمع أنه يذكر أن الأمة اتفقت على كفر القائلين بقدم العالم، إلا أنه لا يريد أن يعترف بأن أبرز القائلين بقدم العالم هم الصوفية، يتزعمهم في ذلك ابن عربي كما صرّح به:

- العز بن عبد السلام (الذي كان معاصراً لابن عربي).
- وأبو حيّان النّحوي.
- والحافظ ابن حجر.

حيث صرحوا أن ابن عربي يقول بقدم العالم ولا يحرِّم فرجاً[١].

لكن الحبشي ينسب القول بقدم العالم (زوراً) الى ابن تيمية ويتكتم على شهادة العز بن عبد السلام وأبي حيان في ابن عربي أنه كان مؤمناً بقدم العالم: فهل هذا إلا الظلم والتعصب الأعمى؟!

هذه كتب ابن تيمية: أين قال فيها بقدم العالم؟ قارنوها بكتب ابن عربي التي قال فيها الذهبي: «إن لم تكنَ كفراً فلا يوجد في الدنيا كفر»[٢].

---

(١) لسان الميزان ٢/ ٣٨٤ سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨ تفسير البحر المحيط ٣/ ٤٤٩ تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ١٥٧ للبقاعي طبقات ابن الملقن (١٥٣) صفحة ٤٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨.

ما حكم القائلين بأزلية النور المحمدي؟

إن الحبشي يخفي حقيقة لا يعرفها من يتعصبون له، وهو أنه في الوقت الذي يتهجم فيه على ابن تيمية ويتهمه كذباً بأنه يقول بأزلية شيء مع الله، يخفي عليهم أن القول بوجود مخلوق أزلي مع الله هو قول المنحرفين الصوفية الذين يفخر بأنه على طريقتهم كالرفاعية والنقشبندية.

الصيادي والرواس يصرحان بأزلية نور النبي ﷺ

فقد ذكر الصيادي في قلادته الصلاة الرفاعية ونصها:

«اللهم صلّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك: نقطة مركز الباء الدائرة الأولية الذي فتقت به رتق الوجود وخصصته بالمقام المحمود وأقسمت بحياته: فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييتَ به الموجودات من معدن وحيوان ونبات[1].

وصفه الصيادي بأنه ﷺ **نور من نور الله** وسر من أسراره[2]. وهذا السر قديم مع قدم الله.

---

(١) قلادة الجواهر ٢٤٩ وهذا الكتاب يعتمده الحبشي ويعظمه.

(٢) قلادة الجواهر ٢٦٣.

وهذا ما صرح به المهدي الرواس في كتابه (بوارق الحقائق)[١] حيث جعل نور النبي ﷺ أزلياً وأن عمامته فوق عرش الله، قال:

وهـــو نـــور أزلـــيٌّ طـــرزُه صار في وجه وجود الكون شامة

طُـــوِيَ العـــالـــم فـــي جبّتـــه وعلى العرش علت منه العمامة

وتسألهم: كيف اعتقدتم بوجود أزلي مع الله؟ أليس هذا كفراً؟ لماذا لا تحكمون بكفر زعيمين من كبار الطريقة الرفاعية: الصيادي والرواس؟

وهنا ستخرس ألسنتهم ولن يرضوا بتكفير الصيادي ولا الرواس، لأنهما رأس الطريقة الرفاعية، وسيحاولون التملص من الإحراج، وسيشعرون بالذلة بعد تعاظمهم، يتبجحون بتكفير ابن تيمية لقوله بزعمهم بأزلية المخلوقات. ألا فليجيبوا عن انحرافات الصيادي والرواس إن كانوا صادقين. فإن أبوا فاعلم أنهم متعصبون. يصدق فيهم قول أبي حنيفة: «اني وجدت أهل الكلام قاسية قلوبهم، غليظة أفئدتهم، لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة، وليس عندهم ورع ولا تقوى»[٢].

والصيادي يزعم أنه لولا محمد لما خلق الله السموات والأرض. قال« فالكل لأجله كان وبه نظم، بمعنى لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك»[٣] وقد كذّبه الله حين قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

---

(١) بوارق الحقائق ص ٣٣٣ و ص ١٥ من المجموعة النادرة.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٩ مفتاح دار السعادة ٢: ١٣٦.

(٣) قلادة الجواهر ٢٥٢.

والصوفية يزعمون أنهم يصيرون الى حالة تجعلهم مع الله شيئاً واحداً، وكلامهم في «الفناء بالله» مشهور منثور في كتبهم. فكيف يصير القديم والحادث شيئاً واحداً؟!

أحمد زيني دحلان يصرح بأزلية نور النبي ﷺ

وقد صرح أحمد زيني دحلان بأزلية النور المحمدي ﷺ وأن النبي ﷺ كان نبياً قبل وجود آدم بخلاف باقي الأنبياء فإنهم لم يكونوا أنبياء إلا في حال نبوتهم. قال: «فنور النبي لم يزل قائماً به. حتى إن الملائكة أُمروا بالسجود لآدم لأن نور محمد كان ظاهراً على جبهته»(١).

مع أن الأحباش صرحوا بأنه من الكفر قول إن محمداً خُلق من نور لأن ذلك تكذيب للقرآن لأن الله قال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾(٢).

فهل يحكم الأحباش بكفر دحلان؟

ودحلان مكثر من الكذب ومن أكاذيبه على النبي ﷺ زعمه أنه النبي قال «سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور: لا يزال يلعق يكثر في زمانه الهرج والمرج، يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم مفخراً، وهي فتنة يعتز فيها الأرذلون والسفل تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه»(٣).

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ٢/ ٢٨٦.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠، منار الهدى ٣٤/ ٢٥.

(٣) الدرر السنية في الرد على الوهابية ص٥٥، وهو من أكاذيبه. وبه تعرف إن كان الرجل مفتياً بحق.

عقيدة مصطفى نجا من وحدة الوجود

كما يعبر عنه عبد السلام بن بشيش «اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة»[١]، هذه العبارة المشؤومة قد استحسنها من تجعلونه قدوة لكم في الاعتقاد وهو الشيخ مصطفى نجا[٢]. قاله في كشف الأسرار الذي أثنى عليه الأحباش وزعموا أنه دليل على صحة عقيدته[٣].

فيا من تزعم أن من مزايا الطريقة الرفاعية محاربة القائلين بوحدة الوجود لماذا تثني أنت وأتباعك على مصطفى نجا الذي استحسن هذا الكلام الكفري من ابن بشيش، فالتوحيد عنده أوحال، والوحدة عنده هو عين التوحيد!!

وإليك المزيد من عقيدة مصطفى نجا الشاذلي اليشرطي[٤]:

---

(١) النفحة العلية في أوراد الشاذلية ١٦.

(٢) كشف الأسرار لتنوير الأفكار ص ٩ طبع على نفقة أحمد اليشرطي شيخ الطريقة اليشرطية الشاذلية.

(٣) مجلة منار الهدى ٤٣/ ٤٧.

(٤) اليشرطية طائفة صوفية فاسدة حكي عنها أمور مذمومة واعتقادات مشؤومة حتى نفتهم الحكومة العثمانية، حكى في (حلية البشر) أنهم «كانوا يفخرون بمخالفة الشريعة وأن فعل المنكرات يوصل إلى رب الأرباب، ويُذكر أنهم كانوا يرتكبون الفواحش، وكان كثيرون يشكونهم إلى مؤسس الطريقة علي بن أحمد اليشرطي فكان يقتصر على قوله: «عظوهم وعرّفوهم أن هذا محرم». وإذا وعظهم إنسان سخروا منه وعدّوه من أهل الجهالة» (أنظر الأعلام للزركلي ٤/ ٢٦١).

وكان يؤمن بقدم نور نبينا ﷺ وأن من نوره ﷺ خلق الله الأشياء، وأن نور النبي ﷺ أول صادر عن الله[١].

وأنه لولا محمد ما خلق الله سماءً ولا أرضاً، ولم يخرج شيء من العدم الى الوجود لولا سريان سره في الأشياء وإمداده لها: لم يصح بقاء موجود[٢].

وزعم أن الله يتجلى لمن شاء من خلقه كما وقع لموسى حين تجلى الله له على النار المخلوقة[٣].

---

(١) كشف الأسرار ص ١٢٨.
(٢) كشف الأسرار ٧٤ ـ ٧٥ وانظر ٨٦.
(٣) الكشف الإلهي ٨٠.

طريقة أهل البدع في الحكم على الآخرين

وزعم أن ابن تيمية قال: «لا مانع أن يكون نوع العالم غير مخلوق لله»[١] من غير أن يحيل الى شيء من كتبه.

ولا وجود لمثل هذا في كلام لابن تيمية وإنما هذا ما يراه الحبشي مما يزعم أنه من كلامه، ولو سألته عن المصدر الذي أخذ منه هذه العبارة لقال لك أنا لم أنقل هذا نصاً وإنما هو لازم كلام ابن تيمية في قوله بالقدم النوعي.

ولقد نبه ابن تيمية من قبل على أن هذه طريقة من طرق أهل الكلام في الافتراء على خصومهم حيث يُلزمونهم بما لم يقولوه، ثم يحكونه للناس فيظنون أنه نص كلامهم، وإذا طولبوا بالدليل على ما زعموه من مصدر خصومهم قالوا لك: هذا لازم قول خصمنا. وهو تحريف واضح وليس بجديد، فقد حرفوا كلام الله: جعلوا الاستواء استيلاء، فما الذي يمنعهم من تحريف كلام غير الله؟! ولا يعتقدون أن لازم المذهب ليس بمذهب.

---

(١) الدليل القويم ١٦٠.

تبرئة ابن تيمية من القول بقدم العالم

قال الحبشي: «فإن قلت أين قال ابن تيمية بأن دوام النوع أزليته. قلنا مراده بدوام النوع الأزلية كما لا يخفى[١]. فلم ينقل الحبشي شيئاً من كتب ابن تيمية وانما قال: «لا يخفى أن يكون هذا مراده» أي مقصوده. ولو كان لابن تيمية نص صريح لتمسك به الحبشي وأظهره على الملأ. لكنه لا يملك نصاً فلم يسعه إلا أن يقول: ومراده بدوام النوع الأزلية كما لا يخفى» وهذا تلبيس ماكر لا يتفطن له العامة من الناس.

وهو لا يخبرهم أن ابن تيمية يرى أن الصفات الفعلية لله تعالى وإن كانت أزلية النوع إلا أنها حادثة الأفراد كالخلق والكلام.

لكن الظالمين قلبوها الى «قدم العالم النوعي» وجعلوا ذلك موافقاً لقول ابن سينا والفارابي وابن رشد الحفيد[٢]، بطريقة اعتباطية جائرة. وهذا كقولهم عن الحنابلة أنهم يعتقدون بأزلية وقدم ورق المصحف والحبر وجلد الغلاف. وقد جهلوا أن الله مطلع على هذا التلبيس الذي لا يزيد طالب الحق إلا نفوراً من مذهب الظلم.

وقد أفتى ابن تيمية بكفر الفلاسفة لقولهم بقدم العالم، وصرّح مراراً بأن الله لم يزل خالقاً فعّالاً وأن دوام خالقيته من لوازم وجوده،

(١) الدليل القويم ٤١.
(٢) قاله في كتابه إظهار العقيدة السنية ٤١.

فهذا ليس قولاً بقدم شيءٍ من العالم[١].

وأكد أن القول بقدم العالم قول الدهريين وهو كفرٌ ظاهرٌ معلومٌ فساده بالعقل والشرع، إذ لو كان العالم قديماً لوجب أن يكون مع الله قديماً آخر[٢] بل هذا من أبطل الباطل وأن من قال بذلك فليس معه إلا الجهل» (منهاج السنة ١/ ١٠١ ـ ١٠٤). فإن «كل ما سوى الله مخلوق حادث كائنٌ بعد بعد أن لم يكن، وأن الله هو وحده القديم الأزلي ليس معه شيء قديم تقدّمه» (درء التعارض ١/ ١٢٥).

قال: «ويمتنع أن يكون مفعوله (أي ما خلقه الله) مقارناً له أزلياً معه، لأن كونه مقارناً في الأزل يمنع كونه مفعولا له، فإن كون الشيء مفعولا مقارناً ممتنع عقلاً» (منهاج السنة ١/ ١١٧). مما يؤكد أن كلام ابن تيمية عن دوام النوع لا يعني به شيئاً من دوام أحد غير الله.

وقال: «وليس معه قديم بقدمه، بل ليس في المفعولات قديم ألبتّة، بل لا قديم إلا هو سبحانه، وهو الخالق لكل ما سواه، وكل ما سواه مخلوق» (المنهاج ٨/ ٢٧٢).

فها هو يصرح بوضوح أن القول بوجود قديم آخر مع الله تعالى من أبطل الباطل، فأوضحوا كلامكم وأجيبوا ببساطة ووضوح: هل يقول ابن تيمية بقِدَم شيء مع الله أم لا؟ إن سؤالا مثل هذا على بساطته سوف يُحرجهم لأنهم لن يجدوا من كلام ابن تيمية ما يؤيد فريتهم.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٩٥.
(٢) شرح حديث النزول ١٦٠ و ١٧٠ ط المكتب الإسلامي.

تسلسل الحوادث لا الى أول

يمنعون على الله التخليق

وأما مذهبكم الذي أخذتموه من الحبشي فإن العامة لم يقفوا بعد على حقيقته وهو أنكم تجعلون ممتنعاً على الله أن يخلق شيئاً قبل خلق الماء أو العرش. وهو الذي جعل ابن تيمية يخالفكم في ذلك أشد المخالفة، لأن مذهبكم ينتهي إلى نسبة العجز لله عز وجل، لاسيما وأنه محالٌ على الله برأيكم أن يخلق شيئاً قبل خلق السموات والأرض، لأن الامتناع عندكم داخل في باب المحالات.

وهذا ما حدا بابن تيمية الى مخالفتكم قائلا بأنه:

«إذا لم يزل الله حياً قادراً مريداً متكلماً ـ وذلك من لوازم ذاته ـ فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وإنه: أنْ يوصف الله بالفعل أكملُ من أن لا يفعل شيئاً وأنه لا يلزم من هذا القول أن يكون شيء من مخلوقاته ملازم معه أزلاً لأنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له. فلكل مخلوق أول، والله لا أول له، وليس من العقل أن يكون الله خالقاً من غير خلق». وقال: « إذا عرض على العقل ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها، وذات لا يمكنها أن تتكلم بمشيئتها ولا تتصرف بنفسها: قضى العقل الصريح

أن هذه الذات أكمل»[١].

وإثباتكم أن الله خالق لكنه لم يكن خالقاً قول مرجوح، ونسألكم: هل يمكن أن يخلق مذ كان خالقاً؟ فإن قلتم نعم فقد قلتم بإمكان حوادث لا أول لها، ولا فرق عند العقلاء بين إمكانها وبين حدوثها فعلا. وإن قلتم: لا، وقعتم في سفسطات لا نهاية لها.

فأنتم لم تعرفوا إلا مذهبين: مذهب الفلاسفة القائلين بقدم العالم ومذهبكم في الاستدلال على الخالق بحدوث العالم آل بكم الى نفي صفات الله الفعلية. لأن الفعل عندكم حدوث، وظننتم أنه اذا بطل مذهب الفلاسفة صح مذهب الأشاعرة.

بينما هناك قول ثالث: وهو التفريق بين الخلق والمخلوق، فالخالق هو الله تعالى والخلق هو الصفة التي قامت به والمخلوق هو الموجَد المنفصل عنه.

فيقال في صفة الخلق لله ما يقال في صفة الكلام. وهذا معنى دوام النوع عند ابن تيمية الذي احتج بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ على دوام خالقيته مع تصريحه الدائم بأنه ليس مع الله شيء قديم[٢].

ولكن ليس عندكم أي رغبة في الاعتراف بوجود الفرق بين نوع

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٤٢ درء التعارض ٤/ ٧ـ ١٠

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٢٨.

الصفة وبين عين الصفة، وذلك هرباً من القول بحلول الحوادث بذاته تعالى، وقد فعلتم الشيء نفسه في صفات الله الأخرى فألحدتم في الصفات الفعلية منها وعطلتموها وجعلتم الصفات كلها أزلية، وهو السبب الذي جعلكم تنكرون أن يدخل كلام الله تحت مشيئته وقدرته. وأن يدخل فعله تحت مشيئته وقدرته.

بينما يفرّق ابن تيمية بين النوع والعين ويقسّم الصفات الى ذاتية أزلية وفعلية غير أزلية على النسق الذي فعله الأشعري والبيهقي والكرماني والحافظ ابن حجر من قبل.

وهذا ما حملكم على ظلم الرجل واتهامه بموافقة الفلاسفة مع أنه يكفّرهم لقولهم بقدم العالم. وشهدتم عليه شهادة زور تُسألون عنها أمام الله يوم يقوم الأشهاد!.

وفي صفة الارادة يفرق ابن تيمية بين الارادة للشيء وبين إرادة فعله كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فكلمة (إذا) ظرفية تخص الفعل الماضي للاستقبال. ففي الآية إثبات إرادة مستقبلة تتعلق بالمراد[1].

وهو لاشك أنه أراد هذا الشيء قبل كونه أزلا، وهي الارادة القديمة. وأما إرادة الشيء عند خلقه فهي إرادة متعاقبة لا تتعارض مع إرادة الله الأزلية.

---

(١) رسالة الصفات الاختيارية لابن تيمية ٢/ ١٣ ضمن جامع الرسائل.

ويقول: «أنتم تسلمون قدم الارادة والقدرة وحدوث المخلوقات بعد أن لم تكن، فما أوجب حدوث المخلوقات في وقت دون آخر؟.

فإما أن يوجد سبب لحدوثها أو لا يوجد. ولايمكن أن يقال: لا يوجد سبب.

وهذا السبب هو الفعل الحادث الذي يفر الأشاعرة المتأخرون منه هروباً من القول بقيام الحوادث بالله. وهو لازم لهم كما ألزمهم به الرازي.

وفي صفة العلم يفرق التفريق نفسه فيرى أن الله يعلم بالشيء قبل وقوعه فلما خلقه تجدد له علم مع علمه المتقدم أنه سيكون. كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ وقوله ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ وقوله ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ ولا يرد على ذلك قولهم أنه يلزم من ذلك التغير في ذات الله. فإن التغير من حجج الفلاسفة وشبهاتهم التي جعلتهم ينفون علم الله. وكتاب الله جاء بخلاف ما تخرصت به الفلاسفة وأتباعهم الذين جعلوا العلم والارادة شيئاً واحداً حتى لا يقولوا بتجدد العلم والارادة.

وصفة السمع والبصر لا تتعلقان بالمعدوم فإذا خلق الله الأشياء رآها، وإذا دعاه عبادُه سمع دعاءهم. فلله سمع وبصر ذاتيين وفعليين ففي الرؤية يقول تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ ولم يقل ﴿ قَدْ سَمِعَ

ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ إلا بعد أن قالوا ما قالوا.

وهذا ما انتهى إليه الرازي في شرح الإشارات حيث ذهب إلى أن قول أبي الحسين البصري بتغير العلم عند تغير المعلوم هو المذهب الصحيح[1].

إما حدوث الفعل وإما أزلية المفعول

وأما قولكم بأزلية صفات الله الفعلية فإنه يؤدي الى القول بأزلية المفعولات، لأننا إذا قلنا بأن الفعل كان أزلياً صار المفعول أزلياً مثله. وإن كان الفعل محدداً بوقت صار المفعول محدداً غير أزلي. فإن من قال إن الله خلق السموات والأرض والبشر منذ الأزل فقد جعل وجود المخلوقات أزلياً. ولهذا كان قولكم هو المشعر بالتصريح بقدم العالم، وهو الذي دعا الرازي إلى مخالفتكم وإلى التصريح بأن جميع من تهربوا من القول بالحدوث في أفعال الله تعالى اضطروا إلى العودة إليه بصيغة أخرى.

ولهذا لم يكن يوافقكم ابن تيمية على زعمكم في:

١) التحديد الزمني لابتداء فعل الله التخليق. لأنه ما من وقت إلا كان الله فيه خالقاً. ولم يكن معطلاً عن الخلق.

٢) ولم يوافقكم على زعمكم أن الله كان موصوفاً بأنه خالق لكن

---

(١) شرح الإشارات ١/ ٧٦ عن الزركان ص ٣٠٩.

التخليق كان ممتنعاًعليه.

٣) ومع ذلك لم يكن يرى ابن تيمية وجود شيء قديم مع الله عز وجل كما تزعمون عليه بلا تقوى ولا إنصاف، فإنه قال: **«وكل مخلوق فهو مُحدَث مسبوق بالعدم وما ثم قديم أزلي إلا الله وحده، وإذا قيل لم يزل خالقاً فإنما يقتضي قدم نوع الخلق [أي التخليق ولهذا قال] ودوام خالقيته لا يقتضي قدم شيء من المخلوقات، فيجب الفرق بين أعيان المخلوقات الحادثة بعدَ أن لم تكن، فإن هذه لا يقول عاقل أن منها شيئاً أزلياً»**(١). **فأين قال ابن تيمية بقدم شيء من المخلوقات؟!**

والذين يجعلون لفعل التخليق لله تعالى تحديداً ويمنعون عليه أن يكون خالقاً شيئاً قبل خلق السموات والأرض فليس عندهم إلا رواية: **«كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض»** ويفهمون من ذلك أنه قبل السموات والأرض لم يكن ثمة خلق. مع أن الرواية هذه تفيد بأن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والأرض. مما يدل على أن هذه الرواية لا يلزم منها القول بأن الله لم يكن خالقاً شيئاً قبل خلق السموات والأرض.

ـ فقد جاء أهل اليمن يسألونه عن هذا العالم المشهود وليس عن جنس المخلوقات. فأخبرهم عن خلق السموات والأرض حال كون عرشه على الماء ولم يخبرهم عن ابتداء خلق العرش الذي تؤكد الرواية أنه كان مخلوقًا خلق قبل السموات والأرض.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٩٥.

ـ وأيضًا فقد قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**» وفي رواية «**معه**» وفي رواية «**غيره**» ـ والمجلس كان واحدًا ـ فعُلم أنه قال أحد هذه الألفاظ الثلاثة والآخران رُويا بالمعنى. ولهذا كان كثير من أهل الحديث يروونه بلفظ «القبل» كالحميدي والبغوي وابن الأثير.

ولفظ «القبل» ثبت عن النبي ﷺ في غير هذا الحديث:

فقد ثبت عنه ﷺ أن الله «**قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة: وكان عرشه على الماء**» (مسلم ٦٢٥٣) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**» (مسلم ٢٧١٣).

القائلون من أئمة الكلام بتسلسل الآثار(١)

قال الأسنوي في شرح منهاج الوصول (٢/ ١٠٣) «وأجاب في التحصيل (للآرموي) بجوابين. . الثاني «أن المحال من التسلسل إنما هو التسلسل في المؤثرات والعِلل، **وأما التسلسل في الآثار فلا نسلّم أنه ممتنع**.

قال الأصفهاني في (شرح المحصول): وفيه نظر لأنه يلزم منه تجويز حوادث لا أول لها، وهو باطل على رأينا» انتهى كلام الأسنوي ونقلُه.

قال العلامة محمد بخيت المطيعي في الصفحة نفسها على (شرح الأسنوي) معلقًا على كلام الأرموي قال: «كلام جيد، وأما قول الأصفهاني: (وفيه نظر. .) فلا يلزم من كونه باطلا على رأيه أنه باطل في الواقع ونفس الأمر، فإنه لغاية الآن لم يقم دليل على امتناع التسلسل في الآثار الموجودة في الخارج، وإن اشتهر أن التسلسل فيها محال، ولزوم حوادث لا أول لها يضر بالعقيدة إلا إذا قلنا: لا أول لها: بمعنى لا أول لوجودها: **وهذا مما لم يقم به أحد**، بل الكل متفق على أن ما سوى الله تعالى ـ لما كان أو يكون ـ حادث: أي موجود بعد العدم بقطع النظر عن أن تقف آحاده عند حدٍ من جانبي الماضي

---

(١) هذا الفصل مستفاد من الكتاب القيم المسمى (دفع الشبة الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية) ص ٣٨ لمؤلفه مراد شكري شكر الله سعيه.

والمستقبل أو لا تقف عند حد من جانبيهما».

فالأرموي مجوّز، والأصفهاني مبطل بقوله (وفيه نظر) والأسنوي ناقل، وبخيت المطيعي شيخ الأزهر ناصر لقول الأرموي، وكذلك أثير الدين الأبهري[١] في كتابة المعروف بـ «تحرير الدلائل في تقرير المسائل» قائل بها، والشيخ محمد عبده والجلال الدوّاني قائل بذلك كما ستراه: ومع هذا فلا تفسيق ولا تضليل ولا تكفير على النحو الذي نراه من الحبشي وأضرابه.

وقد رجّح الدوّاني القول بحوادث لا أول لها في حدوث العالم فقال: «أنت خبير مما سبق أنه يمكن صدور العالم مع حدوثه، وعلى هذا الوجه، فلا يلزم القدم الشخصي في شيء من أجزاء العالم، بل القدم الجنسي بأن يكون فردك لا يزال على سبيل التعاقب موجودًا»؟

وقال الشيخ محمد عبده في حاشيته على «شرح الدوّاني للعقائد العضديّة» (ص ١٧٩) ما نصه: «وقد استشهد الحكماء على قِدَم الممكنات بدليل نقلي، وهو ما ذمّ الله به اليهود ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وبيانه: أنه لو قيل بحدوث العالم فقد قيل بأنه الحق في أزليته لم يزل معطلا عن الفيض والجود أزمنة غير متناهية لا ابتداء لها ثم أخذ يعطي الوجود، ومعلوم أنه على فرض أنه لم يزل خلاّقًا إلى الأبد فكل ما خلقه فهو منتهاه، ونسبة المتناهي إلى

---

(١) أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري السمرقندي صاحب كتاب (هداية الحكمة) شيخ الأصفهاني شارح المحصول توفي سنة ٣٦٣ هـ.

غير المتناهي كَلَا نسبةٍ، وذلك جلي التصور، فنسبة إعطاء الحق للوجود إلى منعه عن كل موجود ليست بشيء، وإن هذا إلا غلّ اليد، حيث أن الإعطاء ليس بشيء يُذكر في جانب المنع، وهذا من الشناعة بمكان. . . والجواب أن ذلك ـ التخلص من الشناعة ـ لا يتوقف على القول بقدم شيء من أجزاء العالم، بل يكفي أن يقال: إن الله لم يزل خلاّقًا، وإن كان كل جزء من أجزاء العالم حادثًا، فلا أول لعطائه، ولا مانع يقهره سبحانه، وهو الجواد الحق، ينفق كيف يشاء، ولا شيء من العالم قديم، بل كل حادث فهو مسبوق بالعدم، فلا دلالة في الآية على القِدَم» انتهى.

فتأمل قوله (فلا أول لعطائه) وقوله (كل جزء من أجزاء العالم حادث) وقوله (لم يزل خلاّقًا).

قال الأستاذ مراد شكري: «واعجب أخي أن أحدًا من المحققين النّظار لن يخطر بباله أبدًا أن قدم النوع هو شيء قديم مع الله، وأن النوع شيء محسوس له وجود.

واسأل هؤلاء: هل نوع الحوادث منفك عن الحوادث أم ملازم لها؟ أهو هي؟ إذ لا يمكن أن يكون شيئًا آخر كما يبدو؟

إن كان هو هي ـ وهو محال ـ فما الداعي لذكره؟ فهو حادث مثلها، وإن كان ملازمًا لها فالمعلوم أن القديم: زائد الحديث يساوي حادثًا.

والمركب من القديم والحادث هو حادث وهذا بيّنٌ عند من شدا

شيئًا من علم الكلام.

وأما إن قالوا: إن النوع شيء والحوادث شيء، فقل لهم: فسّروا لنا كلمة (نوع) وحدها هكذا مجردًا، والأفضل أن تراجعوا لـ«الأجرومية» فتدرسوا باب المضاف والمضاف إليه، وتعربوا جملة (نوع الحوادث) فهذا أليق بكم»(١).

ثم نقل عن ابن تيمية في (درء التعارض ٩/ ١٥٣) ما نصه: «فيقال لكم: أتريدون بذلك أن كل حادث فلا بد أن يكون مسبوقًا بغيره وأن الحوادث المحدودة لا بد أن تكون مسبوقة، أو أن الجنس لا بد أن يكون مسبوقًا؟

أما الأول والثاني فلا نزاع فيها، وأما الثالث فيقال: أتريدون به أن الجنس مسبوق بعدم أم مسبوق بفاعله؟ بمعنى أنه لا بد له من محدث؟ الثاني [أي أنه مسبوق بفاعله] مسلّم، والأول محل نزاع».

قال الأستاذ مراد: «فهذا تقرير وتسليم أن جنس الحوادث مسبوق بالفاعل وهو الله جل وعلا، [وهذا يؤكد أن] القول بحوادث لا أول لها، أو تسلسل الآثار لا يفهم عاقل هذه العبارة إلا أنها متعلقة بمشيئة الله التي هي أزلية، وهي مسبوقة بالفاعل رب العالمين، وهذا بدهي وإلا لما كانت حوادث جمع حادثة، وهي المخلوقة المسبوقة بالعدم بأفرادها».

(١) دفع الشبه الغوية ٤٥ ـ ٤٦.

قال: «ويُسأل القائل: (إن إثبات حوادث لا أول لها مشاركة لله في اسمه «الأول» فيقال له: ماذا تقول في هذه الحوادث التي لا أول لها الآن؟ هل هي موجودة أم معدومة؟.

فإما أن يقول: موجودة أو معدومة. أو يفتح فمه ويقول: ها، هاه لا أدري.

قال شيخ الإسلام في (درء التعارض ٣/ ٥١): «وأيضًا فالحوادث الماضية عُدمت بعد وجودها، فهي الآن معدومة كما أن الحوادث المستقبلية الآن معدومة، فلا هذا موجود ولا هذا موجود الآن، وكلاهما له وجود في غير هذا الوقت، ذاك في الماضي، وهذا في المستقبل»[١].

---

(١) دفع الشبه الغوية ٤٩.

اتهامه بالقـول بقدم العـرش

وهذه كذبة أخرى يفتريها الحبشي على ابن تيمية وينقلها عن الجلال الدواني كما في شرح العضدية «وقد رأيت في التأليف لابن تيمية القول بالقدم الجنسي للعرش»[١].

ـ ولعلك تلاحظ عبارة «تأليف» وما تتضمنه من الافتراء فلماذا لم يذكر اسم هذا التأليف.

وإذا كنت لا تعرف من هو الجلال الدواني فابحث عن كتاب «إيمان فرعون»[٢] فإن الدواني كتبه دفاعًا عن فرعون ولإثبات أنه مات على الإيمان. فقد ردّ عليه الشيخ ملا على القاري في كتاب «فرّ العون من مدّعي إيمان فرعون». ألم يجد الحبشي رجلا يحتج به غير من يدافع عن فرعون ويحكم بإيمانه؟.

قال الآلوسي المفسر: «وحاشا ابن تيمية أن يثبت عنه هذا الكتاب بل نسبته إليه كنسبة كتاب «إيمان فرعون» إلى الجلال الدواني، فاحفظ ذلك» ثم تعقب الجلال الدواني قائلا «وجلال الدين وأضرابه أجهل الناس بالحديث».

ـ وكذلك حكى الألوسي طعن الكوراني في حاشيته المسماة:

---

(١) إظهار العقيدة السنية ٦٠.

(٢) تحقيق ابن الخطيب ط المطبعة المصرية ١٩٢٤.

«مجلى المعاني على شرح عقائد الدواني» في صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن تيمية قائلا «لم أقف على هذا التصنيف لابن تيمية»[١].

وهكذا حال من يحتج الحبشي بتجريحهم لابن تيمية لا يخلون من التعصب والانحراف الصوفي كالدواني والسبكي والهيتمي والحصني.

---

(١) عن جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي ٣٤٠ و ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

إقعاد النبي ﷺ على العرش

وزعم الحبشي أن ابن تيمية قال: «إن الله تعالى قاعد على الكرسي وترك موضعًا لمحمد ليجلسه عليه في الآخرة. وهذا الكتاب غير الرسالة العرشية»[١].

ولكن، أين قال ابن تيمية هذا؟ وفي أي كتاب. إننا لم نره يؤيد ذلك في كتاب من كتبه، بل إنه حكى أن من السلف من قال بذلك وأنكرها آخرون[٢].

وصدق فيما قاله، فإن من السلف من قال بذلك، ونقلت أسانيدُ كلامهم في هذه المسألة بأسانيد صحيحة منها:

رواية مجاهد التي صححها الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ روى لها المحدِّثون كالخلال في السنَّة أسانيد كثيرة جدًا. بلغ بعضها الصحة. قالوا إن الله يُقعِد النبي ﷺ ليُري الخلائق منزلتَه[٣].

ولذلك قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن الجوزي: وقيل إن المقام المحمود أي إقعاده على العرش، وقيل على الكرسي وحكى كلا من

(١) شريط ١٣ (وجه أ) ٩٤.

(٢) رسالة الرد على البكري ٣٢٩ المعروفة بكتاب الاستغاثة.

(٣) رواه الخلال في السنة ٢١٨ وانظر العلو للذهبي ٧٥.

القولين عن جماعة[١] ورواه الطبري عن جماعة من السلف ولم ينكر رواية مجاهد في إقعاد النبي ﷺ على العرش[٢].

وقد رد الحافظ ابن عبد البر كلام مجاهد واعتبره مخالفًا للصواب ومهجورًا عند أهل السنة»[٣]. ومنهم من أيد قول مجاهد وبالغ في الانتصار له كأبي بكر المرزوي الذي جمع فيه كتابًا وروى عن إبراهيم ابن عرفة سمعت ابن عمير يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول: «هذا قد تلقته العلماء بالقبول». وكذلك انتصر وأفتى بوجوب التسليم له جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو داود السجستاني صاحب السنن وإبراهيم الحربي ومحمد بن مصعب العابد شيخ بغداد وخلقٌ كثير، بحيث قال ابن الإمام أحمد عقيب رواية قول مجاهد: «أنا منكِرٌ على كل من رد هذا الحديث، وهو عندي رجل سوء متهم، سمعته من جماعة وما رأيت محدّثًا ينكره، وعندنا إنما تنكره الجهمية» بل انتصر له ابن جرير وقال: «ليس في فِرق الإسلام من يُنكر هذا» وقال بأن ما قاله مجاهد غير مدفوع صحته لا من خبر ولا من نظر»[٤]. وذكر بأنه لا يلزم منه لوازم باطلة.

فمسألة إقعاد النبي ﷺ على العرش على افتراض صحة نسبتها إلى ابن تيمية مسألة تكلم فيها طائفة من السلف كمجاهد وغيره.

---

(١) فتح الباري ٢: ٩٥.
(٢) تفسير الطبري المجلد الثامن الجزء ١٥.
(٣) التمهيد ٧/ ١٥٧.
(٤) تفسير الطبري المجلد الثامن ٨ ١٥/ ٩٨ ـ ٩٩ والعلو للذهبي ١٢٤.

فانظر مدى دقة ابن تيمية حول رواية الإقعاد «رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه ويتلقونه بالقبول.

وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال إلا توقيفًا، لكن لا بد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول، وما ثبت من كلام غيره سواء كان من المقبول أو المردود»(١).

ابن فورك يقر الإقعاد فهل تكفرونه؟

وحتى ابن فورك فإنه روى رواية مجاهد أن الله يقعد محمدًا ﷺ على العرش وجعل لها تأويلاً محتملاً ـ على عادته ـ وهو أن معنى (يقعده معه على العرش) أي بمعنى النصر والمعونة». فقد قال:

«فإن قيل فما تقولون فيما روي عن مجاهد أنه قال في تأويل قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ قيل.. يحتمل أن يقال إنه معه بمعنى النصر والمعونة» (مشكل الحديث وبيانه ٣٣٩). ثم قال:

«ولم ينكر إقعاد النبي ﷺ على العرش تأولينا لفظة معه على ما يليق به من معنى النصرة والمعونة» (٣٩١). انتهى كلامه. فها هو ابن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

فورك يثبت الرواية ويصرح باعتقادها ولكن مع تأويل سائغ لها.

ونقل الخفاجي في شرح الشفا عن الدارقطني في حديث: أن المقام المحمود للنبي ﷺ هو أن يُجلسه معه تعالى على العرش ما نصه:

حديث النبوة عن أحمد ... إلى أحمد المصطفى مسنده
وجاء حديث بإقعاده ... على العرش أيضًا فلا نُنكره
أمِرّوا الحديث على وجهه ... ولا تُدخلوا فيه ما يُفسده
ولا تُنكروا أنه قائم ... ولا تُنكروا أنه يُقعده

وهذه الأقوال مرجوحة، ولقد ثبت عن النبي ﷺ بسند صحيح أنه قال «**المقام المحمود: الشفاعة**»[1].

ومن الطريف أن الذين لا يؤمنون باستواء الله على العرش ـ وإنما يؤمنون باستيلائه عليه ـ تعتريهم هنا غيرة على العرش بعد أن نفوا أن يرتفع الله عليه كما قال مجاهد في البخاري.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٧٨ والترمذي (٣١٣٧) أبو نعيم ٨/ ٣٧٢.

الرفاعية والنقشبندية يفضلون قبر النبي ﷺ على العرش ويزعمون علو مشايخهم فوق عرش الرحمن

وأهل البدع الصوفية يفضلون قبر النبي ﷺ على عرش الرحمن والكرسي بل والجنة أمثال محمد الصيادي الرفاعي(١) وقالوا إن قبره ﷺ أفضل من عرش الرحمن وكرسيه! فأي القولين أعظم ضلالة: إقعاده على العرش أو تفضيل قبره عليه؟

ويزعمون أن الله وضع ديكاً عند العرش اسمه (ديك العرش) وأن أبا الوفا (من كبار الرفاعية) كان ينظر إليه وهو جالس في مكانه ويأمر الناس بالنظر إليه وهو يصيح للصلاة من على العرش(٢).

وزعم الصيادي (كبير الرفاعية) أنه لما أخرج آدم من الجنة جعل يبكي على فراق «الملائكة الصوفية» السبعين ألفاً: جُردٌ مُرد(٣) يرقصون حول العرش وجبريل رئيس الراقصين وميكائيل قوالهم (منشدهم)(٤) يقولون:

---

(١) قلادة الجواهر ١٠٤ ضوء الشمس ١/١٧٦ الذخائر المحمدية ١٦١ و ٢٠٦ لعلوي مالكي.

(٢) ترياق المحبين ٤٢، روضة الناظرين للوتري ٢٧.

(٣) جمع أمرد وهو الولد الذي لم تظهر لحيته بعد.

(٤) قلادة الجواهر ١٨٥ الفجر المنير ٨٠.

جـــل الملــــك ملكنــــا لــــولا الملـــك هلكنــــا

وزعـم النقشبنـديـون (الـذيـن يفخـر بهـم الحبشـي وينتسـب الـى طريقتهم) أن أولياءهم يعرجون إلى السماء بل ويرتفعون فوق عرش الرحمن متى يشاؤون. فقد نقلوا عن أحمد الفاروقي قوله: «كثيراً ما كان يُعرج بي فوق العرش المجيد، فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه (أي العرش) رأيت مقام الامام شاه نقشبند» أضاف «واعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي»[1].

ولقد اطلعت على كثير من كتب التصوف ورأيت أكثرها يتضمن مثل هذه القصص التي يرفعون بها مشايخهم فوق عرش الله ويجعلون من كراماتهم ارتقاء العرش وتعديل ما في اللوح المحفوظ لتغيير الشقي سعيدًا أو السعيد شقيًا. ونسبة التصرف في الأكوان إليهم.

(١) المواهب اللدنية ١٨٤ الأنوار القدسية ١٨٢.

كذبة الرسالة العرشية

وقد افترى عليه الحبشي وزعم أن كلامه موجود في الرسالة العرشية، وهو ما لم نجده فيه. ولذلك اضطر الى تقليد الكوثري جهمي العصر[١] في كذبه على ابن تيمية أنه تم مؤخرًا حذفها من المطبعة في مصر[٢]، ونحن نتحداه بمخطوطات الرسالة العرشية[٣] التي كُتِبت قبل القرن الذي ولد فيه الكوثري وليس فيها هذه الدعوى الكاذبة.

---

(١) وهو حنفي متعصب يصحح ما لا أصل له كحديث (أبو حنيفة سراج أمتي) دفعه لذلك غلوه في أبي حنيفة حتى وصفه الغماري بـ (مجنون أبي حنيفة) (بدع التفسير ١٨٠) قد تطاول على الصحابة حتى رمى أنسًا بالخرف وطعن في البخاري حتى نفى عنه ما وصفوه به بأنه أمير المؤمنين في الحديث وزعم أنه رجل متبجح ومن المتساهلين الذين لا يفرّقون شمالهم من يمينهم (انظر تأنيب الخطيب ٤٤ ـ ٤٥) والكوثري صاحب العنوان المزور (السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل) يعني ابن القيم وقد سأله الغماري عن أصل هذا الاسم فلم يُجب، وكان يدعي ان ابن تيمية كان يتقاضى خمسة دراهم مقابل كل فتوى يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ﴿ستُكتب شهادتهم ويسألون﴾ وقد أعلن حسام الدين القدسي ناشر كتب الكوثري براءته من حقده الدفين وطعنه المطلق بالبشر (مقدمة القدسي لكتاب الانتقاء ٣) وقد أحسن من كشف ضلالاته في مجلد ضخم أسماه التنكيل لما عند الكوثري من الأباطيل. وقد صدر مؤخرًا كتاب للشيخ أحمد بن محمد الصديق الغماري بعنوان «بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري» أثبت فيه طعن الكوثري في جملة من أئمة أهل العلم بدأ بالشافعي مرورًا بأحمد. والكتاب بتحقيق أخينا الفاضل الشيخ علي عبد الحميد.

(٢) إظهار العقيدة السنية ١٥٢ المقالات السنية ٢٥.

(٣) موجودة في خزانة مخطوطات مركز الملك فيصل.

قال الحبشي: «كان ابن تيمية يُخفي بعض كتبه عن عامة أتباعه لئلا ينقلب عليه أحد منهم ولكن أحدهم اطلع على أحد كتبه يقول في هذا الكتاب أن الله تعالى قاعد على الكرسي وترك موضعًا لمحمد ليُجلسه عليه في الآخرة وأن تلميذه ذهب بهذا الكتاب إلى أبي حيان فلما اطلع عليه لا زال يلعنه حتى مات»(١).

وهذه كذبة باردة، فمتى كان ابن تيمية يستخدم هذه التقية وقد قال أمام أعدائه: « أين يذهب بي أعدائي، أنا جنتي وبستاني في صدري أينما ذهبت، أنا حبسي خلوة ونفيي سياحة وقتلي شهادة».

ويوم أن منعه السلطان أن يفتي بطلاق الثلاث قال: لا يسعني أن أكتم علماً. فلم يداهن ولم يتّق أحدًا غير الله.

فأيهما أكثر شجاعة: ابن تيمية أم ذاك (. . .) الذي يرتمي هو وأتباعه بين أحضان الظالمين الذين يستخدمونه خنجراً في وجه الدعاة إلى الله؟ قد أتوا به وطلبوا منه نشر عقيدة أهل سنته وجماعته المتضمنة للبدع والشرك وتكفير المسلمين والدفاع عن العلمانيين الذين ينبذون القرآن ويحكمون عوضًا عنه بقوانين البشر الوضعية. **وينصّبون أنفسهم محامين ومدافعين عن الحكّام بغير ما أنزل الله؟**

ومتى كان ابن تيمية يُخفي شيئًا عن الناس وقد وضع بين أيدي خصومه كتاب الواسطية وبيّن فيه عقيدته وأعطاهم مهلة ثلاث سنوات

---

(١) إظهار العقيدة السنية ١٥١ ـ ١٥٢ الدليل القويم ٣٩.

أن يجدوا فيه ما يخالف الكتاب والسنة فلم يستطيعوا معارضته.

لو فرضنا أنه قالها فإن مسألة إقعاد النبيﷺ على العرش ليست ذاك السر الذي يحتاج ابن تيمية الى إخفائه فإن روايات الإقعاد قد ملأت بطون كتب الحديث حتى إن الخلال والطبري والسيوطي ساقوا عشرات الروايات منها واعتُبرتْ تفسيرًا لقوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾ غير أنها كما قلت لم ترتفع الى درجة الصحة وإنما صحت الروايات إلى بعض التابعين الذين قالوا بها كمجاهد في أحد قوليه[1].

بل هو قول الجيلاني

قال الشيخ عبد القادر: «إن أهل السنة يعتقدون أن الله يُجلس رسوله معه على العرش يوم القيامة[2]، غير أن عامة أهل السنة والحديث كأحمد والذهبي منعوا هذا القول لعدم صحة السند فيه إلى النبي ﷺ. ولكن من تمسك بهذه المسألة ظنًا منه صحة الأحاديث الواردة فيه فلا يجوز تكفيره، وإلا كان المكفّر له شرّ منه وأقرب إلى الحرورية الغلاة.

---

(١) انظر كتاب السنة للخلال (٢٤٤ و ٢٥٠ و٢٥٣ و ٢٦٨ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣.

(٢) الغنية لطالبي الحق ٧١.

نسبة المخادعة إلى ابن تيمية يبطلها العيني وغيره

وزعم الأحباش أنه لما عقدوا مجلساً لابن تيمية احتال عليهم وزعم أنه أشعري. وأنا لم أجد أنه قال ذلك وإنما قال أنه على اعتقاد الشافعي فرضوا ذلك منه[1].

فأما إن ذكر أنه على اعتقاد الشافعي فأي كذب في ذلك فإنه بإثبات الصفات وعدم التأويل ونقد علم الكلام أقرب إلى منهج الشافعي منهم. فإن الشافعي كان يحذر من علم الكلام وابن تيمية يوافقه، بينما الأحباش يلقبون الحبشي (إمام علم الكلام) وهو يؤول الصفات وقد قالوا: التأويل مذهب الخلف والإثبات مذهب السلف!

أما إن قال: أنا أشعري المعتقد فأي كذب في ذلك وقد استقر أمر الأشعري رحمه الله على موافقة عقيدة أحمد بن حنبل، وشهد بذلك الأشاعرة المتقدمون كابن عساكر في التبيين والبيهقي والمتأخرون كالتاج السبكي في طبقاته والزبيدي في إتحافه وابن عذبة، وشهد بذلك غيرهم الذهبي وابن كثير[2].

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٤/ ٤١١.

(٢) تبيين كذب المفتري ١٥٠ و ١٥٢ ـ ١٥٨ و ٣٩٢ طبقات السبكي ٣/ ٩٩ الاعتقاد للبيهقي ٩٦ و ١٠٩ اتحاف السادة المتقين ٢/ ٤ للمرتضى الزبيدي الخطط المقريزية ٣/ ٣٠٨ الروضة البهية ٥٣.

فقوله (أنا أشعري) أفضل من قولكم: إننا أشاعرة بينما تخالفون الأشعري وتوافقون المعتزلة. فهو أقرب وأكثر موافقة مع عقيدة الأشعري منكم. فالأشعري في الحقيقة حنبلي المذهب في العقيدة أيها الأشاعرة.

وإن كنتم تعتبرون ذلك جبنًا ومراوغة فهل تقولون ذلك في أبي الحسن الأشعري رحمه الله وقد حكى الكوثري أنه كان يراوغهم بقصد التدرج بهم[1]!

---

(١) تبيين كذب المفتري ١١٧ ـ ١١٨.

ابن تيمية الشجاع

ولم يزل بدر العيني يحكي مواقفه الشجاعة في حق سلاطين التتار كقوله لغازان ملك التتار فيما رواه ابن كثير عن الشيخ عبد الله بن قوام البالسي: «أنت تزعم أنك مسلم وتقتل المسلمين وأبواك كانا كافريْن ولم يفعلا ما فعلتَ، قد عاهدت فغدرتَ وقلت فما وفيت».

قال كلمة الحق ولم يخش إلا الله عز وجل. قال: ثم قرّبوا طعامًا فأكلوا إلا ابن تيمية فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكلّه مما نهبتموه من أغنام الناس. ثم إن قازان الملك طلب منه الدعاء، فقال ابن تيمية: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيّده، وملّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبًا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذلَّ الاسلام وأهله: فاخذُلْهُ وزلزله ودمّره واقطع دابره. قال: وكان قازان يؤمّن على دعائه ويرفع يديه. قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر السلطان بقتله».

قال: «فلما خرجنا من عند السلطان قال القاضي نجم الدين ابن صصري لابن تيمية: لقد كدتَ أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحبكم. فانطلقنا وتأخر هو ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب

قازان فأتوه يتبركون بدعائه طول الطريق. وهو سائر الى دمشق، وأما الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتار فسلبوهم عن آخرهم»[١].

ولما سمع بتقديس أهل دمشق لصخرة أخذ فأسًا وكسرها[٢]، ولذا وصفه الذهبي بأنه كان أمارًا بالمعروف نهّاءً عن المنكر.

(١) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٨٩ ومن أراد الوقوف على مواقفه الشجاعة يجدها في البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٧ و ١٠ و ١١ و ١٢ ١٤ـ١٦ و ١٩ و ٢٤ـ٢٦ و ٣٣ـ٣٥ و ٤٣و ١٣٢).

(٢) عقد الجمان ٢/ ٥١ و ٨٦ و ٣١٢.

مقـــارنـــة
بين موقف الرفاعية من التتار وبين موقف ابن تيمية

هناك فرق عظيم بين موقف ابن تيمية من التتار وبين موقف الرفاعية (سلف الحبشي) منهم، فإن سجل ابن تيمية مشرف حافل بالجهاد وتحريض ولاة المسلمين ضد التتار بل خروجه بنفسه مع طائفة من المخلصين لملاقاتهم، وكان بهذا العمل النبيل رمز العالم العامل الشجاع.

أما مواقف الرفاعية (سلف الحبشي) فتتسم بالخسة والخيانة. فقد كثر ترددهم على التتار وتقربهم إليهم بالأحاييل التي يسمونها (كرامات) وقد تولوهم طمعًا في هداياهم وأموالهم حتى قال الذهبي: «قد كثر الزغل (الفساد) في أصحاب الطريقة الرفاعية، وتجدَّدتْ لهم أحوالٌ شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيَّات. قال: « وهذا ما عرفه الشيخ أحمد الرفاعي ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان»[1].

وقول الذهبي: «منذ أخذت التتار العراق» إشارة الى أنهم كانوا يوالون التتار الذين احتلوا العراق بإيعاز من زعماء الروافض الشيعة

(١) العبر في خبرمن غبر ٣/ ٧٥.

وقتلوا مليوني مسلم، فكانوا يتقربون الى التتار بتلك الأحاييل.

وكان التتار يعجبهم ما يفعله الرفاعية، ويجزلون لهم العطاء، فكانت إشارة من الذهبي إلى أن من يوالي أعداء الله: كيف يكرمه الله بالكرامات؟

وكذلك حمل عليهم الشيخ الألوسي فقال: «وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة الا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها، فذكْرُهُم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم. وَأعمالُهُم عبارة عن مسك الحيات»[1].

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٣٧٠.

تحريف كلام الحافظ ابن حجر حول تنقيص علي رضي الله عنه

وقد زعم الحبشي أن الحافظ ابن حجر اتهم ابن تيمية بأنه كان ينتقص سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث كتب ردا على ابن المطهر الحلي. ثم حرف الحبشي النقل عن الحافظ فقال: «وكم من مبالغة له لتوهين كلام الحلي أدت به أحيانا الى تنقيص علي رضي الله عنه» انتهى.

وهذا تلاعب بالنصوص: فان النص من النسخة المطبوعة التي أحال اليها الحبشي « وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحيانا الى تنقيص علي رضي الله عنه»[١].

فزاد الحبشي لفظ (له) ليؤكد أن الكلام عائد على ابن تيمية. وبدل كلمة (الرافضي) بكلمة الحلي ليزيد القارىء تأكيدا بأن الضمير ما زال يعود على ابن تيمية. واستبدل لفظ (أدته) الى (أدت به) ليؤكد أن الضمير ما زال يعود على ابن تيمية.

فهذه ثلاثة تحريفات في سطرين فقط

أضف الى ذلك أنه اقتطع من كتاب ابن تيمية نصوصاً ينقلها ابن تيمية على لسان عساكر معاوية، فجعلها الحبشي المحرف كلام

---

(١) المقالات السنية ط: جديدة ٢٠٠.

ابن تيمية. كل ذلك ليشهد أمام الناس زورا أن ابن تيمية كان ينتقص سيدنا علي رضي الله عنه ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾.

أن العبارة في المطبوع غير واضحة وفيها سقط كبير وقد اختلف اللفظ من طبعة لأخرى.

ففي طبعة الأعلمي لكتاب (لسان الميزان ٦/ ٣٢٠) (أدته) والأعلمي رافضي، لا يسلم لطبعته، ولايخفى تسلط الروافض على دور النشر ووراثتهم لليهود في الدس والتحريف وتزوير النصوص. وهناك الكثير من الأدلة على ذلك.

وفي طبعة دار الفكر لفظ (ذاته) بدل (أدته).

فهناك خلط واحتمال للتزوير ثم بياض طويل لا يدرى كيف انتهى الكلام فيه.

الأمر الذي يجعل الاحتجاج بهذا النص في لسان الميزان ساقطًا.

وحينئذ نرجع الى صريح كلام الحافظ ابن حجر في ابن تيمية حيث كان يحتج بنقده العلمي لأدق المسائل وحكمه على الروايات والأحاديث وترجيحه للمسائل المختلف فيها.

أنه لا السبكي ولا الحافظ ابن حجر[1] اتهم ابن تيمية بهذه التهمة من قبل بالرغم من كثرة الحسدة والمتربصين لابن تيمية.

---

(١) وأما ما ورد في الدرر الكامنة (١/ ١٥٣) فهو ليس كلام الحافظ ابن حجر بل هو كلام الطوفي فتنبه.

بل قد أثنى السبكي على رد ابن تيمية على ابن المطهر لكنه أورد مؤاخذات عليه لم يكن من بينها التنقيص المزعوم لعلي رضي الله عنه.

ولو وجد من ذلك شيئا لطار به واحتج به ضد ابن تيمية. فقد قال:

ولابن تيمية رد عليه وفيّ بمقصد الرد واستيفاء أضربه

لكنه خلط الحق المبين بما يشوبه كدر في صفو مشربه

يحاول الحشو أنى سار فهو له حثيث سير بشرق أو بمغربه

يرى حوادث لا مبدا لأولها في الله سبحانه عما يظن به

تمويهات الحوت

وقد قام كمال الحوت بعمل حيلة، فجمع بعض الرسائل والمقالات في كتاب أسماه (الرسائل السبكية) ثم غيّر اسم هذا الكتاب من (الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية) الى (التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني) وحذف منه رسالة السبكي في الرد على نونية ابن القيم، وزاد فيه رسالة أحمد الكلابي في نفي الجهة في الرد على ابن تيمية.

وقام ببعض التغييرات الطفيفة في المقدمة أيضًا حتى بدا للناس أنه كتاب آخر مختلف عن الكتاب السابق، وهو رجل معروف بهذا النوع من العمل والشكوى تزداد منه يومًا بعد يوم، حيث إنه يأخذ كتب الآخرين يصورها وينشرها ويغير غلافها وعنوانها.

وقد ثبت تزويره حذفًا وإضافة حين كان يعمل بقسم التحقيق بدار (عالم الكتب) وقام بحذف بعض العبارات من كتاب للشيخ عبد الفتاح أبي غدة مما أدى الى طرده من الدار بعدما ظهر عدم أمانته.

الشيخ محمد بن درويش الحوت
يعظم ابن تيمية ويحتج به

وتجاهل موقف قرابته من العلماء الشيخ محمد بن درويش الحوت الذي كان يحتج بحكم ابن تيمية على روايات الحديث كما في كتاب (أسنى المطالب، الصفحات التالية (٤١، ٨٩، ١١٨، ١٢٥، ١٨١، ٢٣٦، ٢٥٣، ٣٤١، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٩٩، ٤٣٥، ٤٥٢، ٥٦٦) كذلك كان يحتج بأقوال ابن القيم (صفحات ٨٩، ١٦٨، ٤٥٢).

أوَتَعلمت أيها الحوت من شيخك الحبشي ما جهله سلفك وقرابتك؟ وإذا كان الحوت معظما لابن تيمية وتلميذه الأمر الذي يجعله يكثر من الاحتجاج بأقوالهم فهل يكون موافقاً لعقيدة شيخك الحبشي كما زعمتم في مجلتكم المنار (٤٤/ ٥٤) أم مخالفا له؟.

وهذه حيلة يراد بها التعطيل

ومن تمويهاته قوله: «جمهور الأمة الاسلامية على تنزيه الله عن مشابهة الحوادث»[١].

نعم، التنزيه على طريقة أحمد وغيره من سلف الأمة بإثبات صفات الله إثباتا بلا تشبيه وتنزيهًا بلا تعطيل: فعلى الرأس والعين.

أما أن يقصد بالجمهور: جماهير الجهمية والمعتزلة وأفراخهم الذين يعبثون بصفات الله ويؤولونها على الوجه الذي يحلو لهم: فهو إلحاد مكسو بكساء التنزيه كمن قال: اتخذوا من دعوى التنزيه جُنة ليصدوا بها عن إثبات ما وصف الله به نفسه ورسوله ﷺ.

فالمعتزلة قبلكم كانوا يرون طريقة أحمد باطلة وكانوا يرونه مشبهًا ويزخرفون باطلهم بدعوى التنزيه، وكان الجهمية يدندنون حول التنزيه عن التشبيه أكثر منكم. وكان جهم أول المستائين من آية الاستواء والمجيء واليدين وحديث النزول.

---

(١) التوفيق الرباني ٧ الرسائل السبكية ١٥.

هل كان سجنه دليلاً على فساد عقيدته!

وأما صورة مرسوم ابن قلاوون في ابن تيمية ودندنتكم حول موت ابن تيمية في السجن وقولكم يكفيكم دليلا على ضلاله: رميه في السجن حتى مات فيه.

فلا تغرنكم المراسم السلطانية الصادرة من السلاطين ضد العلماء ولا تعوّلوا عليها، فقد وقع لغيره من كبار العلماء نظير ما وقع له.

- فقد صدر مرسوم سلطاني ضد أحمد بن حنبل يشبه مرسوم ابن قلاوون في ابن تيمية، وأتوا به مكبلا إلى الخليفة المأمون، وتعرض للضرب ولم يمنعه ذلك من الثبات على الحق والصبر على الأذى في الله.

- وكذلك فعلوا بمالك حين تعرض للضرب من قبل المنصور.

- وقاسى البخاري من أهل عصره حتى أخرجوه إلى مدينة خرتنك فمات بها.

- وقاسى أبو حنيفة من الحبس والضرب حتى مات وهو في السجن.

- وقاسى الشافعي من أهل مصر لما ادعى الاجتهاد المطلق.

فلو كان تعَرُّضُ العلماء لاضطهاد السلاطين وظلمهم دليلا على

فساد معتقدهم لما بقي لنا عالم واحد، إذ ما منهم إلا وقد نال نصيبه من أذاهم إلا من كان مواليًا أو شيطانًا أخرس. فكيف وقد علمتم أن البلاء الذي وقع فيه ابن تيمية كان بسبب وشاية أبي نصر المنبجي به إلى السلطان بيبرس الجاشنكير. وذلك أن ابن تيمية بلغه تعظيم المنبجي لابن عربي وشيوع القول بوحدة الوجود بين أتباعه، فأنكر عليه ابن تيمية، مما دفع بالمنبجي إلى تسليط السلطان ضده كما حكاه بدر الدين العيني[١].

---

(١) عقد الجمان ٤/ ٤٦١.

زعمه أنه طعن بعلي رضي الله عنه

قال الحبشي: «وابن تيمية هذا طعن في علي بن أبي طالب وقال: إن حروبه أضرت بالمسلمين». ثم انتهى إلى أن ابن تيمية يحرف القرآن»[١]. وللجواب على ذلك نقول:

١) إن ابن تيمية لم يقل ذلك ومن ادعى شيئًا من ذلك فعليه الدليل. ولقد طالب الألوسيُ ابنَ حجر الهيتمي بالدليل على ذلك من كتب شيخ الاسلام. فلماذا لا يشير الحبشي إلى الموضع الذي سب فيه ابنُ تيمية عليَ بنَ أبي طالب؟

ويوم أن اتهموا الطبري بالتشيع وزعموا أنه أجاز مسح الرجلين في الوضوء: ردّ الذهبي على ذلك قائلا «ولم نر ذلك في كتبه»[٢]. ونحن نطالبكم بالدليل على الطعن المزعوم المنسوب إلى شيخ الإسلام.

ولقد ذكر ابن كثير كيف قُبِض على أحد أعداء ابن تيمية وقد زوّر عليه كتابًا فقطع السلطان يده هو ومن تواطؤا معه على ذلك[٣]. فما يمنع أن تكون هذه الرسالة المزعومة مدسوسة عليه لاسيما وأنك تقرأ من كتبه المنتشرة ما يخالفها.

---

(١) شريط ١٣ الوجه الأول ٩٤.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٧.
(٣) البداية والنهاية ١٤/ ٢٢.

٢) إن الحبشي لا يملك أي مستند يدعم به فريته، ولهذا لا يملك إلا أن يقول: إن ابن تيمية كتم معتقده هذا ولم يظهره في كتبه التي بين أيدينا، ولكن كيف توصل الحبشي إلى معرفة ذلك؟ألعله اطلع على كلامه النفسي ففهم ما في نفسه من المعاني.

إنه تارة يفتري لابن تيمية رسالة عرشية غير التي بأيدينا، ويدافع عن ابن عربي تارة أخرى فيدعي وجود نسخة للفتوحات المكية ليس فيها الكلام الكفري الموجود في النسخة المتداولة. وهكذا هوىً متبع، من غير دليل.

ثم جاء صاحب كتاب التوفيق (٨٥ ـ ٨٩) وتحت عنوان (افتراؤه على الامام علي) جعل ينقل عن الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة (١/ ١١٤) ما يظنه دليلا على طعن ابن تيمية بعلي رضي الله عنه، ثم نقل عن مواضع عديدة من كتاب منهاج السنة لشيخ الاسلام يستدل بها بزعمه على مسألة الطعن. وقد كان في ذلك ملبسًا للحق بالباطل، ونحن سنرى خيانته وتلبيسه وكيف حرّف عبارات شيخ الاسلام وشوهها.

نماذج من تحايل هذا الرجل

ـ ذكر في (ص٨٩) من كتابه عن ابن تيمية قوله: «علي رضي الله عنه كان عاجزًا عن قهر الظلمة من العسكرَيْن. ولم تكن أعوانه يوافقونه على ما يأمر به، وأعوان معاوية يوافقونه. وكان يرى أنه لم يحصل المطلوب بالقتال. . . إلى أن قال: فأئمة السنة يعلمون أنه ما كان

القتال مأمورًا به ولا واجباً ولا مستحبًا ولكن يعذرون من اجتهد فأخطأ[١].

ـ وقال في (ص ٨٥) «وقد ذكر ابن تيمية في حق علي في كتاب منهاج السنة (٢/ ٢٠٣) مانصه: وليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علينا، ولا تاركًا له. فأئمة السنة يسلّمون أنه ما كان القتال مأمورًا به ولا واجبًا ولامستحبًا».

ـ وقال في (ص ٨٩) وانظر الصحيفة (٢٠٤) يقول فيها: «فإن قال الذابّ عن علي: هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لعمار رضي الله عنه: **«تقتلك الفئة الباغية»** وهم قتلوا عمارًا.

فههنا للناس أقوال:

منهم من قذف في حديث عمار.

ومنهم من تأوله على أنه الباغي الطالب[٢] وهو تأويل ضعيف.

وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك وغيرهم: لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية.

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) قال شيخ الإسلام في المنهاج (٢/ ٢١٠ ـ ٢١١): «وأما تأويل من تأوله أن عليًا وأصحابه قتلوه وأن الباغي: الطالب بدم عثمان: فهذا من التأويلات الظاهرة الفساد للعامة والخاصة».

قلت: قد صرح المرتضى الزبيدي بهذا فانظره[١].

وقال المتجني (ص ٨٩) «مرادنا من هذا الكلام تبيين أن عليًا هو الخليفة الواجب الطاعة وأن مخالفيه بغاة. فكيف يقول هذا السخيف [أي ابن تيمية] أنه ما كان القتال مأمورًا ولا واجبًا ولامستحبًا، وأنه لم يحصل للمسلمين فيه مصلحة لا في دينهم ولا في دنياهم. فهذا فيه مخالفة للأحاديث التي أوردناها، أليس هذا ذمًّا بعلي؟!

قلت: لعله لم يطلع على ما قاله ابن الهمام في المسايرة من أن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة بل ظلمة وقتلة وعتاة لعدم الاعتداد بشبهتهم[٢]. ففرق بين البغي وبين غيره.

الجواب عن شبهات الحوت

على القارىء الكريم أن يقارن ما نقله هذاالظالم بكلام شيخ الاسلام ابن تيمية ليرى خيانته في النقل مع ادعائه أنه نقل كلامه نصاً وحرفًا: راجع النصوص الثلاثة الأولى المقتطعة المختزلة[٣].

ثم اقرأ ما كتبه شيخ الاسلام ردًا علىابن المطهر الحلّي الرافضي بنصه «. . . وعسكر معاوية يعلمون أن عليًا أفضل وأَحق بالأمر منه. ولاينكر ذلك منهم إلا معاند أو من أعمى الهوى قلبه. ولم يكن معاوية قبل تحكيم الحَكَمَيْن يدّعي الأمر لنفسه، ولا يتسمّى بأمير المؤمنين،

---

(١) إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٢٥.

(٢) إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٢٥.

(٣) دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص ٣٥٢.

وإنما ادعى ذلك بعد حُكمِ الحَكَمَيْن، وكان غير واحد من عسكر معاوية يقول له: لماذا نقاتل معك عليًّا وليس لك سابقته وفَضله ولا صهره وهو أولى بالأمر منك؟! فيعترف لهم معاوية بذلك، ولكن قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر علي فيهم ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان، وأنهم يقاتلوا دفعاً لصيالهم عليهم، وقتال الصائل جائز. ولهذا لم يبدأهم بالقتال حتى بدأهم أولئك.

ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم ينصرون علينا لأنا نحن بدأناهم بالقتال، وعلي رضي الله عنه كان عاجزاً»[1] عن قهر الظلمة من العسكريين، ولم تكن أعوانه يوافقونه على ما يأمر به. وأعوان معاوية يوافقونه. وكان يرى أن القتال يحصل به المطلوب، فما حصل به إلا ضد المطلوب. وكان في عسكر معاوية من يتهم عليًّا بأشياء من الظلم هو بريء منها. وطالب الحق من عسكر معاوية يقول: لا يمكننا أن نبايع إلا من يعدل علينا ولا يظلمنا، ونحن إذا بايعنا عليًّا ظلمنا عسكره كما ظلموا عثمان. وعليّ إما عاجزٌ عن العدل علينا أو غير فاعل لذلك: وليس علينا أن نبايع[2] عاجزًا عن العدل علينا ولا تاركًا له.

فأئمة السنة يعلمون أنه ما كان القتال مأمورًا به لا واجبًا ولا مستحبًا ولكن يعذرون من اجتهد فأخطأ».

---

(١) هذه خلاصة رأي عسكر معاوية رضي الله عنه ولكن الظالم حاول إيهام القارىء بأنه من رأي شيخ الإسلام بان تيمية.

(٢) هذا من كلام عسكر معاوية ولكن الظلم أوهم القارىء بل خدعه بأنه من كلام ابن تيمية.

«وقوله (أي الرافضي) وقاتل (أي معاوية) عليًا وهو عندهم رابع الخلفاء إمام حق، وكل من قاتل إمام حق فهو باغ ظالم. فيقال له:

أولاً: الباغي قد يكون متأولاً معتقدًا أنه على حق. وقد يكون متعمدًا يعلم أنه باغ، وقد يكون بغيه من شبهة أو شهوة وهو الغالب».

«وعلى كل تقدير: فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة فإنهم لا ينزّهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلا عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد. بل يقولون: إن الذنوب لها أسباب: تدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفّرة. وهذا أمر يعمّ الصحابة وغيرهم..».

إلى أن قال: «أما الرافضي فإذا قدح في معاوية رضي الله عنه بأنه كان باغيًا ظالمًا قال له الناصبي[1]: وعلي أيضًا كان باغياً ظالمًا قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال وصال عليهم وسفك دماء الأمة بغير فائدة لا في دينهم ولا في دنياهم. وكان السيف في خلافته مسلولا على أهل الملة ومكفوفًا عن الكفار.

والقادحون فى علي طوائف: وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون. وخطأ الشيعة في القدح بأبي بكر وعمر: أعظم خطأ في من أولئك في علي.

---

(١) هذا الكلام عبارة عن جدال مفترض بين رافضي وناصبي قادح في علي: وليس هو من كلام ابن تيمية، ولذلك قال بعدها ابن تيمية: والقادحون في علي طوائف: وكلهم مخطئون.

وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم: لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية: فإن الله لم يأمر بقتالها إبتداءً، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يصلح بينهما ثم إن بَغَتْ إحداهما على الأخرى قوتلت التي تبغي، وهؤلاء قوتلوا ابتداءً قبل أن يبدؤوا بقتال».

« ومذهب أبي حنيفة وأحمد وغيرهما أن مانعي الزكاة: إذا قالوا نحن نؤديها بأنفسنا ولا ندفعها الى الإمام لم يكن له قتالهم.

ولهذا كان هذا القتال عند أحمد وغيره كمالك قتال فتنة. وأبو حنيفة يقول: لا يجوز قتال البغاة حتى يبدؤوا بقتال الإمام: وهؤلاء لم يبدؤوا بل الخوارج بدؤوا به. وقتال الخوارج ثابت بالنص والاجماع»[١] انتهى.

فهذا نص شيخ الاسلام ابن تيمية الذي ردّ على افتراءات الرافضي الحلّي، ثم قارِنْه مع النص الثالث المتقدم الذي نقله عنه هذا الظالم مختزلا ليثبت أنه كان يذم عليًا رضي الله.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: «قال الرافضي: وقال (أي عمر) بالرأي والحدس والظن.

والجواب أن القول بالرأي لم يختص به عمر رضي الله عنه بل علي كان من أقولهم بالرأي وكذلك أبو بكر وعثمان وزيد وابن مسعود

(١) منهاج السنة ٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥.

وغيرهم من الصحابة رضي الله عنه كانوا يقولون بالرأي.

وكان رأي علي في دماء أهل القبلة من الأمور العظام كما في سنن أبي داود وغيره عن الحسن عن قيس بن عبّاد قال: قلت لعلي: أخبرنا عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ أم رأيٌ رأيته[(١)]؟

بل روى الأحاديث الصحيحة هو وغيره من الصحابة في قتال الخوارج المارقين».

«وأما قتال الجمل وصفين فلم يروِ أحد منهم فيه نصًا إلا القاعدون. فإنهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة.

وأما الحديث الذي يُروى أنه أمِرَ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فهو حديث موضوع على النبي ﷺ[(٢)]».

«ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذمومًا فلا لوم على من قال به. وإن كان مذمومًا فلا رأي أعظم ذمًا من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين. ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم: بل نقص الخيرُ عما كان، وزاد الشر على ما كان.

فإذا كان مثل هذا الرأي لا يُعاب به: فرأيُ عمرَ وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يعاب.

مع أن عليًا شركهم في هذا الرأي وامتاز برأيه في الدماء.

---

(١) سنن أبي داوود (٤٦٥٨).

(٢) اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٤١٠.

وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة وكان هذا الرأي أصلح من رأي بالدلائل الكثيرة»[1] انتهى.

وقد ردّ شيخ الاسلام على ابن المطهر الحلي الرافضي حين عاب عمرَ رضي الله عنه بالرأي والحدس والظن، ولكن هذا الظالم تلاعب بالنص ونقله مقطوعًا عما قبله وبعده:

حاول هذا الكاتب الظالم تنفير الناس عن شيخ الاسلام، بعدما نقل عنه نقلا مشوهًا واستدل به على ذم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. عليه من الله ما يستحق.

منزلة علي رضي الله عنه عند ابن تيمية

وغير خافٍ على من له إلمام بكتب شيخ الاسلام أنها مليئة بالدفاع عن آل بيت النبي ﷺ وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن نصوص شيخ الاسلام في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الفاضحة لتزوير هذا الظالم:

قال ردًا على الرافضي: « والرافضة لا يمكنهم أن يثبتوا وجوب موالاته (أي علي) كما يمكن أهل السنة، وأهل السنة متفقون على ذم الخوارج الذين هم أشد بغضًا له وعداوة من غيرهم.

وأهل السنة متفقون على وجوب قتالهم. فكيف يفتري المفتري بأن مدح هذا (أي معاوية) لبغضه عليًا وذم هذا لمحبة عليّ مع أنه ليس

---

(١) منهاج السنة ١٥٦/٣.

من أهل السنة من يجعل بغض علي طاعة ولا حسنة ولا يأمر بذلك ولا من يجعل مجرد حبه سيئة. ولا معصية ولا ينهى عن ذلك.

وكتب أهل السنة من جميع الطوائف مملوءة بذكر فضائله ومناقبه وبذم الذين يذمونه من جميع الفرق.

وهو ينكرون على من سبّه وكارهون لذلك.

وما جرى من التسابِّ والتلاعن بين العسكريْن من جنس ما جرى من القتال وهم من أشد الناس بغضًا وكراهة لأن يتعرض له بقتالٍ أو سب. **بل هم كلهم متفقون على أنه أجل قدرًا وأحق بالإمامة وأفضل عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من معاوية وأبيه وأخيه الذي كان خيرًا منه.**

وعلي هو أفضل ممن هو أفضل من معاوية، فالسابقون الأولون الذين بايعوا تحت الشجرة كلهم أفضل من الذين أسلموا عام الفتح، وفي هؤلاء خلق كثير أفضل من معاوية. وأهل الشجرة أفضل من هؤلاء كلهم.

وعلي أفضل جمهور الذين بايعوا تحت الشجرة، بل هو أفضل منهم كلهم إلا الثلاثة. فليس في أهل السنة من يقدِّم عليه أحدًا غير الثلاثة»[1]. يعني أبا بكر وعمر عثمان.

---

(١) منهاج السنة ٢/٢٠٦.

كلمة أخيرة

أخبرونا: أين الطعن في علي الذي تزعمونه؟ لماذا التمويه على العامة من الناس؟

إن هذه النصوص تفضح كذب من يجعلون كلام عسكر معاوية كلام ابن تيمية، بينما يعرضون عن صريح نصوص ابن تيمية التي يثني فيها على علي رضي الله عنه اتباعًا للهوى وإيثارًا للظلم والتجني.

اتهامه بتحريم التوسل مطلقاً

قال الحبشي: « ومن أشهر ما صح عن ابن تيمية بنقل العلماء المعاصرين له: تحريمه التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهِم وفي حياتهم، وتحريم زيارة النبي ﷺ. قال السبكي: « ولم يسبق ابن تيمية في إنكاره التوسل أحد من السلف ولا من الخلف، بل قال قولا لم يقله عالم قط»[١].

وهذا الكلام الذي وضعت لك تحته خطًا هو محض افتراء، فإن ابن تيمية لم يحرم التوسل بالنبي ﷺ في حياته، بل أثبته محتجًا بحديث الأعمى الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، لكنه حرم التوسل به ميتًا واحتج بترك الصحابة التوسل به بعد موته كتوسل عمر بالعباس وتوسل معاوية بيزيد بن الأسود[٢] مما يستنتج منه أن المفهوم المتأخر للتوسل ينافي فهم السلف له، حيث فهموا منه التوسل بدعاء المتوسَّل به لا بشخصه. وقد كانوا في حياته ﷺ يأتونه ويطلبون منه أن يدعو الله أن يسقيهم.

ولابن تيمية في هذا الفهم الصحيح سلف: فقد سبقه بذلك أبو حنيفة وأحمد في أحد قوليه، وهذا يبطل ادعاء السبكي أنه لم يسبق

---

(١) المقالات السنية ٢٦.

(٢) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ٩٢ و ٤٩ و ١٢٦.

أحد ابن تيمية في موقفه من التوسل. ويكفيك أن تتطلع على هذه الفقرة وفيها:

جاء في الدر المختار[١] وهو من أشهر كتب الحنفية ما نصه: « عن أبي حنيفة قال: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به: هو ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

وقال أبو حنيفة: « وأكره أن يقول: بحق فلان أو بِحَق أنبيائك ورسلك»[٢]. وقال أبو يوسف: «لا يُدعىٰ الله بغيره». وقال المرتضى الزبيدي « وقد كره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بِحَق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، إذ ليس لأحد على الله حق»[٣] وذكر الآلوسي أن نصوص علماء المذهب تدل على أن الكراهة للتحريم وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد[٤].

وأما حديث: «أسألك بحق السائلين عليك» ففيه عطية العوفي وفي روايته وَهَن.

---

(١) ٢/ ٦٣٠ ونقله القدوري وغيره عن أبي يوسف.
(٢) الفتاوى الهندية ٥/ ٢٨٠.
(٣) إتحاف السادة شرح إحياء علوم الدين ٢/ ٢٨٥.
(٤) جلاء العينين ٤٥٣.

هل حرم ابن تيمية زيارة القبور؟!

وأما زعم السبكي وغيره أن ابن تيمية كان يرى المنع من زيارة قبر النبي ﷺ فإن ابن تيمية لا يحرم زيارة القبور ولا قبر النبي ﷺ، كيف وقد كتب كتابا بعنوان (الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية»؟ ومن نقل خلاف هذا فليأت بدليل من كتب الشيخ. وإنما منع شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، ومأخذُه النص؟!

واحدة بواحدة!!!

ونحن نذكّر الحبشي بقوله حين صرف الناس عن الزكاة قائلا: «كيف تنكرون على الشافعي ومالك فتواهما بعدم الزكاة في غير الذهب والفضة ومأخذهما النص»[(١)].

ونحن نستخدم عبارته هذه ونقول: كيف تُنكر على ابن تيمية فتواه بتحريم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ومأخذه النص؟ وهو قول النبي ﷺ «**لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاث: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**» [(٢)].

وابن تيمية لم يتفرّد بهذا القول بل قاله الإمام الجويني وهو من

---

(١) بغية الطالب ١٦٠.

(٢) رواه البخاري (١١٨٩) و (١٨٦٤) و (١١٩٧) ومسلم (٨٢٧).

كبار أصحاب المذهب الأشعري، كما حكاه عنه النووي[١] وحكاه المناوي عن القاضي عياض والقاضي حسين في تحريم شد الرحال لمجرد زيارة القبر[٢].

ولئن كان النووي قد تعقب الجويني وخالفه فإن اعتراضه مردود بموقف الإمام مالك الذي كان يرى تحريم شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاث تمسكًا بالحديث النبوي.

---

(١) النووي على مسلم ٩/١٠٦ و ١٦٨.
(٢) فيض القدير ٦/٤٠٣.

أكذوبة تحريم زيارة القبر النبوي

وقد دافع ابن كثير عن هذا الافتراء قائلا: «فانظر إلى التحريف على شيخ الإسلام فإنه جوابه ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحال شيء: وشد الرحل لمجرد الزيارة أمر آخر» والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض إلى الزيارة ولا قال إنها معصية ولا حكى الإجماع على المنع منها ولا هو جاهل قول النبي ﷺ «**وزروا القبور فإنها تذكر الآخرة**»[١]. بل صرح بأن السفر لزيارة مسجد النبي ﷺ وقبره معًا مستحب ويدخل القبر تبعًا[٢].

وجوب التفريق بين الزيارة وبين شد الرحال

وإنما قال ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**» ولم يقل: «وقبري هذا» والحديث نصٌ في تحريم شد الرحال إلى القبور»[٣].

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ١٢٤.
(٢) الرد على الاخنائي ١٧٢ ـ ١٧٣.
(٣) البخاري (١٩٩٥) ومسلم (١٣٣٨).

نعم قال الحافظ العسقلاني أن تحريم زيارة قبر النبي ﷺ من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية(١).

قلت بل من المسائل المكذوبة عليه، ولا يفيد قول الحافظ العسقلاني له ولكن عموم كلامه يدل على أنه لا يزال له قدره ومنزلته عنده لا سيما وأنه وصفه بالعلّامة في (فتح الباري ٦/ ٢٨٩) وبـ «الحافظ» كما في (التلخيص الحبير) كما سيأتي واحتج به في الحكم على كذب رواية (وهو الآن على ما عليه كان) وأنها ليست في شيء من كتب الحديث.

---

(١) فتح الباري ٣/ ٦٦.

الحافظ يعطيه رتبة حافظ
فخذوه حيث حافظ عليه نص

بل أعطاه ابن حجر رتبة ((حافظ)). فقد ذكر في (التلخيص الحبير ٣/١٠٩) حديث (الفقر فخري وبه أفتخر) ثم قال: «وهذا **الحديث سئل عنه الحافظ** ابن تيمية فقال: إنه كذب لا يُعرف في شيء من كتب المسلمين المروية».

والتحريم المزعوم لزيارة قبره ﷺ إنما هو شيء ألزمه به أعداؤه كما اعترف بذلك الحافظ نفسه. وكان السبكي واحدًا من أبرز الملزمين له بذلك حين زعم أنه يحرّم زيارة قبر النبي ﷺ مع علمه أنه يحرم شد الرحال إليه ولا يحرّم مجرد الزيارة.

فقد أكد أن زيارة المسجد النبوي الشريف (ثم) زيارة القبر النبوي عمل صالح ومستحب[1]، جلّ ما في الأمر أنه يفرق بين الزيارة الشرعية وبين الزيارة البدعية التي تتضمن إما السفر من أجل القبر وإما المخالفات التي تُرتكب عند القبر من تقبيل الجدران والاستغاثة به ﷺ أو أن يكشف ضرًا أو يقضي حاجة. وحصول الخشوع والإقبال على الدعاء لمجرد الوقوف عند القبر بما لا يحصل مثله بين يدي الله في

---

(١) الجواب الباهر ١٤.

الصلاة». قال:

«فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له، سواء أكان نبيًا أو غير نبي، ولهذا كان الصحابة إذا زاروا قبر النبي ﷺ يسلّمون عليه، ويدعون له ثم ينصرفون، ولم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفسه، وقال: «وقد اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وأهل البيت أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر قال: «**والله إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتك**».

أضـــاف:

«ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركْنَيْ البيت ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين «فهذه هي الزيارة البدعية وهي من جنس دين النصارى وهو أن يكون قصد الزائر أن يُستجاب دعاؤه عند القبر أو أن يدعو الميت أو يقسم به على الله في طلب حاجاته وتفريج كرباته، فهذه من البِدع التي لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها أصحابه»[١].

---

(١) كتاب الزيارة ١٣ ـ ١٤.

قـــال:

«**وأما زيارة القبور المشروعة** فهو أن يسلم على الميت ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين..»(١).

وبهذا يتبين لك غلط السبكي وأمثاله على ابن تيمية حيث نسبوا إليه ما ثبت خلافه من كلامه، وسارعوا إلى ركوب أهوائهم من غير أن تثبت. ولهذا صرح الحافظ ابن حجر أن تحريم زيارة قبره ﷺ من المسائل المنسوبة إلى ابن تيمية.

أما قوله (مستشنع) فليس فيه مذمة، فقد قال بعض أهل العلم إن مسألة التزوج بالبنت من الزنا من أبشع المسائل المنقولة عن الشافعي وأن جواز التيمم بالثلج من أبشع المسائل المنقولة عن مالك وإن تزوج المغربي من المشرقي (وبالعكس) ثم ولدت الزوجة ولدًا يلحق بالأب وإن لم يجتمع الزوجان قط: من أبشع المسائل المنقولة عن أبي حنيفة.

الجويني سبق ابن تيمية بهذه الفتوى:

وقد تحدى الحبشي أن يكون أحد من السلف أو الخلف سبق ابن تيمية بتحريم زيارة قبر النبي ﷺ(٢)، ونحن نتحداه أن يأتي بدليل من كلام ابن تيمية يحرّم فيه زيارة قبر النبي ﷺ، أما تحريم شد الرحال إلى

---

(١) كتاب الزيارة ٨١ ـ ٨٨.

(٢) المقالات السنية ١٣٧.

القبر فقد سبقه إلى ذلك إمام الحرمين كما حكاه عنه النووي والمناوي(١).

وقال الإمام مالك قبلهما «أكره أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ» ولا يعني هذا تحريم زيارة قبر النبي ﷺ وإنما تحريم السفر من أجله تمسكاً بالحديث. ويجب التفريق بين زيارة القبر وبين شد الرحال إليه لا كما يفعله الشيعة. وحاشا مالكًا أن يكون بذلك مخالفًا للإجماع وهو أعلم أهل زمانه، فإنه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه كان يأتي من سفر للقدوم على قبر النبي ﷺ إلا ما كان من فعل ابن عمر. وقد جاء في مصنف عبد لرزاق عن عبيد الله بن عمر أنه قال: ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر».

(١) فيض القدير ٦/٤٠٣ وشرح مسلم ٩/١٠٦ و ١٦٨.

الرافضة وأضرحة الأئمة

ولقد بيّن ابن تيمية أمرًا مهمًا تجب ملاحظته وعدم إغفاله وهو أن أول من وضع الأحديث المكذوبة في السفر لزيارة المشاهد (أضرحة الأئمة والأولياء) هم أهل البدع الرافضة الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يُشرك عندها به، والكتاب والسنة جاءا بتعظيم المساجد لا المشاهد. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وليس عند كل ضريح أو مقام.

الشرك المجرب وليس الترياق المجرب:

أما روايات الحبشي المظلمة التي يزعم فيها أن «قبر معروف الكرخي: الترياق المجرب» فما أظلم وأكذب أسانيده في العقائد التي نقض بها ما تعهد به، أنه لا تجوز لرواية في أمور العقائد إلا بما صح سنده، ولئن كن هذا الترياق مجرّبًا فما بال الصحابة لم يجربوا (ترياق) قبر رسول الله ﷺ؟!! لماذا تدافعون عن شيء هلك به المشركون وبنوا لأجله الأصنام؟

إنكم لن تجدوا في أفعال الصحابة ما يوافق ذلك اللهم إلا الشيعة ومن قبلهم اليهود والنصارى ومن قبلهم قوم نوح الذين كانوا يعتبرون قبور ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر: هي الترياق المجرب. أعني الشرك المجرب: هم سلفكم: يا خلَفهم!.

أما قول إبرهيم الحربي (الترياق المجرب) فهو أولى عندكم بالأخذ من قول النبي ﷺ **«لعن الله اليهود والنصارى: اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد»** تعارضون ما صح سنده عن النبي ﷺ بهذه الأكاذيب المروية عن غير المعصومين!!!

منهجية السبكي في إثبات الزيارة ومصادره في هذه المسألة

ولم يلتفت السبكي إلى تفريق ابن تيمية بين مجرد زيارة قبر النبي ﷺ وبين شد الرحال إليه، فكتب كتابًا بعنوان «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» ملأه بالموضوع والمكذوب من الروايات.

وقد رد عليه الحافظ ابن عبد الهادي وفند جميع رواياته الضعيفة في كتاب بعنوان (الصارم المنكي في الرد على السبكي) قال فيه:

«أما بعد فإني وقفت على هذا الكتاب فوجدته كتابًا مشتملاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة»[1].

وصرح الحافظ بأن طرق حديث «من زار قبري» كلها ضعيفة ونقله عن ابن خزيمة أنه لم يصح حديث في هذا الباب[2].

منهجية السبكي في رد ابن تيمية

غير أن السبكي لم يلتفت إلى تفريق ابن تيمية وكتب كتابًا بعنوان «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» مع أنه نقل فيه عنه التفريق بين

---

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي ١٨ ـ ١٩.
(٢) أنظر لسان الميزان ٦/٢٥٨ وميزان الاعتدال ٤/ ٢٢٥.

الزيارة البدعية والزيارة الشرعية[١].

ويا ليت السبكي لم يكتب هذا الكتاب، فقد ملأه بالموضوع والمكذوب من الروايات، فكشف بكتابه هذا عن مدى علاقته بفن الحديث. ودافع الحبشي بدوره عن هذه الروايات بتعصب وانحراف بالغين[٢].

وقد اقترح السبكي أن يسمي كتابه «شن الغارة على من أنكر الزيارة» لكن سلاحه لا يصلح لشن الغارة لأنه ضعيف لم يزد خصمه إلا رسوخًا وثباتًا فضلا عن أن زعمه أن خصمه أنكر الزيارة هو ظلم كبير لا سيما إذا علم أن لابن تيمية كتابًا اسمه «الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية».

وقد رد الحافظ ابن عبد الهادي على كتاب السبكي المذكور قائلاً «أما بعد فإني وقفت على هذا الكتاب فوجدته كتابًا مشتملا على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة»[٣].

ويكفي اليوم في الرد على السبكي: مجرد تخريج الأحاديث التي حشاها في كتابه ليتعرّف المنصف على صدق كلام ابن عبد الهادي وعلى ضعف السبكي في علم الحديث، وعلى تعصبه وعدم إنصافه

---

(١) شفاء السقام ١٢٩.
(٢) انظر كتابه المقالات السنية ص ١٣٩.
(٣) الصارم المنكي في الرد على السبكي ١٨ ـ ١٩.

لابن تيمية، لنذكر بعضًا من هذه الأحاديث من غير توسع في تخريجها:

- «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[(١)].

- « من جاءني زائرًا لا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقًا على الله أن أكون له شفيعًا»[(٢)].

- «ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر»[(٣)].

- «من لم يزر قبري فقد جفاني»[(٤)].

- « من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»[(٥)].

قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص٤٢٩) «رواه البيهقي وفيه حفص القارىء رمي بالكذب».

- «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»[(٦)]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٤٦٧) «لا يصح».

---

(١) شفاء السقام ٢ ضعفه السيوطي والألباني (إرواء الغليل ١١٢٧ اللآليء المصنوعة ٢/١٢٩).

(٢) شفاء السقام ١٦ ضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص ٢/٢٦٧.

(٣) شفاء السقام ٣٧ ضعفه الألباني في كتابه «دفاع عن الحديث» ١٠٩.

(٤) شفاء السقام ٣٩ ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢١٧.

(٥) شفاء السقام ٢٠ ضعيف انظر الإرواء ١١٢٨ وسلسلة الضعيفة ٤٧ ومشكاة المصابيح ٢٧٥٦.

(٦) شفاء السقام ٣٩ قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: «ذكره ابن الجوزي في الموضوعات» الإحياء ١/٢٥٨.

وتعجب كيف يمكن أن يقول الرسول ﷺ هذا وهو الذي صح عنه أنه قال: «لا تجعلوا قبري عيدًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثنًا ثم يأمر بشد الرحال إليه بل يوبخ من لا يفعل ذلك ويصفه بالمجافاة؟!

«من زارني الى المدينة كنت له شفيعًا وشهيدًا»[١].

«من زارني متعمدًا كان في جواري يوم القيامة»[٢].

«من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي»[٣]. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص ٤٣٥) «رواه الدارقطني وفي سنده مجهول». فهذا اعتراف من مشايخ الأحباش المعتبرين فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فهذه الروايات الضعيفة التي تحث على اتخاذ القبور مساجد تتعارض مع الروايات الصحيحة الناهية عن اتخاذ القبور مساجد كحديث «**لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**».

وليس شيء من هذه الأحاديث صحيحًا حتى تكون شفاءً للسقام وإنما هي بين موضوع وضعيف **جدا** فكيف تكون شفاءً للسقام، وإنما كان هذا السقم نفسه هو رأسمال السبكي في رده على صحاح البراهين

---

(١) شفاء السقام ٣٦ ضعفه الحافظ في التلخيص ٢/ ٢٦٧ وانظر ميزان الاعتدال ١/ ٥٣.
(٢) شفاء السقام ٣١ نقده الذهبي في ميزان الاعتدل ترجمة رقم (٩١٦٨).
(٣) ذكره السيوطي في الأحاديث الموضوعة ٢/ ١٣٠.

التي احتج بها ابن تيمية، ولم يستطع مناقضته ولا بحديث واحد صريح صحيح، لأنه لا يوجد.

ابن تيمية ومسألة الطلاق

وأما اتهامه لابن تيمية بمخالفة إجماع الأئمة في مسألة طلاق الثلاث وطلاق اليمين. فنسأل أولا:

هل كل مخالفة للأئمة تكون مخالفة للدين؟

وهل كان تفَرُدُ ابن تيمية في هذه المسألة مخالفًا لما كان يفعله النبي ﷺ؟

وهل كان مخالفًا بعضَ الأئمة أم خالف إجماعهم؟

إن كانت من مسائل الإجتهاد فلا ضير أن يجتهد من وصفه ابن حجر والسيوطي بالحافظ والعلامة وشيخ الاسلام ومجتهد وقته وبحر عصره. أما أن يكون مخالفًا للإجماع فلا يقول ذلك إلا (حقود أو جاهل) أو (واهم).

قال الحافظ ابن حجر «ويتعجب من ابن التين حين جزم بأن لزوم الثلاث لا اختلاف فيه، مع ثبوت الاختلاف كما ترى»[١].

وقال النووي « وقد اختلف العلماء فيمن قال لامرأته: أنت طالق ثلاثًا، فقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد وجماهير العلمَاء من السلف والخلف: يقع الثلاث، وقال طاووس وبعض أهل الظاهر:

---

(١) فتح الباري ٩/ ٣٦٣.

لا يقع بذلك إلا واحدة، وهو رواية عن الحجاج بن أرطأة ومحمد بن إسحاق، والمشهور عن الحجاج بن أرطأة أنه لايقع به شيء، وهو قول ابن مقاتل، ورواية عن محمد بن إسحاق»[١].

قلت: وهو قول جماعة من الصحابة كابن عباس والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف كما حكاه ابن وضّاح وابن مغيث في (كتاب الوثائق)[٢] وأفتى به علي بن أبي طالب وابن مسعود، ومن التابعين ابن المسيب وجماعة من التابعين والفقهاء كعطاء وطاووس وعمرو بن دينار كما ذكر الألوسي في تفسير روح المعاني، وكأحمد بن بقي بن مخلد ومحمد بن القاسم بن هبة الله الشافعي[٣] قالوا إن طلاق الثلاث طلاق بدعي وكل بدعة مردودة»[٤].

وأفتى به من المتأخرين من العلماء والمفتين أبرزهم الشيخ عبد المجيد سليم الحنفي المصري شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية. وقد بحث المسألة بحثًا شديدًا. قال الفقي «وكانت خاتمة بحثه ومحط رأيه: أننا لو طرحنا الأحاديث لمَا يقال من اضطرابها وعدم بيانها: يبقى معنا النص القرآني ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ فمما لاشك فيه بعد ذلك أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لايقع إلا واحدة»[٥]. والشيخ أحمد

---

(١) شرح مسلم ١٠/ ٣٢٥ حديث رقم (١٤٧٢).
(٢) فتح الباري ٩/ ٣٦٣.
(٣) ذكره ابن كثير من جملة المفتين بذلك. البداية والنهاية ١٣/ ١٣٢.
(٤) إعلام الموقعين ٣/ ٣٨.
(٥) حاشية الفقي على المنتقى للمجد ابن تيمية ٢/ ٦٠٠.

شلتوت الذي قال « وعلى هذا فلا نحكم بوقوع الطلاق إلا إذا كان مرة مرة وكان منجزًا مقصودًا للتفريق، في طهر لم يقع فيه طلاق ولا إفضاء وكان الزوج بحالة تكمل فيها مسئوليته. وبهذا لا نحكم بوقوع الثلاث دفعة واحدة إذا قال: أنت طالق ثلاثًا»[١].

وقال الحافظ ابن حجر «ومن القائلين بالتحريم واللزوم من قال: إذا أطلق ثلاثًا مجموعة وقعت واحدة، وهو قول محمد بن اسحاق صاحب المغازي، واحتج بما رواه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: طلّق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثًا فحزن على طلاقها حزنًا شديدًا فسأله النبي ﷺ «كيف طلقتها؟ قال: طلقتها ثلاثًا، فقال: في مجلس واحد؟ قال: نعم، قال: فإنما تلك واحدة فارتجعها إن شئت»[٢].

قال الحافظ « وهذا الحديث نص في المسألة لا يُقبل التأويل الذي في غيره من الروايات الأخرى».

---

(١) الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٣١٠ ط: دار الشروق. القاهرة ـ بيروت.

(٢) رواه البيهقي وقال: «هذا الاسناد لا تقوم به حجة» وقال الالباني: «هذا الاسناد صححه الامام أحمد والحاكم والذهبي وحسنه الترمذي في متن آخر، وذكرنا اختلاف العلماء في داود بن الحصين وأنه حجة في غير عكرمة، ولولا ذلك لكان إسناد الحديث لذاته قويًا ولكن ذلك لا يمنع من الاعتبار بحديثه والاستشهاد بمتابعتها لبعض بني رافع، فلا أقل من أن يكون الحديث حسنًا بمجموع الطريقين عن عكرمة، وكلام ابن حجر في الفتح يشعر بأنه يرجح صحته أيضًا، فإنه قال: «أخرجه أحمد وأبو يعلى وصححه من طريق محمد بن إسحاق. . . ويقوي حديث ابن إسحاق المذكور ما أخرجه مسلم (فتح الباري ٩/ ٣٦٢ إرواء الغليل ٧/ ١٤٤).

وأما رواية أبي داود وفيها أن النبي ﷺ استحلف ركانة « آلله ما أردت إلا واحدة؟ فقال ركانة: والله ما أردت إلا واحدة» ففيها علي بن يزيد بن ركانة وهو مجهول وابنه عبد الله: ضعيف والزبير بن سعيد: ضعيف. قال الترمذي (رقم ١١٧٧) « وسألت محمد (أي البخاري) عن هذا الحديث فقال: فيه اضطراب» وقال الحافظ المنذري «ضعّفوه» وأعل الحافظ في التلخيص (٣/ ٢١٣) طرق هذا الحديث[١].

وهؤلاء ما أرادوا بروايتهم هذا الحديث العمل به، وإنما أرادوا التشغيب وضرب حديث مسلم به، وإلا فلا نعهدهم يعتبرون الثلاثة واحدًا لمن طلق ثلاثة ونوى واحدة. ثم إن الطلاق هزله جد، ومن تلفظ بالثلاثة ونوى بها واحدة وجب على من يعتبرها ثلاثة أن يلزمه بالثلاثة عقوبة به. كما أن من تلفظ بالطلاق ونوى عدمه لا يقبلون منه النية وإنما يلزمونه بما تلفظ به.

قال ابن عباس رضي الله عنه « كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم. فأمضاه عليهم» وفي رواية لمسلم أن أبا الصهباء قال لابن عباس: أتعلم أنما كانت الثلاث تُجعَلُ واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وثلاثًا من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم (قد كان

---

(١) انظر ارواء الغليل ٧/ ١٣٩.

ذلك))»[١].

فانظر كيف قدموا هنا فعل عمر الموقوف على الموضوع، بينما قدموا المرفوع على موقوف أبي هريرة لما قال للمتطيبة «المسجد تريدين ياأمة الجبار». فتارة يقدمون فعل الصحابي على فعل رسول الله ﷺ وتارة يعكسونها!

قال ابن تيمية بعد ذكر هذين الحديثين « ولم يثبت عن النبي ﷺ خلاف هذه السنة بل ما يخالفها إما أنه ضعيف، بل مرجوح. وإما أنه صحيح لا يدل على خلاف ذلك» وقال «ولا نعرف أحدًا طلق على عهد النبي ﷺ امرأته ثلاثًا بكلمة واحدة فألزمه النبي ﷺ بالثلاث ولا روي في ذلك حديث صحيح ولا حسن، ولانقل أهل الكتب المعتمد عليها في ذلك شيئًا. بل رويت في ذلك أحاديث كلها ضعيفة باتفاق علماء الحديث، بل موضوعه»[٢].

وبهذا يبطل قول من زعم أن ابن تيمية خالف بهذه الفتوى الاجماع من الخلفَ والسلفَ. فإن الاجماع لم ينعقد بين الصحابة على ذلك. وما أكثر المسائل التي يظن الناس أنها مجمع عليها بينما ليست كذلك.

وقد استنكر العلاّمة الآلوسي بشدة ادّعاء عبد الغني النابلسي أنه رأى النبي ﷺ فسأله عن المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد «كيف

---

(١) رواه مسلم رقم (١٤٧٢).
(٢) مجموع الفتاوى ٣٣/ ٧١ وانظر ص ١٢ و١٣.

حكمه عندك يا رسول الله؟ فقال: «تقع ثلاثًا»[١]! مع أن الثابت عنه ﷺ من الأحاديث عكس ذلك. وهذا جريًا على عادة الصوفية في حسم المسائل المتنازع عليها بكشوفات ومنامات يحلّون فيها ما ثبت تحريمه في اليقظة.

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدَيْن ٢٣٦.

موقف الحبشي من هذا الحديث

وقد نقض الحبشي هذا الحديث[١] وأقترح لإبطال العمل به: عدة مقترحات:

١ـ أن يقال بأنه لا يجوز العمل بظاهره. ولست أدري ما يمنعه بعد هذا أن يقول «**لا يجوز العمل به**»!

٢ـ أنه يمكن معارضة الحديث بإجماع الصحابة على العمل بخلافه بعد موت النبي ﷺ وكأن الإجماع يُقَدَّم على قول النبي ﷺ وأفعاله. وإن كان كذلك فلماذا تمسكتم بحديث الأعمى وتجاهلتم إجماع الصحابة على ترك التوسل بالرسول ﷺ والتوسل مكانه بالعباس. فقد توسل عمر بالعباس على مرأى الصحابة جميعًا ولم ينكر أحد منهم عليه، فلماذا لا تتركون التوسل بالموتى وتحكمون بنسخ الاجماع لحديث الأعمى؟!.

وكيف وأن هذا الإجماع المزعوم في مسألة الطلاق لم ينعقد. فقد عمل جماعة من الصحابة كابن عباس والزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف بمقتضى الفتوى النبوية كما حكاه ابن وضّاح وأفتى به علي بن ابي طالب وابن مسعود، ومن التابعين ابن المسيب وجماعة من التابعين والفقهاء كما ذكر الألوسي في تفسير روح المعاني. وهو معتمد المحاكم الشرعية في أكثر البلاد الاسلامية.

---

(١) المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية ٥٥ـ ٥٦.

٣ـ أن يقال إن الحديث ضعيف بالشذوذ. وهذا تلبيس فإن الشذوذ في رواية (عارم) كما عند أبي داود والنسائي والدارقطني، أما رواية مسلم والبيهقي فليست شاذة. ولذا لم تتضمن زيادة (قبل أن يدخل بها).

٤ـ أن يقال إن الحديث مؤوّل بأن معنى (كان الطلاق طلاق الثلاث واحدًا) أن البتة كانت تستعمل للطلاق الواحد للتأكيد ثم صار الناس يستعملونها في خلافة عمر بقصد الثلاث فأجرى عليهم عمر الحكم على موجب قصدهم.

وهذا التأويل مردود. ثم إن هذه التأويلات المعتادة ليست بأعظم من تأويلاتهم لصفات الله وقولهم على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ويبطل التأويلَ قولُ عمر (قد استعجلوا) وقد رأى وقف العمل لمصلحة راجحة عنده وهو تعزير الناس وتأديبهم، وذلك مثل تعطيله حد السرقة عند الرمادة وإقرار الصحابة له على ذلك.

قال الألباني: «وهل يجوز مع هذا كله أن يُترَك الحُكمُ المُحكَم الذي أجمع عليه المسلمون في خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر من أجل رأي بدا لعمرَ واجتهد فيه: فيؤخَذُ باجتهاده ويُترَك حكمُه الذي حكَمَ هوَ به أول خلافته تَبَعًا لرسول الله ﷺ وأبي بكر؟!

اللهم إن هذا لمن عجائب ما وقع في الفقه الإسلامي، فرجوعًا الى السنّة المُحكَمة أيها العلماء، لاسيما وقد كثرَتْ حوادث الطلاق في هذا الزمان كثرة مدهشة تُنذِر بِشرٍ مستطير تُصابُ به مئات العائلات»[1].

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/ ٢٧٢.

المفاسد المترتبة على توسيع الطلاق

وقد أوضح ابن تيمية المفاسد التي ترتبت على توسيع باب الطلاق، فقال:

«ومن تدبر نصوص الكتاب والسنة وجدها مفسرة لأمر النكاح، لا يشترط فيه ما تشترطه طائفة من الفقهاء.

كما اشترط بعضهم: ألا يكون إلا بلفظ الإنكاح والتزويج.

واشترط بعضهم: أن يكون بالعربية.

واشترط هؤلاء وآخرون: ألا يكون إلا بحضرة شاهدين، ومع هذا فقد صححوا النكاح مع نفي المهر. ثم صاروا طائفتين: طائفة تصحح نكاح الشغار، لأنه لا مفسد له إلا نفي المهر، وذلك ليس بمفسد عندهم. وطائفة: تبطله، وتعلل بعللٍ فاسدة.

ثم صححوا « نكاح المحلل» [1].

«فكان قول أهل الحديث وأهل المدينة الذين لم يشترطوا لفظًا معينًا في النكاح، ولا إشهاد شاهدين مع إعلانه وإظهاره، وأبطلوا نكاح الشغار، وكل نكاح فيه نفي المهر، وأبطلوا نكاح المحلل... أشبه بالكتاب والسنة وآثار الصحابة».

---

(١) وهذا التحليل الذي وصف النبي ﷺ فاعله بالتيس المستعار صار وصمة عار في جبين الشريعة الاسلامية وموضع تهكم أعداء الدين.

«ثم إن كثيرًا من أهل الرأي الحجازي والعراقي وسّعوا «باب الطلاق» فأوقعوا طلاق السكران، والطلاق المحلوف به، وأوقع هؤلاء طلاق المكره، وهؤلاء طلاق المشكوك فيه فيما حلف به، وجعلوا الفُرقة البائنة طلاقًا محسوبًا من الثلاث إلى أمور أخرى، ووسّعوا بها الطلاق الذي يحرّم الحلال، وضيّقوا النكاح الحلال. ثم لما وسّعوا الطلاق صار هؤلاء يوسّعون في عود المرأة الى زوجها، وهؤلاء لا سبيل عندهم الى ردها. فكان هؤلاء في آصارٍ وأغلال وهؤلاء في خداع واحتيال».

«ومن تأمل الكتاب والسنة وآثار الصحابة تبين له أن الله أغنى عن هذا، وأن الله بعث محمدًا بالحنيفية السمحة التي أمر فيها بالمعروف ونهى عن المنكر، وأحلّ الطيبات وحرمّ الخبائث»[1].

وقال أيضا: ولكن بعض علمائنا لما ظنوا أن من الأيمان ما لا مخرج لصاحبه منه، بل يلزمه ما التزمه. فظنوا أن شرعنا في هذا الموضع كشرع بني إسرائيل: احتاجوا إلى الاحتيال في الأيْمَان: إما في لفظ اليمين، وإما بخلع اليمين، وإما بدور الطلاق، وإما بجعل النكاح فاسدًا فلايقع الطلاق.

وإن غُلِبوا عن هذا كله دخلوا في «التحليل» وذلك لعدم العلم بما بعث الله به محمدًا ﷺ في هذا الموضع من الحنيفية السمحة، وما وضع الله به الآصار والأغلال. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٢: ١٣٣- ١٣٤.

بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(١)

وصار ما شرعه النبي لأمته هو الحق في نفس الأمر. وما أحدث غيره غايته: أن يكون بمنزلة شرع من قبله مع شرعه، وإن كان الذين قالوه باجتهادهم لهم سعي مشكور وعمل مبرور. وهم مأجورون على ذلك مثابون عليه.

ولهذا أذاعوا ما دل عليه الكتاب والسنة على تلك الطريقة التي تتضمن من لزوم ما يبغضه الله ورسوله: من القطيعه والفرقة وتشتيت الشمل، وتخريب الديار، وما يحبه الشيطان والسحرة من التفريق بين الزوجين، وما يظهر فيها من الفساد لكل عاقل.

ثم إما أن يلتزموا هذا الشر العظيم، ويدخلوا في الآصال والأغلال. وإما أن يدخلوا في منكرات أهل الإحتيال. فالطرق ثلاثة:

إما الطريقة الشرعية المحضة الموافقة للكتاب والسنة، وهي طريقة أفاضل السابقين الأولين، وتابعيهم بإحسان.

وإما طريقة «الآصار والأغلال».

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦-١٥٧.

وإما طريقة «المكر والاحتيال».

ومن صور التحايل (التجحيش) ويتم بقصد إرجاع المرأة التي طلقها زوجها إليه عن طريق زواج صوري شكلي يرضى أحد الوسطاء لنفسه أن يكون تيسًا مستعارًا ويفتي بعض مشايخ السوء بجواز استعارته منهم الباجوري في حاشيته[١]. قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا بلى يارسول الله. قال: «**هو المحلِّلُ والمحَلَّل له**»[٢] وهو رجوع الى متعة الشيعة.

وكان الأولى بالحبشي وأتباعه أن يوسعوا على الخلق وأن لا يحرموا على الناس ما فعله النبي ﷺ مما اضطرهم الى التجحيش الذي لا علاقة شرعية فيه بين المطلقة من الأول وبين التيس المستعار فإن الحيلة لا تجعل المحرم مباحًا ولا تقلب الحلال حرامًا.

وإنما هي علاقة زنى ورجوع الى الزوج الأول غير مشروع وانما هو زنىلأنها بانت منه، ولم تنكح زوجًا غيره في الحقيقة كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ وإنما زنت بتيسٍ غيره.

---

(١) حاشية الباجوري على ابن قاسم ١/ ١٥٤.

(٢) ابن ماجة (١٩٣٦) والبيهقي ٢٠٨/٧ والحاكم ١٩٩/٢ وصححه ووافقه الذهبي والحديث حسن بشواهده.

حول تطبيق الشريعة

إن هذا التحليل الذي وصف النبي ﷺ فاعله بالتيس المستعار صار وصمة عار في جبين الشريعة الاسلامية وموضع تهكم أعداء الدين.

ولهذا نسأل ماذا لو أتيح لنا تطبيق الشريعة الاسلامية التي يطالبون بها وعندنا كمّ هائل من الحِيَل الشرعية والتلفيق بين المذاهب والتقليد الأعمى.

يبدو أننا نحن المطالبون بتطبيق قواعد أحكام الشريعة مُطالَبون بالمرونة وانفتاح العقل وعَدم التعصب وشطب الحيل الشرعية من كتب الفقه، وإلا فإن حرماننا من تطبيق الشريعة خير لنا من التطبيق المشوه للشريعة أمام الآخرين، والذي لا يتطابق مع الارادة الالهية. بل ربما كان حرماننا منه عقوبة من الله على فساد فكرنا وروغاننا.

إن هذا التحليل الشبيه بالمتعة كان السبب في دخول إيران في التشيع. حين طلق الملك المغولي خدا بنده زوجته ثلاثًا وهو غاضب، فأفتوه بأن يبحث له عن تيس مستعار، فاستنكف الملك عن ذلك، فدله بعض الشيعة على ابن مطهر الحلي فأفتاه بأن الطلاق الذي أوقعه باطل، فتشيع الملك. ولو أنه اهتدى الى ابن تيمية لوجد لمسألته عنده حلا نبويًا سنيًا غير شيعي، ولوفر على ملايين البشر أن يدخلوا في المذهب الشيعي بعد أن خرّجت فارس قبل تشيعها آلاف العلماء الجهابذة.

قال الشاعر:

ألا قــل فــي الطــلاق لمــوقعيــه بمـا فـي الشـرع ليس لـه وجـوب
غلــوتــم فــي ديــانتكــم غلــوًا يضيــق بــه الشــرع الــرحيــب
أراد الله تيسيـــــرًا وأنتـــــم مــن التعسيـر عـنـدكـم ضـروب
وقــد حلّــت بــأمتكــم كــروب لكـم فيهـن ـ لا لهـم ـ الـذنـوب

هل يقع طلاق اليمين؟

ويلتحق بموضوع طلاق الثلاث فتوى لشيخ الاسلام بأن الحلف بالطلاق يمين فيه كفارة اليمين، وهي أيضًا محل خلاف بين أهل العلم. فإن من أهل العلم من لايوقع الطلاق بالحلف بالطلاق كطاووس وسفيان ابن عيينة شيخ الشافعي وداود وابن حزم.

وقال الشعراني في ميزانه: «قال أبو حنيفة: لو قال لزوجته أنت عليّ حرام، فإن نوى الطلاق بذلك كان طلاقًا، وإن نوى التحريم ولم ينوِ الطلاق أو لم يكن له نية: فهو يمين»[1].

وحجتهم أن الحالف بالطلاق إذا كان لا يقصد به الطلاق وإنما قصد تعليقه بالحث أو المنع فإنه لا يقع، لقول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى**». وأن مثل هذا يسمىٰ يمينًا في اللغة وفي عُرف الفقهاء، ولذا دخل في أيْمان البيعة وفي عموم اليمين وفي عموم حديث «**يمينك على ما يصدقك به صاحبك**» **وفي عموم حديث** «**إياكم والحلف في البيع**».

وإذا كان يمينًا: دخل في عموم قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ وقوله ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ فتجب فيها الكفّارة.

---

(١) النووي على مسلم (١٤٧٤) الفقه على المذاهب الأربعة ٤/ ٣٣٨.

وكذلك قياس الطلاق المعلق لقصد الحث أو المنع بدليل قصة ليلى بنت العجماء التي حلفت أيْمانًا مغلظة لَتطلقنَّ أبا رافع من زوجته، فأتى الرجلُ ابن عمر وحفصة وغيرهما وسألهم عن ذلك، وكلهم أفتوها بأن تكفّر عن يمينها وتخلي بين الرجل وبين امرأته.

فكيف يتلقف الحبشي[١] قول من زعم أنه لم يقل أحد قبل ابن تيمية بكفارة اليمين؟ أليس أبو حنيفة إمامًا معتبرًا عنده أم أنه يظن أن أحدًا لن يفضح تمويهه على عامة الناس؟!

(١) المقالات السنية ٧٤ـ ٧٥.

طلاق الحائض هل يقع؟

وأما قوله أن طلاق الحائض لايقع وكذلك الطلاق في طهر جامعَ فيه فقد طلق ابن عمر زوجته وهي حائض، فسأل عمر النبي ﷺ عن ذلك فقال له: «**مُرْهُ فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعدُ وإن شاء طلّق قبل أن يمس**»[(١)].

- وقد بنى من قال بعدم اعتبار هذا الطلاق أنه بدعة وأن كل بدعة مردودة على صاحبها، ولذلك صح في الرواية أن النبي ﷺ لم يرها شيئًا. وفي الروايات اضطراب كثير وبسببه حدث الإشكال مع أن الألباني وبعد متابعة طويلة لمجموع تلك الروايات انتهى إلى ترجيح اعتداد النبي ﷺ بطلقة واحدة لابن عمر[(٢)].

وهذه طريقة أهل السنة في الميل دائمًا مع القول الصحيح المبني على الأدلة الصحيحة. لأن الانتصار دائمًا ولله الحمد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فابن تيمية حبيبنا وابن القيم حبيبنا لكن الحق أحب إلينا منهما. فقد تلقينا عنهما العلم بمنهج أهل السنة: ومما علّمانا إياه: أننا ندور مع الكتاب والسنة حيثما دارا، ولا نديرهما حيث دار بنا علم الكلام وقوانين أرسطو.

---

(١) متفق عليه.

(٢) إرواء الغليل ٧/ ١٢٤ ـ ١٣٨.

وقوله: أن الحائض يجوز لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها، فإن هذا قول أبي حنيفة لو كانوا يعلمون. كما قال المرشدي الحنفي في فتاويه: وعند أبي حنيفة رحمه الله أن الطواف لا يُشترط فيه طهارة. وقال الشعراني في الميزان: «ـ وقال أبو حنيفة: إن الطواف لا يشترط فيه طهارة، فتطوف وتدخل مع الحاج وقد أفتى البازري والشيخ أحمد الطيبي الشافعي بذلك في منظومته.

وأما الرواية الأخرى عن ابن عباس فقد قال شمس الحق العظيم أبادي: «ففتوى ابن عباس هذه تناقض فتواه الأولى. فلم يبق إلا الاعتماد على روايته»[1] قال الحافظ «وأجيب بأن الاعتبار برواية الراوي لا برأيه لما يطرق رأيه من احتمال النسيان»[2].

---

(١) عون المعبود ٦/ ٢٧٠.

(٢) فتح الباري ٩/ ٣٦٢.

هل يغار الحبشي على الدين؟!

((ما حكم هؤلاء عندكم أيها المقلدون؟))

تبدأ منشورات الأحباش ضد ابن تيمية بما يلي: «فإنه عملاً بمبدأ النصيحة فإننا نتوجه إلى المسلمين ببيان المفسدين في الدين.. وعملاً بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾» وإذا كان الأمر فنسأل لماذا لم يلتزموا هذا المبدأ في حق من حذر العلماء منه ومن كتبه كأبي حامد الغزالي الذي طعن فيه تلميذه أبو بكر ابن العربي وابن المنير وابن الصلاح وغيرهم؟!

لماذا يوجه الحبشي سهام القدح إلى ابن تيمية دون غيره؟ ألغيرة منه على الدين؟ إن كانت الغيرة على الدين هي الدافع فلماذا يسكت عن مخالفات الآخرين لصريح الدين مثلما نراه في إحياء علوم الدين وغيره من كتب أهل الشطح؟ أم أن الخطة تقتضي تشويه الرموز السنية التي تهتدي بهديها الصحوة الإسلامية كابن تيمية وابن القيم وسيد قطب؟! إنه التحيز والجور الذي يقول فيه الشاعر:

فرصاص من أحببته ذهبٌ كما ... ذهبُ الذي لم ترض عنه رصاصُ

ما حكم هؤلاء عند الغيارى على الشريعة؟!

فقد ذهب الجلال الدواني إلى القول بإيمان فرعون. مستنًا في

ذلك بسنة سلفه ابن عربي[١].

وكان الهيتمي يقول بأزلية نور النبي ﷺ وحكى عنه الحبشي هذا الاعتقاد[٢] غير أنه لم يزد على أن قال «وهذا التأويل مخالف للحديث الصحيح». ولم يلزمه بالقول بقدم شيء مع الله.

مع أن الأحباش صرحوا بأنه «من الكفر قول من يقول: إن محمدًا خُلق من نور لأن ذلك تكذيب للقرآن لأن الله قال ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[٣]. فهل يحكم الأحباش بكفر الهيتمي؟

وكان أبو بكر ابن فورك يقول: كان رسول الله ﷺ رسولا في حياته فقط، وأن روحه قد بطل وتلاشى وليس هو في الجنة عند الله تعالى. مما دفع محمود ابن سبكتكين إلى قتله بالسم[٤]. ذكره أبو الوليد الباجي وابن حزم[٥].

ونقل ابن حزم عن الأشعرية أنهم قالوا: إن رسول الله ﷺ ليس هو

---

(١) وسبب ذلك اعتقادهم أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله حسب الكسب الأشعري، ولأن فرعون صرح عند الصوفية بوحدة الوجود التي يسمونها (وحدة الشهود) و (الفناء عن السوى) فإن قول الصوفي أنا الله أنا الكعبة ما في الجبة إلا الله شبيه بقول فرعون أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من إله غيري.

(٢) الدليل القويم ١٧٩ صريح البيان ٥٤ ط: مجلدة ١٣٢.

(٣) منار الهدى ٣٤/ ٢٥) و٣٤ / ٢٥.

(٤) النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٠ وفيات الأعيان ١/ ٤٨٢ سير اعلام النبلاء ٦/ ٨٣ الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١/ ٨٨ طبقات السبكي ٤/ ١٣٢ محققة. وقد دعا ابن حزم للسلطان بخير لقتله ابن فورك.

(٥) سير أعلام النبلاء وأقره ١٧/ ٢١٦.

اليوم رسول الله ولكنه كان رسول الله» وأوضح أن هذا القول منهم هو كفر صريح وتقليد لقول أبي الهذيل العلاف. وقال في كتابه الدرة: «وما قال بهذا القول أحد ممن ينتمي إلى الإسلام إلا أبو الهذيل العلاف المعتزلي وهي إحدى شُنعِهِ المُخرِجة له عن الإسلام ثم اتبعه على ذلك الطائفة المنتمية إلى الأشعري»[١].

وسبب هذه المقولة من ابن فورك الأصل الفاسد عند المذهب الأشعري أن العرض لا يبقى زمانين، وأن النبوة والرسالة صفة للحي وصفات الحي أعراض، وهذه الأعراض تبقى مشروطة بالحياة قائمة بها تزول بزوالها، فكيف يكون رسولا نبيًا بعد موته؟ فالتزموا بعد انتفاء حياة النبي ﷺ انتفاء رسالته وزوالها، ثم رقعوا بدعتهم هذه ببدعة أخرى وهي أن الرسول ﷺ حي في قبرة حياة «دنيوية» وبهذا لا زالت رسالته. قال ابن حزم: «وإنما وقع فيه ـ أي هذا القول ـ من ضل لقول فاسد وهو أن الروح عرض لا يبقى وقتين»[٢].

وها هو الخميني يقول في كتابه[٣] بأن للأئمة «مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل». وقد نقل ابن حجر الهيتمي تكفير علماء الأمة لمن يقول «الأئمة أفضل من الأنبياء»[٤].

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١/٨٨ و ٧٦ والدرة فيما يجب اعتقاده ٢٠٤ ـ ٢٠٥ له أيضًا.

(٢) الدرة فيما يجب اعتقاده ٢٠٤.

(٣) الحكومة الاسلامية ٥٢.

(٤) الاعلام بقواطع الاسلام ٧٥.

السكوت عن انحرافات القشيري

وهذا هو القشيري (عبد الكريم بن هوازن) صاحب الرسالة القشيرية[١] يروي مقوله خبيثة عن الدقاق وفيها: أن الله يكنس المزابل بأرواح الصوفية»[٢] فهل يكنس الله المزابل **يا أشاعرة**!!

وهو من أهل الغلو فقد أفرط في الثناء على الجويني حتى قال: «لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى بكلامه عن إظهار المعجزة»[٣]. ولا تنس أخي أن المذهب الأشعري يشترط على النبي المعجزة وحدها كشرط لصحة نبوته. لكن الجويني غني - من بين الأنبياء - عن هذا الشرط.

ويروي القشيري أن حقيقة مقام الرضا بالله: أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذ به من النار[٤].

وينقل عن الشبلي أنه سئل: ألا تعلم أن الله رحمن؟ قال: بلى ولكن منذ عرفتُ أنه رحمن ما سألته ان يرحمني[٥] وعن أبي يعقوب السوسي أن حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه

---

(١) وقد نقد ابن الجوزي رسالة القشيري ووصفها بأنها تخليط ليس بشيء (تلبيس ابليس ص ١٦٥).

(٢) الرسالة القشيرية ١٢٨.

(٣) طبقات السبكي ٥/ ١٧٤ محققة.

(٤) الرسالة القشيرية ٩٠.

(٥) الرسالة القشيرية ١٠٠.

إليه[١]. وعرّف الصوفي بأنه: **الذي لا يكون له إلى الله حاجة**»[٢].

ونقل عن ممشاد الدينوري قوله: «منذ ثلاثين سنة تُعرض عليّ الجنةُ فما أعرتُها طرفي[٣] وعن أبي حفص قوله: «منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل»[٤].

وسئل الجنيد عن المحبة[٥] فقال: «دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المُحبّ»[٦].

وذكر القشيري أن حقيقة المحبة توجب انتفاء المباينة فإن المحب أبدًا مع محبوبه[٧] وذكر قصة خبيثة استدل بها الغزالي على تفضيل التواشيح والأغاني الصوفية على تلاوة القرآن[٨] وعن الحلاج: «من عرف حقيقة التوحيد سقط عنه لِمَ وكيف[٩]. قلت: ومن مثل هذا النص أخذ الصوفية القول بسقوط التكاليف عن الأولياء.

فها هو القشيري يحتج بحكم الحلاج وهو من أعظم زنادقة هذه

---

(١) الرسالة القشيرية ١٤٥.

(٢) الرسالة القشيرية ١٢٥.

(٣) الرسالة القشيرية ١٣٩.

(٤) الرسالة القشيرية ١٤١.

(٥) قال ابن الجوزي: وكم من مرة أُخذِ الجنيد مع علمه وشهدوا عليه بالكفر والزندقة هو وطائفة كأبي سعيد الخراز وأحمد بن عطاء.. وكان الجنيد يتستر بالفقه على مذهب أبي ثور (تلبيس ابليس ١٧٠ و ١٧٣).

(٦) الرسالة القشيرية ١٤٥.

(٧) الرسالة القشيرية ١٤٨.

(٨) الرسالة القشيرية ١٥٦.

(٩) الرسالة القشيرية ٦.

الأمة الذي يدعي أنه لم يعرف الله حقيقة إلا اثنان: إبليس وفرعون.

والقشيري أحد الصوفية الذين يحتج الحبشي بكلامه ويعظمه، فلماذا لا يحذّر من انحرافاته؟ ألأنه أشعري مثله مبالغ في التعصب للأشاعرة حتى تسبب في فتنة عظيمة كما حكاه الذهبي في السير (١٩/ ٤٢٥) وتسبب تعصبه في فتنة عظيمة أدت إلى إخراجه من بلده إلى بغداد[١].

السكوت عن انحرافات الهيتمي

وها هو ابن حجر المكي يزعم في شرح الأربعين النووية أن أولية النور المحمدي أولية مطلقة، وأن أولية ما سواه من الماء والعقل والقلم: أولية نسبية، اعترف الحبشي بذلك، واعتذر عنه بتأويلات متعسفة قائلاً: «وأما حديث كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث». ولو صح لكان معناه أن روحه ﷺ أول أرواح البشر[٢].

ومعلوم أن ابن حجر المكي قد استقى هذه اللوثة العقائدية من الصوفية الذين يسمونها (الحقيقة المحمدية). ولذلك نجد هذه اللوثة عند الصيادي في كتاب قلادة الجواهر، ذاك الكتاب الذي كان مرجعًا مهمًا عند الحبشي لدى كتابة رسالته (المقالات السنية)[٣].

---

(١) سير الاعلام ١٨/ ٢٣١ و ١٩/ ٤٢٥ البداية والنهاية ١٢/ ١٠٧ طبقات السبكي ٥/ ١٥٣ وطبقات الحنابلة ٣/ ١٩.

(٢) الدليل القويم ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) ص ٨٣.

السكوت عن انحرافات الصيادي

وقد ورد في كتابه (قلادة الجواهر ٨٠) كفر خطير فزعم أن إبراهيم الأعزب (خال أحمد الرفاعي) قال: «ناداني العزيز سبحانه وقال لي: إني أريد أن أخسف الأرض وأرمي السماء على الأرض. فقلت له: إلهي: من يعارضك في ملكك وإرادتك؟ فقال الله: سيدي إبرهيم. فأخذت إبراهيم الرعدةُ ووقع على الأرض».

وزعم أن الرفاعي قال بأن الولي لا يعمل عملا إلا عن إذن سماوي وأن كل شيخ لا يكتب الشقي سعيدًا فليس برجل (قلادة ١٩٠ ـ ١٩١)

وصرح الصيادي بأزلية نور النبي ﷺ فقال في قلادته:

«اللهم صلّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك: نقطة مركز الباء الدائرة الأولية الذي فتقت به رتق الوجود وخصصته بالمقام المحمود وأقسمت بحياته: فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييتَ به الموجودات من معدنٍ حيوان ونبات[1].

ويقول بأن الذكر: حفظ القلب من الوسواس.. وإدراك الوحدة بالكثرة[2].

---

(١) قلادة الجواهر ٢٤٩.

(٢) قلادة الجواهر ٢٣٢.

ويقول: «إن النبي ﷺ هو العلة الغائية لخلق الخلق ومعرفة الحق» وأن مجرد تسمية الرجل ولده (محمدًا) يكفي لدخول الجنة، وأن الله ينادي يوم القيامة: كل من اسمه محمد فليدخل الجنة[١]. وزاد شيخه أحمد الرفاعي على ذلك فقال: «كان هو ومولوده في الجنة»[٢].

ويزعم أن شيخه الرفاعي يحيي ويميت[٣] ويحمي أتباعه إلى يوم القيامة ويُدخلهم الجنة أمامه[٤] ويطلّع على المقدور والمكتوب فيغير الشقي سعيدًا[٥] ويشتري لأتباعه أراض وقصورًا في الجنة على غرار **صكوك الغفران** عند النصارى[٦]، وأن السموات والأرض صارتا في رجله كالخلخال[٧].

فلماذا تتكتمون أيها المنحرفون عن هذه الشواذ التي هي أقرب إلى النصرانية والبوذية منها إلى الإسلام، كم أضحكت بالأمس صكوك النصارى على كنيستهم. وكم نأسى على ذيوع مثلها بين المسلمين. باسم الكرامة التي أساء هؤلاء فهمها وتفهيمها.

---

(١) عن كتابه ضوء الشمس ١: ١٠٤.
(٢) كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله ١٤٠.
(٣) قلادة الجواهر ٧٣ و١٤٥ وطبقات الأولياء لابن الملقن ٩٩.
(٤) قلادة الجواهر ٢٣٣.
(٥) قلادة الجواهر ١٠٣ و ١٩٣ وطبقات الأولياء لابن الملقن ٩٨.
(٦) قلادة الجواهر ٧٠ روض الرياحين لليافعي ٤٤٠ جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٩٦ والكواكب الدرية ٢١٤ لليافعي.
(٧) طبقات الشعراني ١/ ١٤٢ الفجر المنير ١٩.

سكوته عن إنحرافات السهروردي

وها هو السهروردي في عوارف المعارف يحتج بكلام الحلاج[١] ويدعو إلى التخلق بأخلاق الله[٢]، ويزعم أن الصوفي لا يزال يترقى حتى يطلب رؤية ربه فيقول: «لا أعبد ربًا لم أره»[٣] أي ليكون كمن قالوا ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. ولا يكون الصوفي صوفيًا حقًا (فقيرًا) حتى لا يكون له إلى الله حاجة[٤]. وأن من علامات الركون إلى الدنيا: الزواج وكتابة الحديث (حديث رسول الله ﷺ) وطلب المعاش[٥]. وأن خير حال المرء أن يبقى عزبًا بلا زوجة، وأن الزواج انحطاط وانغماس في الدنيا وخروج من الزهد. وأن من تعود أفخاذ النساء لا يفلح»[٦].

ويقول عبد السلام بن مشيش الشاذلي: «اللهم انشلي من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، واستحسنها الزبيدي، واستحسن قول أبي يزيد البسطامي: «انسلخت نفسي عن نفسي كما تنسلخ الحية عن جلدها فنظرت فإذا أنا هو» أي فإذا أنا الله[٧].

---

(١) عوارف المعارف ٥/ ٤٨.
(٢) عوارف المعارف ملحق بالإحياء ٥/ ٧٣.
(٣) عوارف ٥/ ٧٥.
(٤) عوارف المعارف ١٠٣ والرسالة القشيرية ١٢٥.
(٥) عوارف المعارف ٥/ ١٠٤.
(٦) عوارف المعارف ٥/ ١٠٤ ـ ١٠٥.
(٧) النفحة العلية في أوراد الشاذلية ١٦ اتحاف السادة المتقين ٦/ ٥٣٧ وانظر ٣/ ١٤٥.

سكوته عن انحرافات الغزالي كقوله «ليس في الإمكان أفضل مما كان»

واسألوا الحبشي عن موقفه من قول أبي حامد الغزالي: «ليس في الإمكان أفضل مما كان» أي ليس في إمكان الله خلق العالم بأفضل مما هو عليه الآن، هذه الكلمة التي كانت أحد أسباب حملة العلماء عليه كالطرطوشي والمازري وأبي بكر ابن العربي، وابن الجوزي وابن الصلاح. حتى قال الطرطوشي فيه: «ولقد كاد ينسلخ من الدين.. فسقط على أم رأسه»(١). وقال ابن حزم: «ومن قال إنه ليس عند الله أصلح مما عمل بنا.. فهو كافر»(٢).

وقد كتب الغزالي كتاب «الإملاء عن إشكالات الإحياء» أصرّ فيه على عدم بطلان هذه العبارة التي قالها في كتابه «إحياء علوم الدين» واتهم فيه المعترضين عليها بأنهم محجوبون عن الفهم والعلم(٣). واعترف البيجوري بصحة نسبة هذه العبارة إلى الغزالي وأنه شنع عليه جماعة من العلماء بأن فيه نسبة العجز إلى الله(٤) واستعرض الزبيدي أقوال المشنعين على الغزالي لهذا القول منهم تلميذه أبو بكر ابن

---

(١) انظر طبقات السبكي ٦/ ٢٤٣ و ٢٥٣ محققة.

(٢) الدرة فيما يجب اعتقاده ٣١١.

(٣) الاملاء على هامش الإحياء ٥/ ١٣.

(٤) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ٤٠.

العربي، وقال القرطبي: «قال شيخنا أبو حامد قولا عظيمًا انتقده عليه أهل العراق وهو شهادة لله موضع انتقاد. ومنهم أبو عبد الله المازري وأبو الوليد الطرطوشي وابن المنير الذي كتب كتابًا بعنوان الضياء المتلالي في تعقب الإحياء للغزالي، قال فيه: «المسألة المذكورة لا تتمشى إلا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة». وابن الصلاح ويوسف الدمشقي. وبدر الدين الزركشي الذي قال في تذكرته: «هذه من الكلمات العقم التي لا ينبغي إطلاق مثلها في حق الصانع». ومنهم إبراهيم البقاعي تلميذ الحافظ ابن حجر الذي صنف ثلاث رسائل في الرد على الغزالي أولها: المقصد العالي. والثانية: تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان. والثالثة: دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان. ثم ذكر أقوال المنتصرين لقوله المتعصبين له[(١)].

وقد صرح الغزالي بأن أولياء الصوفية لا يريدون الجنة ولا يأبهون لها وإنما يريدون مجالسة الله، وإنما الجنة مأوى من لا شغل لهم إلا شهوة البطن والفرج. وهذا القول هو كفر، ونقل ابن حجر الهيتمي قول أهل العلم بتكفير من قال: إن أعطاني الله الجنة لا أريدها»[(٢)].

علامات تحيز السبكي وتعصبه:

وكتب السبكي كتاب «الإيضاح والبيان عن معنى ليس في

---

(١) اتحاف السادة المتقين ٩/ ٤٤٢ ـ ٤٦٠.

(٢) الإعلام بقواطع الاسلام ٦٧.

الإمكان»[١] دافع فيه بعصبية عن هذه العبارة الطاعنة في قدرة الله عز وجل. وذلك على النحو المعهود عنه في عصبيته. يدافع عما ظاهره كفر، ملتمسًا له أعجب المعاذير، بينما يلفق لخصومه شتى الاتهامات الكاذبة.

(١) مخطوط بمكتبة شيستربتي بايرلندا.

طعن الغزالي في النبوة
اختبار آخر لدعوى الغيرة على الدين

قال الحبشي: «من ادعى أن النبوة مكتسبة أو أنه يبلغ بصفاء القلب إلى مرتبتها أو ادعى أنه يوحىٰ إليه وإن لم يدّع النبوة: فهو كافرٌ بالإجماع[١]. وقد نقل هذه العبارة عمن سبقه وهو يعلم موقف الغزالي من النبوة لكنه يسكت عليه.

وقد اقتدى الغزالي بالفلاسفة في تقسيم خصائص النبوة إلى ثلاث: قوة التخييل وقوة العقل وقوة النفس. وهذا نفسه هو كلام الفلاسفة الذين يقولون أن النبوة مكتسبة[٢]. وبالتحديد ابن سينا. ولهذا اشتد نكير العلماء عليه.

قال الغزالي: إن في الأولياء من يكاد يُشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء»[٣].

قال: «ووراء العقل طورٌ آخر تنفتح فيه عين أخرى يُبصرُ بها الغيبَ وما سيكون في المستقبل. وقد أبى بعض العقلاء مُدركات النبوة واستبعدها وهذا عين الجهل.. وقد أعطى الله خلقه أنموذجًا من

---

(١) الدليل القويم ١٤٨ الاعلام بقواطع الاسلام ٧٤.
(٢) ١٣٥ ـ ١٣٧ ط: دار الإفاق الجديدة بيروت.
(٣) مشكاة الأنوار (٤٠) مجموعة القصور العوالي.

خاصية النبوة.. فالنبوة عبارة عن طوْرٍ يحصل فيه عين لها نور، يحصل لها نورٌ يظهر في نورها الغيب»[١].

بل قد تتمثّل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجوهر الملائكة، وينتهي الوحي والإلهام فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم»[٢]. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة والكتب بل بالزهد في الدنيا» [٣] وهذه الرحمة ليست موقوفة على الأنبياء وحدهم وإنما هي ممنوحة. لكل من يستعد لتزكية النفس وتطهيرها[٤].

ـ ومن هنا أعلنها الغزالي دعوة عامة الى الجميع لانتظار سماع الوحي الذي حصل لموسى بقوله: «واطو الطريق: فإنك بالواد المقدس طُوى، واستمع بسر قلبك لما يوحى، فلعلَك تجِد على النار هدى، ولعلك من سُرادقات العرش تُنادى بما نودي به موسى ﴿إني أنا ربك﴾[٥].

قال: «وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلُفّ رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار، ففي مثل

---

(١) المنقذ من الضلال ٣٥ ـ ٤٥.
(٢) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ١٣٠.
(٣) الإحياء ٣/١٨.
(٤) ميزان العمل ٢٢.
(٥) الإحياء ٤/٢٥١.

هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال الحضرة الربوبية[١].

ويروي الغزالي (ضمن حكايات المحبين لله وأقوالهم وأحوالهم) عن أبي تراب النخشبي الصوفي قوله لتلميذه: «ويلك! أتغتر بالله! والله **لو رأيت أبا يزيد البسطامي مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة**» ويروي عن البسطامي قوله« قولك: سبحان الله: **شرك**»[٢] **علق ابن الجوزي على هذا الكلام بقوله« وهذا فوق الجنون بدرجات»** (تلبيس إبليس ٣٥٤).

ويشبّه الغزالي أفعال المخلوقات بالدّمى التي يظن الناظر إليها أنها تتحرك من تلقاء نفسها[٣]، وإنما تحركها خيوط عنكبوتية ممتدة من السماء حُجب العوامُّ عن رؤيتها ورآها الخواص من أهل الكشف!.

ولهذا تكرر قوله كثيرًا بأنه: (ليس في الوجود إلا الله وأفعاله) [٤] وذكر الزبيدي أن من المصرحين بأنه ليس في الوجود إلا الله هو ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية[٥].

ولقد قال الأحباش: «انظروا الى تفسير سيد قطب لسورة الاخلاص بأن الوجود الحقيقي انما هو لله فقط» ثم قالوا: أليس هذا قولا بوحدة الوجود التي اتفق علماء المسلمين على كفر قائلها». غير

---

(١) الإحياء ٣/ ٧٦.
(٢) الإحياء ٤/ ٣٥٦ و ٣٥٨.
(٣) الإحياء ٤/ ٩٧.
(٤) الإحياء ١/ ٣٣٠ و ٤: ٨٦ و ٥: ٣٠ جواهر القرآن «مشكاة الأنوار ١٨.
(٥) اتحاف السادة المتقين ٩/ ٥٦٠.

أنهم لتحيزهم لا يتحدثون عن هذه الكلمات التي كان الزبيدي يقرها ويشرحها ويقر بعقيدة وحدة الوجود وأنه ليس في الوجود على الحقيقة إلا الله وأفعاله (١٠/ ٢١٩) ؟!

سكوته عن انحرافات النابلسي

وهاهو عبد الغني النابلسي أحد أبرز المدافعين عن عقيدة وحدة الوجود وهو رجل تجتمع فيه متناقضات عجيبة. وكتب في عقيدة وحدة الوجود مؤلفات عديدة منها:

- إيضاح المقصود من وحدة الوجود.

- الظل الممدود في معنى وحدة الوجود.

- حلّ رموز الدائرة الكبرى.

- اللؤلؤ المكنون في الإخبار عما سيكون[1] وفيه يشرح الوسائل التي يتمكن بها كل واحد معرفة الأمور المستقبلية وأمور الغيب ذكر منها الاطلاع على حركات الأفلاك. ويتحدث عن مزايا كتاب الجفر الشيعي.

- **كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض** وابن الفارض صاحب التائية الشعرية المشهورة التي يغازل فيها رب العالمين ويخاطبه بضمير الأنثى.

---

(١) ألفه عام ١١١٠ رقم ٧٥٠٤ تصوف بالظاهرية بدمشق.

هل تحكمون بكفر الرفاعي لقوله أن الصوفي يؤتى كلمة (كن) فيكون؟

ذكر الصيادي أن الشيخ أحمد الرفاعي قال: «واذا صرّف الله تعالى الوليَّ في الكون المطلق: صار أمره بأمر الله تعالى: اذا قال للشيء كن فيكون[١]، وأنه جاء في بعض الكتب الالهية أن الله تعالى قال: يابني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء: كن فيكون[٢]. وقال علي بن محمد الدينوري: «تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّبًا مع الله»[٣].

وقد نص القرافي أن هذا القول من الصوفية كفرٌ صريح، فنقل ابن حجر الهيتمي عن القرافي أنه قال: «وقد وقع هذا لجماعة من الصوفية يقولون: فلان أعطي كلمة (كن). قال «**وهذا كفر**». فبماذا تحكمون على الرفاعي والصيادي الذي جعلها من مناقبه وكراماته!

وزعم النبهاني أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعمر النبتيني: «أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني **وقل له**

---

(١) قلادة الجواهر ٧٣ و ١٤٥ المعارف المحمدية ٤٧. وانظر البرهان المؤيد ٩٤ تحقيق الحبشي نفسه وذكرها النبهاني عن ابن عربي ١/ ٣٢.

(٢) قلادة الجواهر ١٤٧ طبقات الشعراني ١/ ١٤٢.

(٣) جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٨.

يتصرف في الكون[١].

سكوته عن انحرافات ابن عربي

وهاهو يسكت عن محيى الدين بن عربي الذي يقول بوحدة الوجود وقدم العالم، والذي قلب معنى العذاب في النار الى معنى العذوبة والراحة حتى قال[٢]:

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين
يُسمَّى عذابًا من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صاين

فقال له أهل العلم: «أذاقكم الله هذه العُذوبة».

---

(١) جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٣٥.
(٢) فصوص الحِكَم ٩٤.

مواقف الآخرين من ابن عربي

ـ قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الحلاج ما نصّه: «ولا أرى أحدًا يتعصب للحلاج إلا أهل الوحدة المطلقة، ولهذا ترى ابن عربي يعظّمه ويقع في الجنيد»[١].

فماذا يقول الحبشي في قول الحافظ وقد أمرنا أن نقبل على وجه التسليم كل ما ينص عليه الحافظ، وهو أولى بالجرح والتعديل من الشعراني فهل يقبل جرحه لابن عربي؟!

ـ وقال أبو حيّان النحوي بإلحاده لأنه يقول بوحدة الوجود[٢].

ـ وذكر الذهبي بأنه: «قدوة العالمين في القول بوحدة الوجود[٣]

ـ وقال شمس الدين ابن الجزري الشافعي بكفره. وأنشد يقول[٤]:

دعا ابن العُرَيبيِّ الأنام ليقتدوا　　بأعورة الدجال في بعض كتبه

وفرعونَ أسماه لكل محققٍ　　إمامًا ألا تَبًّا له ولِحِزبِه

ـ وحكم تقي الدين السبكيّ بكفره. حكاه الشيخ ملا علي

(١) لسان الميزان ٢/ ٣٨٤ ترجمة الحلاج رقم (٦٤٧ / ٢٨٠٨).
(٢) تفسير البحر المحيط ٣/ ٤٤٩.
(٣) العبر في خير من غبر ٣/ ٢٣٣ ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٨.
(٤) العقد الثمين للفاسي ١٧٣ ـ ١٧٤ وذكره العلامة القاري في الرد على القائلين بوحدة الوجود ١٣٨ وانظر صفحة رقم ١٣٠.

قاري[١].

ـ وحكم القاضي زين الدين الكتاني بكفره[٢].

والشيخ نور الدين البكري بكفره[٣].

والشيخ ابن خلدون في مقدمته[٤].

وقد صنف الشيخ برهان الدين البقاعي كتاب «**تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي**».

ـ ونص ابن الملقن في طبقاته أن العز بن عبد السلام (أحد معاصريه) كان يحط عليه، وسأله ابن دقيق العيد عنه فقال: «**هو شيخ سوءٍ كذّاب، يقول بقدم العالم ولا يحرّم فرجًا**»[٥].

---

(١) العقد الثمين ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨ الرد على القائلين بوحدة الوجود ١٣٥.
(٢) العقد الثمين للفاسي ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٣) العقد الثمين ٢/ ١٧٥.
(٤) مقدمة ابن خلدون ٣٢٣ و ٤٧٢ العقد الأمين ٢/ ١٧٨.
(٥) سير الأعلام ٢٣/ ٤٨ ـ ٤٩ طبقات ابن الملقن (١٥٣) ص ٤٦٩ ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٦٥٩ الرد على القائلين بوحدة الوجود٣٤.

ابن طولون حجة عليكم

ـ وذكر ابن طولون الحنفي أن غالب فقهاء العرب وجميع المحدّثين بلغوا نحوًا من خمسمائة الى تكفيره. ذكر منهم: علاّمة زمانه تقي الدين ابن تيمية وكمال الدين الادفوني وأبو زرعة والعيني وحافظ العصر شهاب الدين ابن حجر وابن الصلاح وابن دقيق العيد وبدر الدين ابن جماعة وشيخ الاسلام تقي الدين السبكي[(١)].

ـ وشنّع عليه السعد التفتازاني في كتاب «فاضحة الملحدين»[(٢)]. ولعله بعنوان آخر «الرد والتشنيع على كتاب الفصوص» الذي قال عنه الذهبي: «فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر»[(٣)].

فهؤلاء يضرب صفحًا عن ذكرهم، ويدافع عنهم ويعلّم أتباعه بأنهم من خُلّص أولياء الله. أما الألباني وسيد قطب وابن تيمية فهم من أكفر خلق الله عنده!!

---

(١) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ٢/٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٢) مخطوطة محفوظة بمكتبة برلين ٢٨٩١ حسب بروكلمان ٢/٣٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨.

سكوته عن انحرافات النبهاني

وقد ذكر النبهاني جملة من «أصحاب الكرامات» منهم:

(ابراهيم الملقب بـ (جيعانة): من كراماته أن امرأة أتته وسألته الدعاء وأمرّت يدها على أطماره الرثة ثم أمرّتها على وجهها، وهناك فقيهان روميان فقال أحدهما: يا حرمة تتجست يدك بما مرّت عليه. فنظر الشيخ اليه مغضبًا ثم جلس وغاط ثم نهض فتقدم الفقيه المنكر وجعل يلعق غائطه ورفيقه متمسك بأثوابه ويضمه ويقول: ويلك هذا غائط الشيخ! الى أن لعق الجميع ببعض التراب، فلما نهض جعل يعاتبه فقال: والله ما لعقت الا عسلًا[١].

(ابراهيم العريان) كان يخطب الجمعة بالناس وهو عريان... فيحصل للناس بسط عظيم[٢].

(عبد الكريم الدمشقي) سألوه: هل تستطيع أن تشرب كل ما في هذه البركة؟ فقال: إملأوها. فأخذه حال عجيب ووضع فمه في البركة فصار يشرب والماء يخرج من إحليله (ذَكَرِهِ) ولم يزل كذلك يدخل الماء من فمه ويخرجه من إحليله إلى أن فَرَغت البركة. قال النبهاني: **وهي من أعظم كراماته**[٣].

---

(١) جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٤٠.
(٢) جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٤٦.
(٣) جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٠٢.

(عبد الله الذي كان يطحن الحشيش) من كراماته أنه كان كل من أخذ من حشيشه (رضي الله عنه) وأكل منه يتوب لوقته ولا يعود لها أبدًا[١].

(عبد الوهاب الشعراني) من كراماته أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعمر النبتيني: «أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني **وقل له يتصرف في الكون**[٢].

(علي بن محمد الدينوري) قال: «تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدّبًا مع الله»[٣].

(علي العمري) من كراماته ما رواه الحاج ابراهيم، قال: دخلت الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري ومعنا خادمه محمد الدبوسي ولم يكن في الحمام غيرنا. قال: فرأيت من الشيخ كرامة من أعجب خوارق العادات وأغربها وهي أنه أظهر الغضب على خادمه وأراد أن يؤدبه فأخذ إحليله (أي ذكره) بيديه الاثنتين من تحت إزاره بحيث طال طولا عجيبا بحيث أنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه وصار يجلد به خادمه، والخادم يتلوى من شدة الألم، فعل ذلك مرات ثم تركه وعاد إحليله الى ما كان عليه. قال الحاج ابراهيم: ففهمت أن الخادم عمل عملا يستحق التأديب فأدبه الشيخ بهذه الصورة العجيبة.

---

(١) جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٢٥.
(٢) جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٣٥.
(٣) جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٨.

قال النبهاني: ولما حكى لي ذلك الحاج ابراهيم حكاه بحضور الشيخ الذي كان واقفًا، فقال لي الشيخ لا تصدقه، وأخذ يدي بالجبر عني ووضعها على موضع إحليله فلم أحس بشيء مطلقًا حتى كأنه ليس برجل أبدًا، فرحمه الله ورضي عنه ما أكثر عجائبه وكراماته»[١].

ومن كراماته أنه كان في بلد الشيخ علي رجل قليل الحياء معجبًا بإحليله، فكان يمازح الشيخ اذا رآه ويضع يده على إحليل نفسه ويقول له: هل عندك مثل هذا؟ فضربه الشيخ بيده وقال له: إذهب فذهب كأنه امرأة لم يتحرك له شيء[٢]. أ. هـ. (يا لمصيبة هذه الأمة).

(عيسى بن نجم البرلسي) مكث سبع عشرة سنة بوضوء واحد[٣].

(ولي الله الديوث) حكى الشيخ نور الدين الشوني أن شخصًا كان مكاريًا يحمل النساء من بنات الخطأ وكان الناس يسبونه ويصفونه بالتعريض وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة من بنات الخطأ وتعود الى الزنا أبدًا[٤].

كيف صدقت عقولكم التي قدمتموها على النقل: هذه الخرافات والمهزلة التي لا تزيد النصارى اذا قرؤوها إلا ثباتًا على النصرانية ونفورا من الاسلام؟

---

(١) جامع كرامات الأولياء ٢/٢٠٨.
(٢) جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢١٤.
(٣) جامع كرامات الأولياء ٢/٢٢٨.
(٤) جامع كرامات الأولياء ٢/٣٢٧.

نماذج من كلام ابن تيمية

وهذه نبذة من كلام ابن تيمية ليعرف المنصف موقفه من أسماء الله وصفاته ومنهجه في الدين بإيجاز: يقول:

تمسكه بهدي السلف

« ما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون وما قاله أئمة الهدى هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب (باب الأسماء وغيره) فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، وشهد له بأنه بعثه داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخبر الله تعالى بأنه أكمل له ولأمته في دينهم، أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، ولم يميز ما يجب لله من الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، وما يجوز عليه أو يمتنع.

فإن معرفة هذا أصلُ الدين وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصّلته النفوس وأدركتْه العقول، وقال فيما صحَّ عنه: **«ما بعث الله نبيًا إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»**[1].

فكيف يتوهم مَن في قلبه أدنى مسكةٍ من إيمان وحكمة أن لا يكون

(١) رواه مسلم (١٨٤٤).

بيان هذا الباب (الأسماء والصفات) قد وقع من الرسول على غاية التمام؟ ومن المحال أن خير أمته وأفضل القرون قصَّروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين منه.

ولم يقل أحد منهم إن الله ليس على العرش، ولا إنه في كل مكان ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا إنه لا تجوز الإشارة إليه.

فإنْ كان الحق فيما يقوله هؤلاء النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة، من هذه العبارات ونحوها دونما فهم من الكتاب والسنة إما نصًا وإما ظاهرًا فكيف يجوز على الله ورسوله، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نصٌ أو ظاهرٌ في خلاف الحق! ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلّون عليه، حتى جاء المتوغلون في علوم الفلاسفة، فبيّنوا للأمة العقيدة الصحيحة، ودفعوا بمقتضى علومهم ما دلّ عليه الكتاب والسنة نصًا أو ظاهرًا؟!

فإن كان الحق في قولهم: فلقد كان تركُ الناسِ بلا كتابٍ ولا سنةٍ أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير.

تأدب العقل مع خالقه.

فإن حقيقة ما يقوله هؤلاء: أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله وما يستحقه من الصفات، لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم: فما وجدتموه مستحقًا له من الصفات في عقولكم فصِفوه به، سواء كان موجودًا في الكتاب والسنة أو لم يكن.

وكأن الله قال لهم: ما نفاه قياس عقولكم مما اختلفتم فيه فانفوه، وإليه (أي العقل) فارجعوا عند التنازع، فإنه هو الحق الذي تعبَّدتُكُم به، وما كان مذكورًا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا فاعلموا أني ممتحنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه، ولكن لتجتهدوا في تحريفه على شواذّ اللغة، ووحشيّ الألفاظ وغرائب الكلام.

وما أشبه حال هؤلاء بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾.

فإن هؤلاء إذا دُعُوا إلى ما أنزل الله من كتاب وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملا بهذه الطريق التي سلكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية:

فيقال لهم: يا سبحان الله، كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم فإنه الحق.

ثم الرسول قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثًا وسبعين فرقة، ثم قال: «**إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله**».

وقال في صفة الفرقة الناجية: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» فهل قال: من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم؟!

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب «التأويلات»، وذكرها الفخر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس». ويوجد كثير منها في كلام كثير غير هؤلاء [كالمعتزلة] مثل أبي علي الجبائي، وعبد الجبار ابن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري، التي ذكرها بشر المريسي في كتابه.

التأويل بين الخلف والسلف.

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العلا، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، فإن من حرّفوا لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثلوا أولا وعطلوا آخرا، فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به.

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين في أمر

مريج، فإن من ينكر الرؤية زعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر الى التأويل، ومن يحيل أن لله علمًا وقدرةً يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل.

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدّعي الآخر: أن العقل أحاله.

يا ليت شعري! بأي عقلٍ يُوزَن الكتاب والسنة، فرضي الله عن مالك بن أنس حيث قال: «أوَكلما جاءنا رجلٌ أجْدَلُ من رجلٍ ترَكنا ما جاء به جبريل الى محمد ﷺ لجَدَل هؤلاء، وكلُ من هؤلاء مخصومُ بمثل ما خُصمَ به الآخر، فكلّ من ظَن أن غير الرسول والسلف أعلم بهذا الباب، أو أكمل بيانًا أو أحرص على هدى الخلق، فهو من الملحدين لا من المؤمنين»[١].

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ١٥ـ ٣١.

أصل الدين وقواعده

قال: «ودين الاسلام مبني على أصلين، على أن يُعبد الله وحده لا يشرك به شيء، وعلى أن يُعبد الله بما شرعه على لسان نبيه ﷺ. وهذان هما حقيقة قولنا: «لا اله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالاً وإكرامًا.

والله عز وجل له حق لا يشركه فيه غيره فلا يُعبَد إلا الله، ولا يُدعي إلا الله، ولا يطاع إلا الله.

والرسول ﷺ هو المبلغ عن الله تعالى أمره ونهيه وتحليله وتحريمه، وهو واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه.

وأما في إجابة الدعاء، وكشف البلاء... فالله تعالى هو الذي يسمع كلامهم ويرى مكانهم ويعلم سرهم ونجواهم، وهو سبحانه قادر على إنزال النعم، وإزالة الضرر والسقم من غير احتياج منه إلى أن يعرّفه أحد أحوال عباده، أو يعينه على قضاء حوائجهم... وهو سبحانه لا يشغله سمع كلام عن هذا سمع كلام هذا ولا يغلطه اختلاف أصواتهم ولغاتهم، بل يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ولايبرمه إلحاح الملحين، بل يحب الإلحاح في الدعاء»(١).

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٨٠ ـ ١٨١ ط: مكتبة دار البيان ـ دمشق.

ضوابط التكفير عند ابن تيمية
تبطل دعوى تكفيره للمخالفين في مسألة الطلاق

وزعم الحبشي أن ابن تيمية يكفّر مخالفيه في مسألة الطلاق.(١)
فهذا كذب واضح يردّه قول ابن تيمية فقد كان يثني على المخالفين له في مسألة الطلاق ويقول بأن الذي قالوه باجتهادهم لهم سعيٌ مشكور وعملٌ مبرور، وهم مأجورون على ذلك مثابون عليه، وأن من أصاب منهم الكتاب والسنة فله أجران، ومن أخطأ فله أجر... وهم مطيعون لله ورسوله فيما أتوا به من الاجتهاد المأمورين به. ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها»(٢).

وكلامه هذا يفضح افتراء الحبشي وإلا فليخبرنا: أين قال ابن تيمية بتكفير مخالفيه في مسألة الطلاق؟ وقد دل كلام ابن تيمية على نقيض ذلك:

بل قد قال ابن تيمية: «لقد كنت دائمًا أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: «**إذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرّوني في اليَمّ، فوالله لئن قدر الله علَيّ ليعذبنّي عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين، ففعلوا به ذلك، فقال الله له: ما حملك على ما فعلتَ؟**

---

(١) المقلات السنية ٥٧ و ٦٢و٧٥.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣/١٤٩ ـ ١٥٠.

قال: خشْيَتُك. فغفر له». قال: فهذا رجلٌ شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِيَ بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كُفرُ باتفاق المسلمين لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف أن يعاقبه الله فغفر له بذلك»(١).

قال: «والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا»(٢).

وقال: «ولا يجوز تكفير المسلم بخطأ أخطأه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة»(٣). بل قد ذكِرَ النزاع في كفر الخوارج والروافض وغيرهم من الفرق وقد خالفوا إجماع المسلمين في أمور العقائد فما بالك بالمخالف في الفروع(٤).

---

(١) علق الحافظ ابن عبد البر على هذا الحديث بقوله: «وأما جهل هذا الرجل في هذا الحديث بصفة من صفات الله في علمه وقدره فليس ذلك بمخرجه من الإيمان» (التمهيد ١٨/ ٢٤) وفي هذا رد على من اشترط للإيمان حفظ ثلاث عشرة صفة كما يدعي الحبشي.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣٠.

(٣) الفتاوى ٣/ ٢٨٣.

(٤) الفتاوى ٢٣/ ٣٤٦ و ٢٢٩.

نقده لأهل التكفير

قال ابن تيمية: «وطريقة أهل البدع في التكفير الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم.

فالرافضة ابتدعوا تفضيل عليّ على الثلاثة وتقديمه في الإمامة، وكفّروا من خالفهم.

وكذلك الجهمية ابتدعت نفي الصفات وجعلوا يكفّرون من لم يوافقهم على ذلك.

وأئمة السنة والجماعة وأهل الايمان فيهم:

ـ العلم ـ والعدل ـ والرحمة.

فيعلمون الحق الذي يكونون موافقين به للكتاب والسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم كما قال تعالى: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾.

ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم، وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون

كلمة الله هي العليا.

فالمؤمنون أهل السنة أعمالهم خالصة لله تعالى، موافقة للسنة، وأعمال مخالفيهم لا خالصة ولا صواب، بل بدعة واتباع الهوى، ولهذا يُسَمَّون «أهل البدع والأهواء».

فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون مَن خالفهم وإن كان ذلك المخالف يُكَفّرهم. لأن الكفر حكمٌ شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب عليه، كمن كذب عليك وزنى بأهلك: ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام.

وكذلك التكفير حقٌ لله، فلا يُكَفَّرُ إلا من كفره الله ورسوله. وأيضًا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يُكَفَّرُ من خالفها، وإلا؛ فليس كل من جهل شيئًا من الدين يُكَفَّر.

ولهذا كنتُ أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش، لمّا وقعَتْ محنتُهُم:

«أنا لو وافقتُكم كنتُ كافرًا، لأني أعلم أن قولكم كُفرٌ. وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جُهَّال. وكان هذا خطابًا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم»[1].

فهكذا منهج هذا الرجل الفذ وطريقته الموزونة بميزان الكتاب

---

(١) الرد على البكري ٢٥٦ ـ ٢٦٠ لابن تيمية.

والسنة لاتجد في كلامه ما تجده عند أهل الانحراف والظلم من العصبية والتجني والانحراف عن السنة، حتى قال فيه الذهبي كلمته المشهورة: «**كأن السنة نصب عينيه**».

وقد انتقصه المتعصبون وشنعوا عليه ورموه بشتى التهم، وهذا من تسلط الشيطان عليهم حيث زيّن لهم سبه وتكفيره بينما زيّن لهم الدفاع عن ابن الفارض وابن عربي بما أمكن من التأويل والتحيز والتكتم.

فوضى التكفير المتهور

واذا كان موقف ابن تيمية من قضية التكفير على الوجه الذي حكيناه عنه فما هي مواقف الناس من ذلك؟

إننا نعلم أن التكفير حق لله سبحانه وتعالى لا يجوز لأحد إخراج أحد من دين الله إلا ببيِّنة ودليل يعذر بهما يوم القيامة عند الله. فإن المسلم قد يَخرُج من الدين بإخراجه منه من ليس عند الله كذلك.

قال رسول الله ﷺ **«من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»** وفي رواية **«أيما امرىء قال لأخيه «كافر» فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال: وإلا رجعت عليه»**[1]. فلا يجوز خروج هذه الكلمة (كَفَرَ) من فم امرىء يتقي الله ويحتاط لدينه إلا بعد حذرٍ شديد. إذ قد تكون سببًا في خروجه هو. وأي خسارة أعظم من ذلك.

وليس خلق الله وصايا على دينه حتى يُخرجوا منه من يشاؤون ممن قد لا يستحقه، ثم يسكتون ويتغاضون عمن يشاؤون ممن يستحقه.

والتكفير لا يحكم عليه بلا أو نعم، وإنما له ضوابط وشروط وفيه تفصيل بين ما يعذر فيه صاحبه بالجهل وبين ما لا يعذر فيه، وبين ما يكفر فيه صاحبه بالضرورة وبين ما لا يكفر فيه بالضرورة.

---

(١) البخاري (٦١٠٣ و ٦١٠٤ و ٦١٠٥) ومسلم (٨٠).

غفلة الناس عن معرفة ضوابط التكفير

ولا يبدو أن عند الحبشي وأتباعه مراعاة لضوابط التكفير ولا مسامحة ولين في التعامل مع المخالف، بل يلاحظ فيهم جانب الفظاظة والقسوة والشدة وهذا حاصل ثمرة علم الكلام وأهله كما وصفهم أبو حنيفة: (بأنهم قساة القلوب، ليس عندهم ورعٌ ولا تقوى). ومن شاء الوقوف على سلوكيات هذا الرجل فليستمع ولو إلى شريط واحد من أشرطته ليرى فيها الطعن واللعن بالعلماء المخالفين له في المذهب.

وقد حكم بانسلاخ أحد مخالفيه من الدين (خالد كنعان) فقال له: «ولعلك منذ أربعين سنة انحرف قلبك أم منذ كم؟ فعارٌ عليك أن تدّعي الاسلام بعد هذا الكفر الذي كفرتَه، ثم لما جاءك المسخ القلبي انسلخت منه كما انسلخت عن حكم تكفير سابّ النبي؟ وهذا تسجيلٌ آخر على نفسك بأنك منسلخ عن السلف والخلف»[(١)].

وليس من خلاف بين الفريقين في حكم ساب النبي ﷺ سبًا صريحًا، ولم يكن الخلاف حول حكم شاتم الرسول ﷺ وإنما حول قصة ذاك الرجل الذي قال للنبي ﷺ «اعدل يامحمد» بالكفر؟ ومحل الخلاف في كون هذه الكلمة سبًا صريحاً أم لا. وإذا كان كذلك فلماذا

---

(١) صريح البيان ٢٣ و٢٩.

لم يقتله النبي ﷺ ردةً، علمًا بأن هذا الرجل «ذا الخويصرة» كان له يد في بعض الفتوحات الاسلامية كالعراق والأهواز، وقد قيل إنه انضم بعد ذلك إلى صفوف الخوارج، لكن الخوارج أنفسهم لم يكفروا على الراجح من قول أهل العلم[1]. فلا يبدو من الصحابة أنهم عاملوه معاملة الكافر المرتد. واستغل الحبشي هذه الحادثة وحكم على خالد كنعان بالكفر والانسلاخ من الدين.

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٢٩٣.

قواعد في ضوابط التكفير

والناس غافلون عن هذه الحقيقة.

فبعضهم لا يفرق بين الكفر الأكبر من الكفر الأصغر فيحكم على الواقع في كفر أصغر بخروجه من الملة. قال شارح الفقه الأكبر: «وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث... يقولون بكفر من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطىء وغيره ويقولون بكفر كل مبتدع، وهذا القول يقرب إلى مذهب الخوارج والمعتزلة، فمن عيوب أهل البدعة أنه يكفر بعضهم بعضًا، ومن ممادح أهل السنة والجماعة أنهم يخطّئون ولا يكفّرون»[1].

---

(١) الفقه الأكبر ١٣٦.

لماذا تميز الاحباش بالتكفير

لأنهم لا يرون العذر بالجهل وضرورة إقامة الحجة وانتفاء المانع فيحكمون على الناس بالخروج من الملة قبل اقامة الحجة على المخطىء وتنبيهه.

وبما أنهم ينتحلون الشافعي نحتج عليهم بقول الشافعي: «لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها.. فإن خالف أحد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، وأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل»[1].

ولذلك قال أهل العلم: «قد يقول المسلمُ كفرًا» أي يبقى مسلمًا مع ذلك بسبب جهلٍ أو شبهة أو تأويلٍ أو نحو ذلك.

القاعدة الأولى: أن كل عمل من أعمال الكفر لا نكفّر صاحبه به إلا إن كان وراءه كفر اعتقادي، وإلا فهو كفرٌ عمليٌ لا يوجب خروج صاحبه من الملة بمجرده، وعلى هذا جرى اتفاق السلف. ودليله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة١].

وفي سبب نزولها أن علي بن أبي طالب قال: بعثني رسول الله ﷺ والزبير وأبا مرثد فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها**»

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٤٠٧ سير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٠.

فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها فقلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب، فقال علي: لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب، فأخرجت الصحيفة فجاؤوا بها إلى النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ **«ياحاطب ما حملك على ما صنعت؟»** قال: يا رسول الله: ما لي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله، ولكني أردتُ أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله.

فقال ﷺ **«صدق، لا تقولوا له إلا خيرًا»**.

أي صدق أنه ما قصد موالاة عدو الله ولا حبهم من دون المؤمنين لأن موالاتهم كفرٌ[1] فظهر أنه لم يكن وراء فعل حاطب ـ الذي هو كفرٌ عمليٌ في العادة ـ كفر في الاعتقاد. ودليل ذلك قوله ﷺ: «قد صدقكم، لا تقولوا له إلا خيرًا».

القاعدة الثانية: أنه لا يكفي أن يقول الرجل كُفرًا حتى نسارع إلى تكفيره، فقد يكون جاهلا أو مخطئًاأو متأوّلاً، فلا يقال له لأول وهلة: (كفَرتَ) وإنما يقال له أخطأت إلا أن قد يكون قد تلفظ بما يُعرف كُفرُه

---

(١) والفائدة من هذه القصة أن من والىٰ أعداء المسلمين ـ كما تفعل هذه الطائفة اليوم ـ واعتمد على مساندتهم ودعمهم فحكمه أنه خائن لله ولرسوله وللمؤمنين. وهذا كافٍ في رد عقيدته وتبجحه أن شيخه امام أهل السنة، وأن عقيدته صافية. لو كانت عقيدته صافية لما والى أعداء المسلمين واعتمد على تأييدهم ونصرتهم له ليتطاول ويستعلي بهم عليهم.

بديهة كمن يسب الله أو النبي ﷺ. . الخ

٢) ولا يجوز مسارعة تكفير من له شبهة في ذلك كأن يشتبه عليه صحة الحديث في ذلك ولا يتبين له. وكم من حديث ضعيف بني عليه الحبشي أحكامًا مثل استدلاله هو وأتباعه بسؤال آدم بمحمد ﷺ حين رأى اسمه على باب الجنة. وهو حديث موضوع كما قال الذهبي في تعقيبه على الحاكم، وحديث (أسألك بحق السائلين عليك) مع زعمه أنه لا يستدل بالحديث الضعيف في العقائد. وحديث أخذ الربا من الكافر الحربي. وكتبه وأشرطته مليئة بالأحاديث الضعيفة.

وعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ سمع عمرَ وهو يحلف بأبيه، فقال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمُت»(١). مع أنه ﷺ قال: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**(٢).

وقد سأل بعض المسلمين النبي ﷺ ـ وكانوا حديثي عهد بإسلام ـ أن يجعل لهم ذات أنواط مشابهة لأنواط الذين كانوا يعلقون سيوفهم بشجرة يتبركون بها فقال لهم النبي ﷺ: **«الله كبر، إنها السنن، قلتم كما قال أصحاب موسى لموسى إجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة»**(٣) فجعل قولَهم شبيهًا بقول اليهود **«إجعل لنا آلهة»**.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي (١٥٣٥) في الإيمان والنذور وسنده صحيح.

(٣) رواه الترمذي (٢١٨١) بإسناد صحيح.

وقد كان على الحبشي أن يعلم أتباعه ضوابط التكفير وخطورته قبل أن يعلّمهم أنواع الكفريات المُخرجة من الدين، فقد فُتِح هنالك باب التكفير على مصراعيه وأُخرِجَ من الدين من ليس كذلك.

القاعدة الثالثة: أنه لا يكفَّرُ بالكفر الاعتقادي باستيفاء شروط (شروط التكفير) وانتفاء موانع، بمعنى أن لايقوم بالشخص مانع من تكفيره كبعض أنواع الجهل والتأويل والإكراه، فقد يجتمع في الأمر الواحد عدة موانع تمنع من الحكم الصحيح، مثال ذلك استحلال الصحابي البدري قدامة بن مظعون للخمر هو وأصحابه، متأولين قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾[١] (المائدة: ٩٣).

فظن أنه لا جناح عليه أن يشرب الخمر إذا ما اتقى وآمن وعمل الصالحات.

ومعلوم أن تحريم الخمر ثابت في القرآن وأن من استحله بعد علمه بتحريمه فقد كفر، وكان قدامة يعلم هذا التحريم في القرآن، ومع ذلك لم يحكم الصحابة بكفره وأصحابه لوجود مانع التأويل، فإنه لما بلغ عمر خبر قدامة وأصحابه اتفق هو وعلي وسائر الصحابة أنهم إذا

(١) وسبب هذه الآية أنه لمّا نزل تحريم الخمر وذلك بعد معركة أحد: قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يُحرّم فيها فلا جناح عليه اذا كان من المتقين المصلحين (فتح الباري ٨/ ٢٧٨ تفسير الطبري ٥/ ٢٤.

اعترفوا بالتحريم جُلدوا، لأن الحدّ حق لله، وإن أصرّوا على استحلالها قُتلوا (يعني الكفر) وقال عمرُ لقُدامةَ: أخطأت، أمَا إنك لو اتقيت وآمنت وعملتَ الصالحات لم تشربِ الخمر.

ثم أقيم عليه وعلى من معه الحد.

ثم إن عمر بلغه بعد ذلك أن قدامة أيسَ من التوبة فكتب إليه عمرُ يقول: «أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ ما أدري أي ذنبَيْكَ أعظم: استحلالك المحرم أولا؟ أم يأسُكَ من رحمة الله ثانيًا»[١].

وهذا الامام أحمد يحكم على من قال: «إن القرآن مخلوق» بالكفر، وكان المأمون يقول بخلق القرآن ويلزم الناس كلهم بهذا القول، بل وكان يعذب ويسجن العلماء الذين لا يقولون بذلك، وكان الامام أحمد ممن نالهم ضرب المأمون وتعذيبه إرغامًا له على القول بخلق القرآن، ومع ذلك لم يكفّره الامام أحمد بل كان يدعو له بخير ويرى إمامته، ويحث على نصرته في فتوحاته، ولم ير الخروج عليه لأنه اغترّ بقول أصحاب ابن أبي دؤاد وغيرهم من المعتزلة ولم يكن يعلم حقيقة ما يؤول إليه هذا القول.

أن هناك فرقًا بين التكفير المطلق وبين تكفير المعين، فقد يكون قائل الكفر أو فاعله متأولا أو جاهلا فيعلّم، وقد يقول المؤمن كفرًا ولا يصير به مستحقًا لاسم الفاعل (كافر) فالحكم بالكفر على المعين

---

(١) الاصابة ٣/ ٢٢٨ مصنف عبد الرزاق ٩/ ٢٤٠.

يقتضي انتفاء موانع التكفير واقتضاء شروطه وقيام الحجة.

قال ابن تيمية في المسائل الماردينية (ص ٧١): «وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفرًا، فيطلق القول بتكفير صاحبه، فيقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها».

يعجب المطالع لكتب الفقه ـ باب الردة والمرتد ـ حين يطالع توسعهم في أصناف المسائل المفترضة الموقعة في الكفر والردة(١) كقولهم: «ويكفر من قال: بارك الله في كذبك. ومن ذكر اسم الله على الدجاجة المسروقة. ومن قال: الله يعلم أني فعلت كذا وهو يعلم أنه ما فعل . . . الخ» ويبحث عن أصناف الشركيات الموقعة في الشرك الأكبر كحكم دعاء غير الله فلا يكاد يجد إلا القليل.

---

(١) ورد تعريف الردة في مختصر خليل مع شرح الدردير (٦: ١٤٤) بأنها (كفر مسلم) متقررٍ إسلامُه بالنطق بالشهادتين مختارًا.

تنزيهات يُنَزّه الله عنها

والحبشي إذا ما نهى عن أنواع الكفر يأتي بألفاظ مستقبحة ويبدأ يذكرها بتفصيلها القبيح مع أنه لا يخفى كفرها على الجهال فضلا عن العلماء. وما ذاك إلا لعدم تفريقه بين ما فُطِرَ الإنسان على معرفته وبين ما يحتاج إلى تعلمه.

وقد كان كافيه أن ينهى الناسَ عن التلفظ بسبّ الله عز وجل من دون حاجة إلى ذكر أنواع السبّ بالتفصيل:

إذ من يجهل مثلا أن قول القائل «يلعن ربك» كفر؟ اللهم الا أن يكون هذا القائل مجنونا. ومن يجهل أن قول القائل «أخت ربك» «خلصني من ربك» «حل عني أنت وربك» «وحياة شوارب الله» «ياز... الله» «دخيل رجلين ربك» «أكون قواداً إن صليت»[1].

فتأمل هذه الألفاظ القبيحة الوقحة التي يتلفظ بها هذا الرجل وأتباعه. من يجهل أن هذا كله من الكفر المعلوم بالضرورة. وهو ما يتوسع الحبشي في تفصيله بطريقة تنافي الأدب مع الله.

إن هذه الألفاظ القبيحة التي ذكرها الحبشي ليست من تنزيه الله في شيء وهي ناشئة عن منهجية باطلة مضى عليها أهل الكلام في وصف الله تعالى بطريقة الاثبات المجمل والنفي المفصل، وهي على عكس

---

(١) انظر النهج السليم ٥٧ـ ٦٤ الدليل القويم ١٤٥ ـ ١٤٩ بغية الطالب ٤١.

الطريقة القرآنية التي اعتمدت الإثبات المفصل والنفي المجمل. كأن يقول قائلهم: الله ليس بذي عرض ولا طول ولا رائحة ولا لون وليس من المطعومات ولا من المشمومات. وهذه الطريقة في التنزيه مأخوذة عن المعتزلة.

ولو قال أحد الناس للملك أنت أرفع من أن تكون خبيثًا أو جبانًا أو لست مفسدًا ولا جبارًا ولاَ مجرمًا: لنال من الملك عقوبة على التنزيه الأحمق المخل بالأدب من غير أن يبالي الملك بحسن مقصد صاحب التنزيه الأحمق، فإن كان ذلك لا يرضاه المِلكُ المخلوق فكيف تجترؤون بمثله على ملك الملوك الخالق سبحانه؟

ولقد كان أحد أتباع الحبشي يلقي درسا عن التوحيد في مسجد الأميرة منقارة بطرابلس فقال: « والله يرى بلا حدقة، ويسمع بلا أصمخة ويخلق بلا جارحة. الى أن قال: وليس له ذَكَرٌ لأنه ليس رجلا، فقام الناس عليه ساخطين واشتبك العراك بالأيدي والسلاح.

التوسل بدعاء الموسات

ووقف أحد أتباع الحبشي يصرخ في المسجد بأعلى صوته لا تقولوا «ياز. . .الله» «أيها الناس لا تقولوا ز. . .» كررها نحوًا من عشرين مرة وهو يصرخ بها عاليًا بلا حياء ولا أدب ولا ورع[١]. ثم عاد يكررها بصوتٍ مرتفع «كيف تقولون عن الله . .»[٢]. وشريطه

(١) شريط ١١ الوجه (أ) رقم ٢٢١.
(٢) شريط ١١ الوجه (أ) رقم ٢٣٠ ـ ٢٤٤.

مسجل عندي.

ومن المضحكات ما حكاه هذا «الواعظ» وهو على المنبر ـ ونترك لك التعليق ـ قال: « وكان الشيخ بدر الدين الحسنى يذهب الى سوق الزانيات ويسألهن الدعاء له. وكان يرسل اليهن رجلا يبعث معه مبالغ من المال ليعطيها إليهن، فأتى رئيسة بنات الخطأ وأمرها أن تجمع له كل الزانيات بعد أن يغتسلن جميعهن. وبعد اجتماعهن سأل المومسات الدعاء للشيخ بظهر الغيب، فدعون له وصرن يبكين ثم أعلنت جميعهن توبتهن[1].

ـ وقد أخذ بهذا الواعظ الحماس وانعدم عنده ضابط الحياء فأخذ يقص عليهم قصة امرأة ضرَطت أمام بائع الخضار.. الخ. والحاضرون يسمعون وعظه ويضحكون عليه. هكذا يصير سفهاء الناس وُعّاظُهم.

(١) شريط ١١ الوجه (أ) عدد ٢٨٥ ـ ٣٠٠.

فهرس الموضوعات

موقف الحبشي من ابن تيمية

نماذج من كلام ابن تيمية رحمه الله

ضوابط التكفير عند ابن تيمية